

المِلَّةُ سُنَّةُ الْمَلِكِ تَرْيَدِي سَيِّدِي

سَيِّدُ الشُّعُوبِ

بِسِيْرَةِ عَلِيٍّ الْهَدْيِ

أَبِي مَنصُورٍ الْمَلِكِ تَرْيَدِي

حَيَاتُهُ وَعَصْرُهُ وَأَسْلَافُهُ وَجُذُورُ مَنْهَجِهِ الْفِكْرِيِّ  
أَوَّلُ وَأَوْسَعُ تَرْجَمَةٍ تَكْشِفُ النِّقَابَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِ شَخْصِيَّتِهِ



تَأَلَّفَ  
د. أَحْمَدُ سَعْدُ الدَّمْهَوْرِيِّ



سَيِّدُ الثَّغْوَيْنِ  
بِسَيِّدَةِ عَالَمِ الْهُدَى  
أَبِي مَنْصُورٍ



المجلد الثاني

# سند الشيخون بسيارة عالم الهدى أبي منصور

الإمام الماتريدي

حياته وعصره وأسلافه وجذور منهجه الفكري  
أول وأوسع ترجمة تكشف النقاب عن كثير من جوانب شخصيته

تأليف  
د. أحمد سعد الدمنهوري



2018

سند الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور  
الدكتور أحمد سعد الدمنهوري  
الطبعة الأولى: ٢٠١٨ م  
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد



دار النور للطباعة والنشر والتوزيع

عمّان، الأردن، تليفون: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com

www.darannor.com

www.facebook.com/darannorpage

@Darannor

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو ترجمته في شكل أو شكل دون إذن خطي من الناشر

all rights reserved. no part of this book may be reproduced in a retrieval or copied in any form or by any means without prior written permission from the publisher.

## مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وحزبه، ومن دعا بدعوته وسار على نهجه.. أما بعد:

(١)

روى البيهقي عن مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ»<sup>(١)</sup>.

ومن هؤلاء العدول الذين شهد لهم بالتقدم والإمامة ونصرة السنة إمامنا علم الهدى أبو منصور الماتريدي إمام أهل السنة ومقدمهم في بلاد ما وراء النهر، لكننا مع ذلك لا نكاد نعرف عنه إلا القليل حتى صار موضع تهمة لدى حدثاء الأسنان الذين اتهموا صنوه الإمام الأشعري رحمه الله ذات التهمة؛ فوقع ما حذر منه الرسول ﷺ، حين قال: «يَلْعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ الْمَقْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا»<sup>(٢)</sup> ولا حول ولا قوة بالله!

فصارت الأمة في فتنه عمياء لا يدري شبابها إلى من يلوذون وقد صار حملة الدين مبتدعة!

فلم يجد الخيارى منهم إلا الفكر الغربي المؤطر بالإلحاد فارتمى في أحضانه باحثاً عما يملأ فراغ قلبه وعقله؛ متسكعاً على موائد الفكر فيتلقف ما يقال من هنا وهناك، وما درى أن الكثر تحت قدمه، لو نظر..!

(١) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، كتاب الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حديث رقم ٢١٤٣٩، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١٣٤٤هـ.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ٢/ ٨٦، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.





إنني على يقين أن هذا البلاء ما وقع إلا بإبعاد أمثال مناهج علماء المدرسة الماتريدية ورميها بالابتداع تارة والبعد عن منهج السلف أخرى!

لذا كانت مهمتنا هي الكشف عن كنوزها المخبئة وما بذله أصحاب العقول الجبارة منهم في بسط معارف الوحي وتعاليمه ..

إن هذه المدرسة ما هي إلا ترجمة عملية لمناهج وعلوم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ساهم في نشأتها ظروف العالم الإسلامي المائج بالملل والنحل والمذاهب والفرق، فقيض الله لدينه صفوة من خلقه بلغوا رسالات الله على الوجه الذي يرضي رسول الله، فكتب الله لعملهم البقاء ولجهودهم الخلود، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكْتُبُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

يقول الإمام الشعراني رحمه الله مؤكداً:

(واعلم يا أخي: أن علماء الإسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا لأنفسهم العلم بالله تعالى، وإنما وضعوها إرداعاً للخصوم ..) (١) وكلام أئمتنا في هذا المعنى متواتر...

أزعم أن جهود هؤلاء الأفاضل مازالت قادرة على العطاء والإسهام في حل إشكالاتنا العلمية والفكرية وحل قضايانا الاجتماعية والتربوية، لا على طريقة الاجترار بل على طريقة الإفادة مما شيدوه والبناء على ما بنوه، فلكل وقت ولكل زمان رجال..!

(٢)

كان هذا البحث في الأصل هو المدخل الذي صدرت به رسالتي المعنونة (منهج إمام أهل السنة أبي منصور الماتريدي في تفسيره: تأويلات أهل السنة) والذي شرفني الله بأن نلت به درجة العالمية (الدكتوراه) في كلية أصول الدين بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات.. بفضل من الله وحده.. وقد أشرف عليها عدد من أجلاء

(١) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، الإمام عبد الوهاب الشعراني، ت: مهدي عرادي، ص ٩٢، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦ م.

علماء أصول الدين، أبرزهم: شيخنا علامة المعقول والمنقول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة رحمه الله (١).

وما إن انتهيت من مناقشة الرسالة حتى جاءتني عروض الطبع من أكثر من دار ممن يثقون بالفقير أو ما سمعه بعضهم من ثناء المناقشين عليها.. فله الحمد وحده، لكنني كنت أرى رأياً آخر، يتمثل في عدم نشر تلك الرسالة دفعة واحدة، لأسباب:

الأول: كبر حجمها وتشعب موضوعاتها إذ البحث في المنهج التفسيري إنما هو ثمرة آراء المفسر في المعرفة والكلام والأصول مما أسميته بالأطر المرجعية للمنهج، فطباعة كل هذا في مجلدين كبيرين قد يصرف بعض أهل العلم عن شرائها أو قراءتها والاستفادة مما فيها، لاسيما مع تعدد الاهتمامات وكثرة الانشغالات الصارفة عن قراءة حجم كبير!

الثاني: أنني لم أكتب في تلك الرسالة كل ما لدي، بل احتفظت ببعض الفقرات والمطالب والمباحث؛ بل الأبواب التي تصلح للنشر ككتاب.. وهو جهد لا أحب له أن يضيع..

لذلك كانت فكرة كتابة سلسلة تبرز معارف المدرسة الماتريدية وتحبي ما اندثر من تراثها تراودني حين تفرغت للتعرف على تراث السادة الماتريدية أعلى الله منارهم، حتى عزمت وتوكلت على الله تعالى.. وها أنذا أشرع بأول كتاب في تلك السلسلة المرتقبة والتي سيكون من بينها بحث الدكتوراه مجزءاً إلى قسمين أو ثلاثة كما أحسب إن شاء الله تعالى.

ستعنى هذه السلسلة التي خطط لها أن تكتمل في عشرة كتب - إن شاء الله تعالى وقدر- بتسليط الضوء على جوانب الفكر المتنوعة لدى تلك المدرسة متمثلة في شخص مؤسسها علم الهدى شيخ الإسلام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنه بالمقام الأول.

(٣)

أما هذا الكتاب فهو باكورة تلك السلسلة، ويتناول جوانب شخصية المؤسس التي طواها النسيان، حتى ما عادت تذكر ولا تعرف، اللهم إلا النزر اليسير مما هو معاد مكرور

(١) إذا قلت: [قال شيخنا] في الهامش، فهو!

في كتب التراجم، حتى فتح الله فجمعت كل ما وقع تحت يدي حول سيرته وما يمكن أن يدل على شيء في حياته، فتبعت فيه منهج التحليل والنقد، وسلطت الضوء على عصره، وما فيه من حركة علمية لا بد أنه تأثر بها؛ لتساعدنا في الوقت نفسه على الوقوف على الظروف التي أنتجت هذا الفكر على هذا الوجه، كما تتبعت جذور الإمام الفكرية حتى وصلت بها إلى منابعها الأولى؛ فخرج في هذا الحجم دون قصد ولا ترتيب، فجاء درة نفيسة بين الكتب، فيه ما ليس في غيره، ولا يغني عنه غيره، فضلاً من الله وكرماً لعبده الضعيف، وما توفيقي إلا بالله..

وسميت هذه الترجمة: (سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور)؛ لأنها بالفعل تسد ثغر مهمة في تعرفنا على شخصية هذا الإمام العظيم، ومدرسته الفكرية الممتدة إلى يومنا هذا..

والحمد لله وحده،

أحمد الدمنهوري

القاهرة / مدينة نصر

١٤ / ٣ / ٢٠١٥ م

بعد الثانية عشرة صباحاً

## الفصل الأول

### عصر الإمام الماتريدي وبيئته

«إقليم المشرق هو أجل الأقاليم، وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير، ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه الأعظم»<sup>(١)</sup>.

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ص ٢٦٠، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.



## تمهيد

عاش الإمام الماتريدي في سَمَرْقَنْد<sup>(١)</sup> من بلاد ما وراء النهر في «إقليم المشرق»<sup>(٢)</sup> وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث، والثالث الأول من القرن الرابع الهجريين، وهي الفترة التي تسمى في التاريخ الإسلامي السياسي والثقافي بفترة «العصر العباسي الثاني» الذي يمتد من عهد المتوكل ٢٣٢هـ / ٨٤٧م، حتى سقوط بغداد على يد التتار ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.

(١) قال في معجم البلدان (٣/٢٤٦) فيما بعدها باختصار، طدار صادر، بيروت): «سمرقند بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور، قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد... وقال الأزهري: بناها (شمر أبو كرب) فسميت (شمر كنت) فأعربت فقيل (سمرقند) هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها». وسمرقند قصبة الصغد و«القصبة في العرف هي أجل مدينة في الكورة أو الناحية» أ.هـ. ينظر: معجم البلدان ٣/٢٦٦.

(٢) ما وراء النهر (أي: نهر جيحون) يتبع إقليم المشرق، وهو إقليم ذو جانبيين، الأول: في الشرق وهو ما كان شرقى جيحون ويسمى بـ (ما وراء النهر)، وسكانه يسمون: الهياطلة، نسبة إلى هيطل بن عالم بن نوح، ويشمل: فرغانة والشاش وأسييجاب وأشروسنه والصغد (قصبتها سمرقند) وبخارى. أما الجانب الثاني: فهو في الغرب أي غرب نهر جيحون ويسمى (خراسان) ويشمل: بلخ وعزني، وبست وسجستان وهرارة وجوزجان ومرو ونيسابور وقهستان.

ينظر: (أحسن التقاسيم)، ص ٢٢١، و(الدولة العباسية)، الخضرى بك، ص ٣٣ و ٣٤، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٩م.

ويقول بارتولد (ص ١٤٥) إن (ما وراء النهر) هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهر أمودريا (جيحون) وسيردريا (سيحون) ويقول (ص ١٤٦) «نهر أمودريا يعرف حالياً باسم نهر (بنج)» أ.هـ.

ينظر: (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي)، فاسيلي بارتولد، تعريب: صلاح الدين هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ١، سنة ١٩٨١م.

ويقول محمود شيت خطاب: «وكان هذا النهر يعد هو الحد الفاصل بين الناطقين بالفارسية والتركية أي إيران وتوران، والعرب سموها: ما وراء النهر كما أسموها: الهيطل وساكنوه هم الهياطلة الذين كانوا أعدى أعداء الدولة الساسانية» أ.هـ.

ينظر: بلاد ما وراء النهر، محمود شيت خطاب، ص ٥، دار قتيبة، ط ٤، ١٩٩٠م.

وكانت منطقة سمرقند تخضع في حياة الإمام الماتريدي لسلطان الأسرة السامانية (٢٦١ هـ - ٣٩٥ هـ) ذات الأصول الفارسية، وقد قامت دولتهم على أنقاض الدولة الطاهرية (٢٠٥ هـ - ٢٥٩ هـ) ذات الأصول الفارسية أيضًا.

وهنا سأحاول إلقاء الضوء على هذه الفترة التاريخية التي عاشها الإمام الماتريدي في نواحيها السياسية والاجتماعية والعلمية في ظل الدولة الكبرى: دولة الخلافة العباسية، والولاية المستقلة: السامانية، وذلك بالقدر الذي يضع أيدينا على بيئة الإمام الماتريدي؛ لما قد يكون لهذه النواحي من أثر في توجهاته الفكرية؛ وذلك من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

\*\*\*

## المبحث الأول

### الحالة السياسية في عصر الإمام الماتريدي»



## المطلب الأول

## الحالة السياسية في الدولة العباسية

نستطيع أن نرصد ظاهرتين رئيسيتين ميزتا العصر العباسي الثاني في ناحيته السياسية، هما:

الظاهرة الأولى: ضعف أمر الخلافة:

ضعفت الخلافة الإسلامية عما كانت عليه في عصرها العباسي الأول؛ نتيجة استيلاء العسكر على الحكم حتى عرف العصر بأنه «عصر نفوذ الأتراك»<sup>(١)</sup>. وهذه نبذة عن أهم الخلفاء الذين عاصروهم الإمام الماتريدي.

تولى الخلافة	الخليفة	تسلسل
٨٤٧هـ / ٢٣٢م	المتوكل	١
٨٦١هـ / ٢٤٧م	المتنصر بالله (ابن المتوكل)	٢
٨٦٢هـ / ٢٤٨م	المستعين بالله (ابن المعتصم)	٣
٨٦٦هـ / ٢٥٢م	المعتز بالله (ابن المتوكل)	٤
٨٦٩هـ / ٢٥٥م	المهتدي بالله (ابن الواثق)	٥
٨٧٠هـ / ٢٥٦م	المعتد على الله (ابن الواثق)	٦
٨٩٢هـ / ٢٧٩م	المعتضد بالله (حفيد المتوكل)	٧
٩٠٢هـ / ٢٨٩م	المكتفي بالله (ابن المعتضد)	٨
٩٠٨هـ / ٢٩٥م	المقتدر بالله	٩
٩٣٢هـ / ٣٢٠م	محمد القاهر (ابن المعتضد)	١٠
٩٣٤هـ / ٣٢٢م	الراضي بالله (ابن المقتدر)	١١
٩٤٠هـ / ٣٢٩م	المتقي لله	١٢

(١) ينظر في خطر الحكم العسكري: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ٢٣/٥ وما بعدها، ٧/٦ وما بعدها، المكتب الإسلامي، ط٦، ٢٠٠٠م.

أما المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ): فقد كان يميل إلى مذهب أهل السنة، وبدأ حكمه بنهى الناس عن القول بخلق القرآن الذى شغل الخلفاء الثلاثة (المأمون والمعتصم والواثق) قبله، وأمر المحدثين بالتحديث وإظهار السنة، وكتب بذلك إلى الأمصار، فكان لعمله هذا تأثير حسن في نفوس الناس، وبالعوا في تعظيمه والثناء عليه؛ حتى قال قائلهم: «الخلفاء ثلاثة: أبو بكر يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز في رده المظالم، والمتوكل في إحياء السنة»<sup>(١)</sup>.

وأما المنتصر بالله (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ): فهو ابن المتوكل وقاتله، قال عنه ابن الأثير: «عظيم الحلم راجح العقل غزير المعروف، راغباً في الخير جواداً، كثير الإنصاف حسن العشرة»<sup>(٢)</sup>. ومع ذلك فقد «كان فاتكاً سفاكاً»<sup>(٣)</sup> وقد حسن له الأتراك خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، وكان يعطف عليهم قبل قتل أبيه، إلا أنه ما لبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول: (هؤلاء قتله الخلفاء) ففكر الأتراك في قتله، ففعلها طبيبه مقابل مال<sup>(٤)</sup>.

وأما المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ): فقد ولاه القادة الأتراك ولم يرضوا بتولية أحد من أولاد المتوكل حتى لا ينتقم منهم، لقتل أبيه وأخيه، يقول صاحب الفخري: «واعلم أن المستعين كان مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره، وكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ولم يكن فيه من الخصال الكريمة إلا أنه كان كريماً وهوباً»<sup>(٥)</sup> ولما أحسوا أن المستعين يريد القضاء عليهم: عزلوه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل، ثم سلط عليه الأتراك من قتله<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافى، ٣/ ١٠، ١١، و: الدولة العباسية، محمد الحضرى بك، ص ٢١٣، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩ م.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط بولاق.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية، محمد بن طباطبا (ابن الطقطقي)، ص ١٧٥، المطبعة الرحمانية، دون تاريخ.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي، ٣/ ١٢، ١٣، وانظر الدولة العباسية، الحضرى، ص ٢٢٧ فما بعدها.

(٥) الفخري، ص ١٧٧.

والهوب: صيغة مبالغة من الهبة، أي كثير العطاء، ومنه قول حسان بن ربيعة:

نفرت قلو صبي من حجارة حرة بنيت على طلق اليبدين وهوب

ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ هـ)، ت: مهدي المخزومي، ٥/ ١٠٢، باب القاف والطاء

والام معهما.

(٦) ينظر تاريخ الإسلام، ٣/ ١٤، ١٥، والدولة العباسية، الحضرى، ص ٢٣٠ فما بعدها.

وأما المعتز بن المتوكل (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ): فيقول عنه صاحب الفخري: «وكان المعتز جميل الشخص حسن الصورة، ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس، إلا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شأوا أبقوه وإن شأوا خلعه وإن شأوا قتلوه»<sup>(١)</sup>، ولم تستمر خلافته طويلاً فما لبث أن قتله الأتراك قتلة مُدلة؛ إذ قُبِلَ قتله صبراً جروه من رجله ولطموه، وأقاموه في الشمس في الدار وكان إذا رفع جلا يضع أخرى لشدة الحر، ومنعوه من الشرب ثلاثة أيام، قبل إدخاله بيتاً وإغلاقه عليه حتى مات<sup>(٢)</sup>. «وفي أيامه ظهر يعقوب بن الليث الصفار واستولى على فارس وجمع جمعاً كثيراً، ولم يقدر المعتز على مقاومته»<sup>(٣)</sup>.

أما المهتدي بن الواثق (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ): فقد ولى الخلافة بعد قتل ابن أخيه المعتز وقد ذكر ابن كثير أنه «كان من أحسن الخلفاء مذهباً وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعاً وعبادة وزهادة.. وقال بعضهم: سرد المهتدي الصوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله، وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط، ولو عاش ووجد ناصراً لساير سيرته ما أمكنه وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلّوهم وانتهكوا منصب الخلافة»<sup>(٤)</sup>، وقد حدث في عهده عدد من الثورات من قبل العلويين، وثورة الزنج التي هددت الخلافة زهاء أربعة عشرة سنة (٢٥٥ هـ: ٢٧٠ هـ)، وشق الخوارج عصا الطاعة بالموصل<sup>(٥)</sup>.

أما المعتمد على الله ابن المتوكل (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ): فقد «كان مستضعفاً وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره، وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بإمرة

(١) الفخري، ص ١٧٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٣/ ١٥، ١٦.

(٣) الفخري، ص ١٧٨، وينظر: الدولة العباسية، الحضرى، ص ٢٣٨ فما بعدها.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير مج ٦، ١١/ ٢٩ باختصار.

(٥) وينظر: تاريخ الإسلام، ٣/ ١٦: ١٨، والحضرى، ص ٢٤٤ فما بعدها.



المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته<sup>(١)</sup>، وينقل ابن كثير عن ابن الأثير في أحداث عام ٢٦٦هـ قوله: «وفيها اشتد الحال وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهياج والفتن وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد؛ بسبب ضعف منصب الخلافة واشتغال أخيه أحمد بقتال الزنج»<sup>(٢)</sup>.

وقد وقعت في عهده أحداث هامة، كان لها أثر بالغ في تاريخ الدولة العباسية، أهمها: ثورة الزنج، واختفاء الإمام الثاني عشر عند الإمامية، وظهور الإسماعيلية الذين ينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت: ١٤٣هـ)، وعلى إثر الحروب المتصلة مع الزنج والخوارج وغيرهم وانصراف الخليفة إلى ملذاته: ضاعت حرمة الخلافة واستقل العمال بالولايات، فظهرت الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ)، والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ)، والطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ)، وكانت هذه الدول شبه مستقلة لا علاقة لها بالخلافة، وكانت سنوات فتن واضطرابات<sup>(٣)</sup>.

أما المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ): فهو ابن الموفق بن المتوكل ولي الخلافة وحسنت سيرته وأحبه الناس، فقد «كان شهياً عاقلاً فاضلاً مُحدث سيرته، ولي الدنيا خراب والثغور مهملة، فقام قياماً مرضياً حتى عُمُرت مملكته وكثرت الأموال وضُبطت الثغور، وكان قوي السياسة شديداً على أهل الفساد حاسماً لمواد أطباع عساكره عن أذى الرعية، محسناً إلى بني عمه من آل أبي طالب، وكانت أيامه أيام فتوق وخوارج كثيرين.. فقام المعتضد في إصلاح المتشعب من مملكته والعدل في رعيته»<sup>(٤)</sup>، وفي عهده خرج عمرو بن الليث الصفار، وكان قد عظم شأنه - أي عمرو - وفخم أمره واستولى على أكثر بلاد العجم، وكان يقول: لو شئت أن أعقد على نهر بلخ جسراً من ذهب لفعلت. وكان مطبخه يحمل ستمائة حمل، فألّت عاقبته

(١) الفخري، ص ١٨٣.

(٢) البداية والنهاية، ٤٧/١١، مج ٦.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، ١٨/٣: ٢٣، والخضري، ص ٢٤٩ فيما بعدها.

(٤) الفخري، ص ١٨٧، باختصار.

إلى القيد والأسر والذل<sup>(١)</sup> وفي عهده ظهرت فرقة القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط، وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي، من زعمائهم، كما ظهر نصر بن أحمد الساماني مؤسس الدولة السامانية<sup>(٢)</sup>.

أما المكتفي بالله ابن المعتضد (٢٨٩-٢٩٥هـ): فقد كان «من أفاضل الخلفاء، هو الذي بنى المسجد الجامع بالرحبة ببغداد. وفي أيام المكتفي ظهر القرامطة، وهم قوم من الخوارج، خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة، وسرح المكتفي إليهم جيوشاً كثيرة فأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم»<sup>(٣)</sup>، وفي عهده كان السامانيون هم أصحاب النفوذ المطلق في فارس، كما زالت في عهده الدولة الطولونية سنة ٢٩٢هـ<sup>(٤)</sup>.

أما المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ): فهو أخو المكتفي ابن المعتضد «بويح له بالخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة وكان المقتدر سمحاً كريماً كثير الإنفاق، ردرسوم الخلافة من التجميل وسعة الإدارات والمعاش وكثرة الخلع والصلات. وكان في داره أحد عشر ألف خادِم خصي من الروم والسودان، وكانت خزانة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة.. ففرقه جميعه وأتلفه في أيسر مدة. وفي أيامه قتل الحلاج (ت: ٣٠٩هـ).. وفي تلك الأيام اقتلع القرامطة الحجر الأسود ومكث في أيديهم أكثر من عشرين سنة.. ودولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه؛ فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم، وهو مشغول بلذته، فخربت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة فخلع ثم أعيد ثم قتل. وفي تلك الأيام نبعت الدولة الفاطمية بالمغرب»<sup>(٥)</sup>.

وأما القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ): فهو ابن المعتضد وأخو كل من المكتفي والمقتدر، «وكان مهيباً مقداماً على سفك الدماء أهوج محباً لجمع الأموال رديء السياسة، صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر، وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس وعذبها بصنوف

(١) الفخري، ص ١٨٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ٢٣/١٣ فيما بعدها، والخضري، ص ٢٦٥ فيما بعدها.

(٣) الفخري، ص ١٨٨.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، ٢٥/٣ فيما بعدها، والخضري، ص ٢٧٥ فيما بعدها.

(٥) انظر: الفخري، ص ١٨٩ باختصار، وكذا تاريخ الإسلام ٢٦/٣ فيما بعدها، والخضري، ص ٢٨٣ فيما بعدها.

عظيمة من الضرب والإهانة، واستخرج منها مائة وثلاثين ألف دينار، وبقيت بعد ذلك أيامًا قليلة وماتت حزنًا على ولدها ومما جرى عليها من العذاب... وفي تلك الأيام نبعت الدولة البويهية<sup>(١)</sup>.

وأما الرازي (٣٢٢-٣٢٩هـ): فهو ابن المقتدر بن المعتضد، «كان شاعرًا فصيحًا لبييًا ختم الخلفاء في أشياء، منها أنه آخر خليفة دون له شعر، وآخر خليفة انفرد بتدبير الملك، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء ووصل إليه العلماء، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين.. وفي أيام الرازي ضعف أمر الخلافة، فكانت فارس في يد علي ابن بويه، والري وأصفهان والجبل في يد أخيه الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد ابن طغج، ثم في أيدي الفاطميين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي، وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن أحمد الساماني»<sup>(٢)</sup>.

وفي عهده ظهر نظام أمرة الأمراء (٣٢٤هـ) الذي كان بموجبه يتولى أمير الأمراء كل شيء تقريبًا، وهذا المنصب عبارة عن نقل كل صلاحيات الخليفة إلى قائد تتوفر فيه صفات الرئاسة المدنية والقيادة العسكرية<sup>(٣)</sup>.

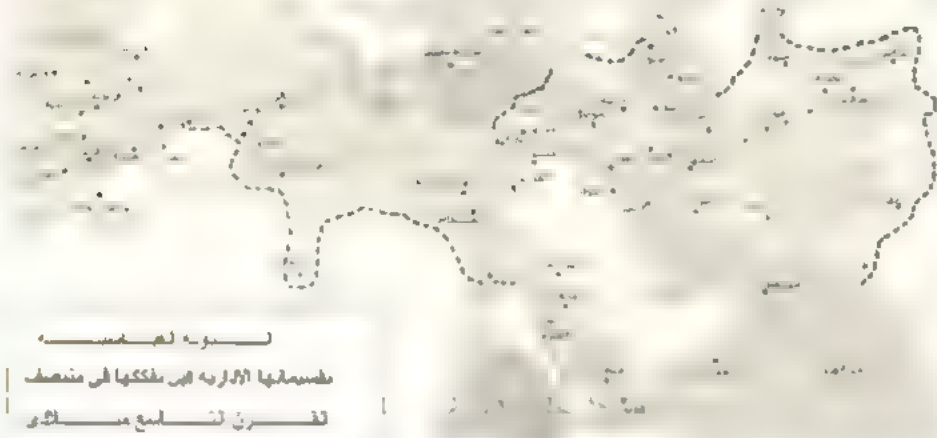
وأما المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ): فهو ابن المقتدر بن المعتضد. كان مجرد العوبة بأيدي القادة المتنافسين على السلطة، حيث ظهر نظام أمرة الأمراء ولم يكن للخليفة في تصريف الأمور شيء، بل كان الأمر كله في يد أمير الأمراء<sup>(٤)</sup>.

(١) الفخري، ص ٢٠١ باختصار، والخضري، ص ٣٠١ فما بعدها.

(٢) الفخري، ص ٢٠٤، ٢٠٥ باختصار.

(٣) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص ١٦٩، وانظر: ٣٠٤ فما بعدها.

(٤) تاريخ الدولة العباسية، ١٦٨ فما بعدها، وتاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٣٢٢ فما بعدها، والخضري، ص ٣١٠ فما بعدها.



### الظاهرة الثانية: الحكم اللامركزي والولايات المستقلة:

نشأت في العصر العباسي الثاني دويلات داخل الدولة الإسلامية ارتبطت بالخلافة شكلاً ورسماً<sup>(١)</sup> فانتقل الحكم من المركزية في العصر العباسي الأول إلى اللامركزية في العصر العباسي الثاني<sup>(٢)</sup> إلا أن هذه اللامركزية صاحبها ضعف القلب، حتى إنه لم يبق للخليفة إلا بغداد وما حوّلها مع بقاء رابطة الولاء للخلافة<sup>(٣)</sup> حتى إنه ليخيل لقارئ التاريخ أن الخلافة تفتت وآل أمرها إلى ما يشبه الدول القطرية الحديثة.

(١) حيث كان يدعى للخليفة على المنابر، وتضرب النقود باسمه قبل اسم الأمير المستقل، ويرسل قسم من الخراج إلى بيت المال، ينظر: تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٣٨، نقلاً عن محمد سهيل طقوش، ص ١٥٦.

(٢) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص ١٥٦، دار النفائس، ط ٧، سنة ٢٠٠٩ م.

(٣) جاء في رحلة ابن فضلان أنه لما دخل على نصر بن أحمد، والي الدولة السامانية، قال له: «كيف خلقتكم مولاي أمير المؤمنين أطال الله نقاءه وسلامته» أ.هـ. مما يجعلنا نشبه العلاقة القائمة بين هذه الولايات ومركز الخلافة بالنظام الذي يطلق عليه حديثاً: النظام الكونفدرالي.

ينظر: رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالية، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ)، ص ٤٦.



وقد قامت في المشرق الإسلامي في الفترة التي نتحدث عنها - الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ)، والدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٨هـ)، والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ). وكذلك زادت الدول المستقلة، في مغرب الدولة الإسلامية وخاصة في مصر، فقد قام المهاليك بتأسيس دول لهم في مصر مثل: الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ)، والدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ)، والدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر (٢٩٧-٥٦٧هـ). وظهرت دول أيضًا في وسط الدول الإسلامية فقد قامت الدولة الحمدانية في الموصل (٣١٧-٣٨٠هـ) وفي حلب (٣٣٣-٣٩٤هـ)<sup>(١)</sup>.

أما السبب في حدوث هذه الظاهرة فلن نخطئ عين القارئ لأحداث التاريخ الإسلامي في تلك الفترة أن السبب الرئيس هو ضعف أمر الخلافة، وانصراف الخلفاء في الغالب عن شؤون الرعية إلى ملاذهم أو صراعاتهم، وترك الأمر لمجموعة العسكر من الأتراك أو لوزرائهم من الفرس أو حتى لخدمهم وأمهاتهم وزوجاتهم! مما جعل ولاء الناس ينصرف لمن يهتم لشؤونهم مما سهل قيام دويلات تخضع شكلًا للخلافة لكنها عمليًا مستقلة في إدارة شؤونها<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم: ٣/ ٧١ فيما بعدها، دار لسويدي، أبو ظبي، بدون تاريخ.

(٢) أما ما يقوله بارتولد (ينظر: تركستان، ص ٣١٨، ٣١٩) من أن الاهتمام باستتباب الأمن في داخل البلاد وخرجها لم يصبح حقيقة واقعة إلا بعد أن وضعت الدولة حدًا لنظام الولاة المتعاقبين واستعاضت عنه بتعيين حكام وراثيين من بين صفوف الأرستقراطية المحلية من لديهم إلمام بظروف البلاد وتمتعوا بثقة سكانها وكان من الطبيعي فيما بعد أن يهتم هؤلاء الحكام لمصالحهم الشخصية أكثر من اهتمامهم لمصالح الخلفاء وأن تتضاءل شيئًا فشيئًا تبعيتهم للحكومة المركزية لتصبح فيما بعد تبعية اسمية لا أكثر. أ.هـ. فإن هذا الكلام إذا صدق عن بعض الحالات كما في الدولة السامانية فإنه لا يصدق على البعض الآخر أو على الأغلب بالأحرى، كما في الدولة لفاطمية.

أما ضعف أمر الخلافة نفسه فيرى محمد الخضري بك أنه كان ضعفا بنيويًا رافقها منذ ظهورها، وهو ضعف العصبية القومية. متأثرًا في هذه لفكرة بابن خلدون في مقدمته فيما يبدو! ومع ذلك استمرت رغم ضعفها بسبب الفطاء الديني الذي تمتع به الخلفاء، كما ضعفت بسبب منافسة العلويين ومحاولات خروجهم، بالإضافة إلى ضعف قيمة العهود.

ينظر: تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، محمد الخضري بك، ص ٤٠٧ فيما بعدها.

## المطلب الثاني

### الحالة السياسية في الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ)

تنسب هذه الدولة إلى أسرة فارسية عريقة، وقد نال السامانيون حظوة كبيرة عند الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) فولاهم بلاد ما وراء النهر ورفع شأنهم، وقد ارتد سامان عن مذهب زرادشت واعتنق الإسلام وسمى ابنه باسم أسد بن عبد الله القسري وإلى خراسان في أواخر عهد الأمويين، ولا علم لنا بحياة أسد هذا ولكن أبناءه وهم: نوح وأحمد ويحيى وإلياس قد اشتركوا في إخماد ثورة رافع بن الليث الصفار، وكانوا قد دخلوا في خدمة المأمون قبل الطاهريين؛ فقد لوحظ وجود عدد منهم في بلاط الخلفاء ببغداد<sup>(١)</sup> ولكنهم لم يرقوا إلى أكثر من حكم بلاد ما وراء النهر، فولى نوح ابن أسد: سمرقند سنة ٢٠٤هـ<sup>(٢)</sup>، وأحمد بن أسد: فرغانة، ويحيى بن أسد: الشاش وأشروسنة، وإلياس بن أسد: هراة، ولما ولى طاهر بن الحسين خراسان أقرهم في هذه الأعمال<sup>(٣)</sup>.

قامت هذه الدولة في إقليم ما وراء النهر ثم امتدت إلى إيران وخراسان وطبرستان والري والجل وسجستان وحاولت إحياء اللغة والثقافة الفارسية<sup>(٤)</sup>. وقد ولى أمر هذه الدولة عدد من الأمراء نكتفى بذكر من عاصرهم الإمام الماتريدي، وهم:

**نصر بن أحمد: نصر الأول (٢٦١-٢٧٩هـ)**، هو أحد أبناء أحمد السبعة، خلف أباه

(١) مما جعل بارتولد يقول أن هذا هو السبب في اهتمام الخلفاء المتعاقبين بهذه المنطقة، تركستان، ص ٣٣٦.

(٢) فالإمام الماتريدي ولد وعاش ومات في ظل حكم السامانيين سواء قبل الاستقلال عن الخلافة أو بعد ذلك، لذلك لم تتعرض للدولتين الطاهرية أو الصفارية التين هيمنتان على ما حول سمرقند قبل الدولة السامانية.

(٣) تاريخ الإسلام: ٣/ ٨٠، وتركستان، ص ٣٣٦ بتصرف واختصار منه.

(٤) الخلافة العباسية، الهاشمي، ص ٣٩٢، دار ابن حزم، ط ٢، ٢٠٠٦م، وتاريخ الدولة العباسية، طقوش،

على سمرقند وما يليها من قبل الطاهريين<sup>(١)</sup> حتى ولاه الخليفة المعتمد بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ ومن ثم تأسست الدولة السامانية وأصبح نصرا من القوة بحيث استطاع أن يولي أخاه إسماعيل على بخارى<sup>(٢)</sup>.

إسماعيل بن أحمد (٢٧٩-٢٩٥هـ)، قويت الدولة السامانية وقامت بدور مهم في إزالة الدولة الصفارية<sup>(٣)</sup>، قال عنه ابن كثير: «أحد ملوك خراسان وهو الذي قتل عمرو ابن الليث الصفار الخارجي وكتب بذلك إلى المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفى الري وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم وأوقع بهم بأسا شديدا، وبنى الربط في الطرقات، يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافا جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد

(١) الدولة الطاهرية نشأت بإرادة الخلافة. أسسها: طاهر بن الحسين، أحد قادة المأمون الذي ولاه على خراسان في عام ٢٠٥هـ وأضاف إليه أعمال المشرق كلها من بغداد، اتخذ طاهرا نيسابور قاعدة له، وراودته نزعة انفصالية فقطع الدعاء للخليفة، ثم طرح لبس السواد معلنا انفصاله عن بغداد إلا أنه توفي فجأة، وقبل أن المأمون هو الذي دس له السم، ومع ذلك فقد أقر المأمون ابنه طلحة على ولاية خراسان، واستمر الطاهريون بعد ذلك على ولائهم للخلافة؛ ففرهم العباسيون ومالوا إلى جانبهم في صراعهم مع الصفاريين.

ينظر: تاريخ الدولة العباسية، طقوش، باختصار، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي: ٨٠/٣.

(٣) أسسها يعقوب بن الليث الصفار الذي أغار على الدولة الطاهرية في خراسان والتي أسست في عهد المأمون حيث اشتد نفوذها حتى حدود الهند، حاول يعقوب بسط نفوذه على المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية مما أثار حفيظة الخليفة المعتمد إلا أن ضعف الخليفة جعله يتراجع عن موقفه تجاهه، وما لبث أن ولاه على خراسان وبلاد فارس بالإضافة إلى شرطي بغداد وسر من رأى، كما عقد على كرمان وسجستان واهند، وحاول الاستيلاء على بغداد مقر الخلافة لكنه فشل، ولما توفي يعقوب خلفه عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥-٢٨٧هـ) الذي أقره الموفق أخو الخليفة المعتمد على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان وشرطة بغداد إلا أن العلاقة ساءت فعزله المعتمد وأمر بلعنه على المنابر، وقلد محمد بن طاهر بلاد خراسان، وظل الأمر بين شد وجذب حتى حاول عمرا الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، فوقف له أحمد بن إسماعيل ابن أحمد الساماني وهزمه ووقع أسيرا في قبضته وتشتت شمل جيشه، فقامت الدولة السامانية على أنقاضها بعد ولاية ضعيفة لطاهر بن محمد بن عمرو بن الليث تمكن خلالها أحمد بن إسماعيل الساماني من إزالة الدولة الصفارية نهائيا.

ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ٧٢: ٧٧ باختصار وتصرف.

بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة.. فبعث بها إلى المعتضد وشفع في طاهر، فشفعه فيه<sup>(١)</sup>، ولا يزال قبره حتى اليوم بمدينة بخارى معروفا<sup>(٢)</sup>.

أحمد بن إسماعيل (٢٩٥-٣٠١هـ)، أقره الخليفة المكتفى، وفي عهده استولى السامانيون على سجستان بعد حروب مع بقايا الصفاريين، مات في رحلة صيد على يد سبعة من غلمانه، فحُمل إلى بخارى ولُقب بـ (الشهيد)<sup>(٣)</sup>.

نصر بن أحمد: نصر الثاني (٣٠١-٣٣١هـ) كان في الثامنة من عمره حين مات أبوه، ومع ذلك أقره الخليفة المكتفى على بلاد أبيه وتلقب بـ (السعيد)، وضبط بلاده أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، وبالرغم من ثورة عم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد صاحب سمرقند عليه في بداية الأمر إلا أن الهزيمة حلت به<sup>(٤)</sup>، يقال إنه اعتنق المذهب الإسماعيلي وأنه كان يدعم حركة القرامطة<sup>(٥)</sup>، مما أغضب علماء الدين وقادة الحرس التركي الذين دبروا مؤامرة للإطاحة به، علم نصر بها، فتنازل عن العرش لابنه نوح ابن نصر، فرضى الترك بذلك، ثم أعلن نوح حربه على القرامطة، ومنذ تلك اللحظة لم يستطع القرامطة البقاء في بلاد ما وراء النهر إلا خفية<sup>(٦)</sup>.

نوح بن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ): حارب القرامطة وأخذ زعيمهم وأعدمه شنقا إلا أنه لم يقض عليهم نهائيا<sup>(٧)</sup>، وفي عهده ثار أمراء الأقاليم واستقل كل واحد منهم بناحية، فواجه

(١) البداية والنهاية، مج ٦، ١١/١٢٥.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، ٨١/٣.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي باختصار، ٨١/٣، ٨٢.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، ٨٢/٣.

(٥) أكد ذلك الكاتب الإسماعيلي المعاصر: عارف تامر، أثناء حديثه عن أبي يعقوب إسحاق السجستاني صاحب رسالة (تحفة المستجيبين) حيث تحدث عن الداعي النخشي وذكر أن له جهودا مع: نصر بن أحمد، حتى اعتنق المذهب.

ينظر: (خمس رسائل إسماعيلية)، تحقيق عارف تامر، منشورات دار الإنصاف سوريا، عام ١٩٥٦م.

وينظر: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٩٤، بوريوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، دون تاريخ أو طبعة.

(٦) ينظر: تركستان، ص ٣٧٥، ٣٧٦، وينظر: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٩٤.

(٧) العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٩٤.



هذه الثورات وتصدي لها، ولم يكن النصر حليفه دائماً مما أضعف الدولة السامانية. ومن أشد الصعوبات التي واجهته غزو ركن الدولة البويهى بلاد الري واستيلائه عليها، لكن جيش السامانيين استطاع أن يسترد الري بقيادة أبي على الأصفهاني، أحد قادة الأمير نوح، لكن هذا القائد سرعان ما انقلب على الأمير فاستولى على الري وأخذ خراسان وانحسر نفوذ السامانيين فلم يتجاوز حدود ما وراء النهر<sup>(١)</sup>. وفي عهده حدثت أزمات مالية نتيجة الحروب مما أعجزه عن دفع الرواتب واضطره لزيادة الضرائب، وقد عارضه العلماء ومنهم الإمام الماتريدي، وكان اقتتاد الدولة لتعاطف العلماء معها سبباً في انهيارها<sup>(٢)</sup>.

وبصفة عامة: فقد «تمتع أمراء السامانيين باستقلالية عن الخليفة كما يشير معظم المؤرخين وإن كانوا يلجأون إليه أحياناً لفض النزاع، كما أطلق عليهم المؤرخون من الفرس أحياناً لقب أمير المؤمنين»<sup>(٣)</sup> فلم يكن استقلالهم ذلك الاستقلال الذي يخرج عن الخلافة، بل كانوا «الأداة الطيعة المنفذة لأوامر خلفاء بني العباس»<sup>(٤)</sup>، مما أعطاهم حرية في الحركة تشبه الاستقلال في القرار والحكم نتيجة الثقة من جانب الخلفاء فيهم، وقد اتجهوا نحو التوسع الخارجي متجنبين الدخول في نزاعات داخلية؛ فكان لهم دور كبير في نشر الإسلام في بلاد التركستان بين الوثنيين<sup>(٥)</sup>. وهذه خريطة توضح موقع الدولتين الصفارية والسامانية ودخول سمرقند موطن الإمام الماتريدي ضمن الدولة السامانية<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) جغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، ص ٨٥، ٨٦ بتصرف واختصار.

(٢) ينظر: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٩٤، ٩٥. وينظر: شرح الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى النفعات السنية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي، ص ٤٥، دار المعرفة بيروت، د.ت.

(٣) تركستان، ص ٣٥٤.

(٤) الخلافة العباسية، هاشمي، ص ٣٩٣، وتاريخ الدولة العباسية، ص ١٩٤.

(٥) تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص ١٩٢.

(٦) أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ص ٥٢، ٥٣، شوقي أبو خليل، دار الفكر دمشق ط ٥، سنة ٢٠٠٢م.

## الصفارية - السامانية



الدولة الصفارية بطبرستان:	الدولة الصفارية ببجستان:	الدولة السامانية ما وراء النهر:
٢٥٠ - ٣١٦ هـ ٨٦١ - ٩٢٨ م	٢٥٢ - ٣٩٨ هـ / ٨٦٧ - ٩١٠ م	٣٦١ - ٤٩٥ هـ / ٨٧١ - ١٠٠٤ م
١. الحسن بن زيد	١. أسبها بن محبوب بن قيث الصفار وبها من جستان	١. عبد الله بن نوح
٢. محمد بن زيد	٢. محمد بن أسبها	٢. أحمد بن محمد بن سامان
٣. الحسن بن علي (الأطروش)	٣. طاهر بن محمد بن عمرو	٣. أحمد بن منصور
٤. الحسن بن قائم	٤. البخت بن علي بن أسبها	٤. منصور بن نوح
٥. الدولة الزيدية	٥. محمد بن علي بن زيد	٥. عبد الله بن نوح
		٦. أحمد بن منصور



المبحث الثاني  
الحالة الاجتماعية والاقتصادية  
في عصر الإمام الماتريدي





## المطلب الأول

### الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية

#### - طبقات المجتمع:

كانت طبقات المجتمع في العصر العباسي تتألف من: طبقة عليا تشمل الخلفاء والوزراء والقواد والولاة، وهؤلاء تمتعوا بكافة أنواع النعيم والترف، وفسد الكثير منهم، وبالفوا في المجون واللهو، ثم طبقة وسطى شملت رجال الجيش والعلماء والشعراء والمغنين والموظفين، وهؤلاء قد اعتمدوا على ما تعطيه لهم الدولة من أموال أو رواتب، ومعهم التجار والصناع، ثم طبقة دنيا تشمل أصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق الذين عانوا من الضنك والبؤس<sup>(١)</sup>.

أما طبقة الرقيق فقد كانت مصر وشمال أفريقيا أهم أسواقها وقد استخدموا لأغراض الفلاحة والحراسة وغيرها من المهن المتدنية والحقيرة، ولكثرتهم البالغة في بغداد وما حولها مع اضطهادهم وهضم حقوقهم وتطعيمهم: كانت ثورة الزنج، التي دامت أكثر من أربعة عشر عامًا (٢٥٥-٢٧٠هـ) وكلفت الدولة العباسية الكثير. كما كثر الرقيق الأبيض من النساء والرجال، فعمل النساء منهم غالباً في الغناء والرقص والتسري حتى كان العديد من الخلفاء من أمهات أصلهن من الرقيق، وكانت سمرقند مكاناً صالحاً ل جلب هذا النوع منهن، أما الرجال من الرقيق فلم ينظر لهم نظرة ازدراء إذ كان منهم العلماء والقادة.

وكان المجتمع الإسلامي يتألف من عدد من القوميات المختلفة العرق هي: العرب والفرس والمغاربة، ثم دخل العنصر التركي في عهد الخليفة المعتصم الذي اتخذهم حرساً له حتى أصبحوا خطراً على الدولة وكانوا من أسباب ضعفها.

(١) ينظر: العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ص ٥٣ فما بعدها، بتصرف واختصار، ط ٣، دار المعارف.

كما وجد في المجتمع الإسلامي: أهل الذمة من اليهود والنصارى، بل يكاد يكون نصف المجتمع الإسلامي منهم، وقد تمتعوا بحرية في العقيدة وحرية في بناء دور عبادتهم<sup>(١)</sup>، وقد اعترفت الدولة بالمجوس على أنهم من أهل الذمة وكثر عددهم في العراق وجنوب فارس<sup>(٢)</sup>.

### - الشعوبية (التعصب للعرق):

زادت حدة الشعوبية في هذا العصر فكل عرق يعتز بقوميته ويحاول الخط من الآخرين، لاسيما العرب الذين كانوا قبل الإسلام أقل من الشعوب التي حولهم علما وحضارة وملكا فأعزهم الله بالإسلام ورفع قدرهم، لكن ضعاف النفوس لم يعجبهم ما فضل الله به بعضنا على بعض، مستغلين في ذلك حرياتهم المكفولة وتسامح الدولة الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

وقد تصدى ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) لهذه النزعة في العديد من الكتابات فكتب الجاحظ في (البيان والتبيين) باباً طويلاً سماه (باب العصا) لطنعهم على العرب في إمساكهم العصا أثناء الخطابة مما يشغل الذهن، كما كتب ابن قتيبة كتاب (العرب) و(أدب الكاتب)، وحاول في (أدب الكاتب) أن يجمع بين كل هذه الثقافات؛ ليقول: إن الكل مهم وضروري ولا يُستغنى عن واحد بغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) مسألة تمتع أهل الكتاب بحرية كبيرة في ديار الإسلام لا تحتاج إلى شواهد، وأكتفى هنا فقط بما يقوله المستشرق آدم متز في كتابه القيم: (عصر النهضة في الإسلام)، بعد أن تحدث عن حدود المملكة الإسلامية، قال: «وقد طوف ناصر خسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر بعد المسيح».

ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام)، آدم متز، تعريب: محمد عبدهادي أبو ريقة، ٢٢/١، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، دون تاريخ.

وناصر خسرو: رحالة فارسي له كتاب «سفر نامه» ترجمه الدكتور يحيى الخشاب، مطبوع في دار الكتاب الجديد بيروت.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ٣/ ٤٣٠ فما بعدها بتصرف واختصار.

(٣) ينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص ١٥١ فما بعدها.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص ٩٨ فما بعدها، بتصرف واختصار.

وكان من أسوأ ما نتج عن الشعوبية: الزندقة<sup>(١)</sup>، وقد اتخذت الزندقة شكلين<sup>(٢)</sup>:

الأول: الزندقة الحقيقية وهي الزندقة في العقيدة، وكانت كلمة زندقة<sup>(٣)</sup> تطلق على كل من قال بالنور والظلمة وتبع أي ديانة من ديانات الفرس، ثم اتسع مدلولها فشملت كل ماجن إياحي ملحد خارج عن الأديان مشكك في النبوات، فظهر في هذا العصر أبو عيسى الوراق (ت ٢٤٧هـ) الذي أثر في تلميذه أحمد بن إسحاق الراوندي (ت ٢٥٠هـ تقريباً) الذي كان بدوره معتزلياً ثم أُلحد<sup>(٤)</sup>، وقد رد عليه الماتريدي في تفسيره في أكثر من موضع<sup>(٥)</sup>، وفي كتاب (التوحيد) في مواضع<sup>(٦)</sup>، وكان أهم من نقض عليه آراءه عبد الرحيم بن محمد المعروف بالخياط في كتابه: (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد)<sup>(٧)</sup>.

الثاني: الزندقة الشكلية، والتي تتمثل في كثرة المُجَّان والخلعاء الذين لا يراعون حرمان

(١) في ارتباط الشعوبية (الموجهة ضد العرب باحتقارهم) بالزندقة قديماً وحديثاً، يقول الجاحظ: «إن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتنادي فيه وطول الجدل المؤدي إلى الضلال، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تتنقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقذوة» أ.هـ. ينظر: الحيوان، للجاحظ، ١٣١/٧، ط دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) ينظر: تيارات ثقافية، ص ١٣١ فما بعدها.

(٣) يقول الدكتور الخوفي: «كلمة (زنديق) محرفة من (صديق) التي تستعمل في العربية والعبرية بلفظها ومعناها، وهي بالآرامية والسريانية (زديق) ومن الثابت أن الفارسية الفهلوية تأثرت بالآرامية وحرفوها بعض التحريف فتطوقوها (زَنديق) ثم نقلها العرب عنهم وكسروا زايها لتتسجم مع كسرة الذال، وكانت الكلمة تطلق أول الأمر على المومس المخلص من أتباع ماني لكن الرادشتيين نظروا إلى المانوية على أنهم ملاحدة خوارج على الزرادشتية، فأطلقوا الكلمة على كل الملاحدة، وهذا هو المعنى الذي ما زال يفهم من الكلمة في العصور الإسلامية» أ.هـ. ينظر: تيارات ثقافية، ص ١٣٠ و١٣١.

(٤) ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٠٦ فما بعدها، سينا للنشر، ط ٢، ١٩٩٣ م.

(٥) ينظر مثلاً: غافر: ١١ - ٤ / ٣٣٤.

(٦) ينظر مثلاً: ص ٢٥٨، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤. ط دار صادر.

(٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني ص ١٠٠ فما بعدها.



الدين وإن لم يكفروا بالإسلام أو يخرجوا منه، كما أطلق على إبراهيم بن سيار النظام لمجونه، ومثل: كادم حفيد عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>.

ويذكر ابن الأنباري في (نزهة الألباء) سبب من تزندق بالعراق فيقول: «وروى الأصمعي عن الخليل بن أحمد عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

## المطلب الثاني

### الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة السامانية

#### - انتعاش اقتصادي:

كان الطابع المميز للمجتمع قبل الإسلام ببلاد ما وراء النهر قد تمثل في سيطرة طبقة ملاك الأراضي الذين تمتعوا بنفوذ قوى بتحالفهم مع رجال الدين<sup>(١)</sup>؛ إلا أن الأمور تحسنت تدريجياً مع دخول الإسلام لا سيما في الدولة السامانية ف«سواد الشعب قد تحسنت أحواله في عهد السامانيين بدرجة ملحوظة؛ وذلك لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة، وكان أهل الحرف يشترون الأراضي بمعاونة الحكومة... ولعل أفضل تصوير لنمو الصناعة والتجارة ببلاد ما وراء النهر ما ينعكس في قائمة المنتجات التي عرفت بها كل مدينة»<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن أورد بارتولد قائمة المنتجات<sup>(٣)</sup>، قرر أن «سكان ما وراء النهر كانوا يمتلكون كل شيء بوفرة ولم يكونوا في حاجة إلى شيء من الأقطار الأخرى»<sup>(٤)</sup>. كما يمكن أن نضيف إلى أسباب ذلك الانتعاش الاقتصادي: «منع السخرة والإلزام من غير وجه حق» كما أن «الضرائب والعوائد لم تكن مرهقة»<sup>(٥)</sup>.

(١) تركستان، ص ٢٩٧ بتصرف واختصار.

(٢) تركستان، ص ٣٦٤ باختصار.

(٣) أشار في ذكره لقائمة المنتجات إلى تأثير الصناعة هناك بالصناعة في مصر خاصة في جانب المنسوجات، قال:

«وما يقف دليلاً على ذلك إطلاق اسم (الديقي) نسبة إلى بلدة (ديقي) في مصر على ضرب من النسيج انتشرت صناعته بخوارزم هذا فضلاً عن الثياب الأشمونية» أ.هـ. ينظر، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

وقال ياقوت الحموي (معجم البلدان ٢/ ٤٣٨، ط دار صادر): «ديقي بلدة كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر تنسب إليها الثياب الديقية» أ.هـ.

و«ديقي مكان خرب لم يبق منه شيء»، كما ذكر صاحب تاج العروس في مادة (ديقي): ٢٧٦/ ٢٥.

(٤) تركستان، ص ٣٦٦.

(٥) تركستان، ص ٣٦٩، بتصرف واختصار.

(١) أما كادم هذا فقد قال شعراً ما جئنا فأحضره المهدي وضربه ثلاث مئة سوط على أن يقر بزندقته «فقال: والله ما أشركت بالله طرفة عين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ لكنه طرب غلبي وشعر طفع على قلبي، وأنا فتى من قریش أشرب النبيذ، وأقول ما قلت على سبيل المجون» أ.هـ. ينظر: تيارات ثقافية، ص ١٣٧.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، ص ٣١، ط ١٩٨٥م، مكتبة المنار بالأردن.

## - موقع سمرقند وأثره الاجتماعي الاقتصادي:

تبدو المنطقة مزدهمة بالسكان - بحسب المؤرخين والجغرافيين - لأنها ملتقى طرق، بالرغم من كونها ليست عاصمة الدولة، كما أنها لم تأخذ تلك المكانة إلا في عهد السامانيين، يقول بارتولد: «لقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة حتى في تلك العهود التي كانت فيها بخارى عاصمة للبلاد كما حدث في عهد السامانيين، وهذه المكانة ترجع إلى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند مارة ببلخ، ومن إيران مارة بمرو، ومن أراضي الترك، كما امتازت المنطقة المحيطة بها من خصب فوق المألوف جعل من الميسور لعدد هائل من السكان أن يجتمعوا في بقعة واحدة، غير أن سمرقند لم تشتهر في الأزمنة القديمة بذلك الامتداد الذي عرف لها في عهد السامانيين»<sup>(١)</sup>. وقد قُدِّرَ «عدد سكان سمرقند في عهد السامانيين بنصف مليون نسمة»<sup>(٢)</sup>.

## - طبيعة المنطقة وأهلها:

عرف أهل سمرقند بأنهم أهل شغب وتمرد على الأمراء<sup>(٣)</sup> حيث إن «حمل السلاح لم يكن قاصراً على الحرس والمطوعة وحدهم؛ بل انتشر آنذاك بين أهالي ما وراء النهر، الأمر الذي كان من شأنه أن يجعل شطحهم يتخذ طابع الخطر على الحكومة خاصة في المواقع الحضرية»<sup>(٤)</sup>.

أما أهلها فهم: «أهل الخير والصلاح في الدين والعلم والسباحة، فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم دار واحدة، وما ينزل أحد بأحد إلا كأنه بدار نفسه من غريب وبلدي، وهمة كل امرئ منهم على الجود والسباح فيما ملكت يده من غير سابقة معرفة أو توقع مكافأة»<sup>(٥)</sup>.

(١) تركستان، ص ١٧٠.

(٢) تركستان، ص ١٧٦ بتصرف.

(٣) ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليبات، ص ٨١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠ م.

(٤) تركستان، ص ٣٧٠.

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ص ٥٥٨، دار صادر، بيروت.

## ويجمع المقدسي الأمرين: الشغب والعيش الهنيء، فيقول:

«سمرقند قصبة الصغد ومصر الإقليم، بلد سري جليل عتيق، ومصر بهي رشيق، رخي كثير الرقيق، وماء غزير بنهر عميق بناء قوي سني وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق وعيش هنيئ إليها الطريق.. وخيل ورجل ومال دفيق.. ومدن نفيسة وأشجار وأنهار وتناء وتجار، في الصيف جنة، أهل جماعة وسنة، ومعروف وصدقة وحزم وهمة، غير أن في أهلها وهوائها برداً، جفاة مع الغرباء، يشغبون على الأمراء، وفيهم نفخ وعجب ومراء»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٣.





المبحث الثالث  
الحالة العلمية والفكرية في عصر الإمام الماتريدي



## المطلب الأول

### الحالة العلمية والفكرية في الدولة العباسية<sup>(١)</sup>

- العلوم من الرواية إلى التدوين والتصنيف:

يشير الإمام السيوطي إلى ذلك التحول الذي طرأ على العلم في أمة الإسلام، فبعد أن كان العلم ينقل شفاهة أصبح يدون ويصنف، مما كان له أثره في ازدهار العلوم وحدوث عملية التراكم التي تصنع الحضارات، فعند ذكره لخلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) قال: «في سنة ثلاث وأربعين (ومائة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير... وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة»<sup>(٢)</sup>.

- الموالى والعجم حملة علوم الإسلام:

يقول العلامة عبد الرحمن ابن خلدون رحمه الله: «من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم... وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيعته... ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم... وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية.. مع ما يلحقهم من الأنفة في انتحال العلم حيثئذ بما صار من جملة الصنائع»<sup>(٣)</sup>.

(١) اعتمدت في هذا الفصل بالإضافة إلى المراجع التي سأذكرها في حينها على: تاريخ التراث العربي لسزكين، وتاريخ الأدب العربي لبروكليان، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، وتاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف، والفهرست لابن النديم وطبقات الشافعية للسبكي، وغيرها.

(٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص ٢٠٨ باختصار، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٣ م.

(٣) مقدمة ابن خلدون، فصل: أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم، ص ١٢٤٧ تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، باختصار، ومن الجدير بالذكر هنا أن الدكتور أحمد الخوفي في كتابه (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) لم يرتض هذا الكلام من ابن خلدون وناقش دعواه في صفحات كثيرة (من ٢٣٤ إلى ٢٧٨) =



## - تمييز العلوم وحملتها:

يقول ابن خلدون: «وأما العلوم العقلية فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه، واستقر العلم كله صناعة»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): «اجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟، فقال: رأيت رجلا علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟، قال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه»<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن ابن المقفع قد غلب على ثقافته النقل والترجمة والتأثر بآراء غيره، على حين غلب على الخليل الابتكار والإبداع<sup>(٣)</sup> فهو أول من فرع قواعد النحو، وأول من صنف المعاجم، وأول من تكلم في العروض<sup>(٤)</sup>، ومن هنا ميز المسلمون بين تلك العلوم التي تتصل بالقرآن وبين تلك التي أخذوها من غيرهم من الأمم فالأولى سميت: علوم نقلية، شملت: القراءات والتفسير والحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والبيان والأدب، أما الثانية فسميت: عقلية أو حكومية أو قديمة، وشملت الفلسفة والهندسة والنجوم والموسيقى والطب والسحر والكيمياء والتاريخ والجغرافيا<sup>(٥)</sup>.

= وتدور ردوده حول كون هؤلاء الذين أسسوا العلوم وحملوها واعتنوا بها وإن يكن أصلهم غير عربي فإنهم عرب المربي والنشأة والثقافة، إلى كلام آخر مفيد. وكان دافعه إلى هذا كما يفهم: رد هجمات المستشرقين على العرب والعروبة، ونحن هنا لم يكن دافعنا بأكثر من وصف الواقع دون تقييم هذا الواقع بالإيجاب أو السلب أو تحميل الكلام أكثر مما يحتمل.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٢٤٧، مرجع سابق.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد لابن خلكان (٦٨١ هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، ٢/ ٢٤٦، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

(٣) جاء في وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥: «قيل إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علما لم يسبقه أحد إليه لا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجة ففتح عليه بعلم العروض.. وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه (التنبيه على حدوث التصحيف): وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل أ. هـ. باختصار.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ٢/ ٢٦٥.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي، مرجع سابق، باختصار، ٢/ ٢٦٤.

أما علماء الدين فصاروا فريقين: الفقهاء والعلماء، بعد أن تميز علم الفقه عن غيره، وكان صاحب العلوم الدنيوية يسمى كاتباً، فكان العلماء يلبسون الطيلسان، وكانت فارس هي مركز الكتاب وكانوا في مدينة شيراز يُرفعون على العلماء، ولكن خراسان كانت جنة العلماء لا يزال العلماء بها إلى اليوم يتمتعون باحترام وتبجيل<sup>(١)</sup>؛ ثم وصلت العلوم الإسلامية ذروتها فيما عرف بـ «عصر النهضة في الإسلام» الذي اعتبره آدم متز<sup>(٢)</sup> هو القرن الرابع الهجري، وأرخ له في مؤلفه القيم الذي يعد عمدة في بابيه.

## - أحوال العلوم وتطورها:

بالرغم من التمزق السياسي الذي عاشته الدولة الإسلامية، فقد ازدهر العلم والأدب في تلك الولايات المستقلة أو المنتسبة إليها اسمياً «حيث قامت في جميع أرجاء العالم الإسلامي أسراً حاکمة استقلت بمناطقها ودخل بعضها مع البعض الآخر في حروب طاحنة، ونظراً لأن كل أمير قد جهد في أن يجعل من عاصمته مركزاً للثقافة والحضارة فقد اجتذبوا إليهم الشعراء والأدباء وأهل العلم، حتى إنه ليتمكن القول إن انحلال الإمبراطورية الإسلامية قد أعان على ازدهار العلوم والآداب إن لم يكن من حيث الكيف فلا أقل من حيث الكم»<sup>(٣)</sup>.

وسوف أتناول هنا أهم تلك العلوم ومدى تطورها في هذا العصر.

أما علوم القرآن فقد كان مصطلح علوم القرآن في تلك الفترة يعني: التفسير وما يشتمل عليه من علوم مختلفة، فلم يكن يعني ذلك المعنى الاصطلاحي الذي يعني «طوائف المعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء أكانت تصورات أم تصديقات» على حد قول العلامة الزرقاني رحمه الله<sup>(٤)</sup>، يدل على ذلك ما ألفه الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) قال ابن

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ١/ ٣٢٠ فما بعدها باختصار وتصرف.

(٢) قال في الأعلام (١/ ٢٨١، ٢٨٢): «آدم متز (١٣٣٥ - ١٠٠٠ هـ - ١٩١٧ م) مستشرق سويسري ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة بال بسويسرة. له كتاب بالألمانية، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، وسماه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ط) جزآن أ. هـ.

(٣) تركستان، ص ٦٧، ٦٨.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧ هـ)، ١/ ٢٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣.

العربي: «وانتدب أبو الحسن الأشعري إلى كتاب الله فشرحه في خمسمائة مجلد وسماه (المختزن في علوم القرآن)»<sup>(١)</sup> ومثله كتاب (الاستغناء في علوم القرآن) «لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (ت ٣٨٨هـ) فهو كتاب في التفسير ويقع في مائة وعشرين مجلداً» على حد قول الداوودي في الطبقات<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن الأمر قد استمر على ذلك فمثلاً: أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي (ت ٤٣٠هـ) له كتاب (البرهان في علوم القرآن)، والعلامة الزرقاني وإن قال إنه كتاب في علوم القرآن إلا أن الداوودي في الطبقات قال في ترجمته «له تفسير جيد سماه (البرهان في تفسير القرآن)»<sup>(٣)</sup>.

أما علوم القرآن كفنّ مدون فيمكن عدّ كتاب الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)<sup>(٤)</sup> المسمى: (العقل وفهم القرآن) من طليعة ما ألف في هذا الميدان وإن لم يكن باسم: علوم القرآن حيث عالج في كتابه قضايا: المحكم والمتشابه، والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ وغيرها؛ مما يعلمه من اطلع على الكتاب<sup>(٥)</sup>.

كما وجدنا محمدًا بن القاسم بن بشار أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)<sup>(٦)</sup> يؤلف كتاب

(١) نقلا عن: الحاكم الحشمي ومنهجه في التفسير، الدكتور عدنان زرزور، ص ١٦٤.

(٢) طبقات المفسرين، الداوودي، ت: علي محمد عمر ١٩٧/٢، مكتبة وهبة ط ١، ١٩٧٢.

(٣) ينظر: مناهل العرفان، في مبحث التاريخ لعلوم القرآن بالمجلد الأول، وطبقات الداوودي: ١/ ٣٨٨.

(٤) قال في وفيت الأعيان (٢ / ٥٧): «أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور؛ أحد رجال الحقيقة، وهو من اجتمع له علم الظاهر والباطن، وله كتب في الزهد والأصول وكتاب الرعاية له، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى» أ.هـ.

(٥) حقق الكتاب الدكتور حسين القوتلي، وهو من مطبوعات دار الكندي ودار الفكر، طبعته الثالثة ١٩٨٢م.

(٦) قال في نزهة الألباء (ص ١٩٧ فما بعدها): «وأما أبو بكر محمد بن القاسم بشار الأنباري النحوي، فإنه كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة؛ وكان زاهداً متواضعاً. أخذ عن أبي العباس ثعلب. وكان ثقة صدوقاً، من أهل السنة، حسن الطريقة. وألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو... وكان يكتب عنه وأبوه حي، وكان يملئ في ناحية المسجد وأبوه في ناحية أخرى. وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم: كان أبو بكر الأنباري يحفظ - فيما ذكر - ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن.. وقال محمد بن العباس الخراز: ولد أبو بكر سنة إحدى وسبعين ومائتين، وتوفي ليلة النحر من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة» أ.هـ. باختصار.

(علوم القرآن) فيتحدث فيه عن بعض المباحث التي تدخل في علوم القرآن باصطلاحنا، مثل: فضائل القرآن، وشرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، وكتابة المصحف وهجاءه، وأجزاء القرآن وأرباعه وأخماسه وأسداسه، والسور المكية والمدنية، وأدب الوقف والابتداء، والمتشابه<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن أول ما ألف من علوم القرآن أو تفسيره كان تفسير المشكل من آياته وسوره، فكان أول اهتمامهم بعلم إعراب القرآن؛ لأن الإعراب هو المفصح عن المعنى؛ لذا فإن «هناك روايات كثيرة تقول بأن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)<sup>(٢)</sup> أو تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ)<sup>(٣)</sup> قد قام بوضع أول علامات تدل على الحركات والتنوين بتكليف من زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ) مما جعل بعض الصحابة والتابعين يعترضون كعبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ) وقتادة (ت: ١١٨هـ) والنخعي (ت: ٩٦هـ) ومحمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ)<sup>(٤)</sup>.

(١) نقلا عن: السيد أحمد خليل: نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقران ص ٤٥، ٤٦، ط ١، ١٩٥٤. ولم أقف على كتاب الأنباري هذا.

(٢) قال في الأعلام (٣ / ٢٣٦، ٢٣٧): «أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكنتاني: واضح علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو، فكتب فيه. وأخذ عنه جماعة. وفي صحيح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام عي، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي. وكان قد شهد معه (صفين) ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه. وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف. وله شعر جيد، مات بالبصرة» أ.هـ.

(٣) قال في الأعلام (٨ / ٢٣، ٢٤): «نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي النحو. قال أبو بكر الزبيدي: أول من أصل علم العربية وأعمل فكره فيه، أبو الأسود الدؤلي، ونصر ابن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصلوا له أصولاً، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضارع. وقال ياقوت: كان فقيهاً، عالماً بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب في العربية. وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات، وقبل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء. مات بالبصرة» أ.هـ.

(٤) تاريخ التراث العربي، سزكين مج ١، ٢٠ / ١.



واستمر هذا العلم في النمو شيئاً فشيئاً حتى جاء سيبويه (ت ١٨٠هـ) وهو من أتباع التابعين فألف (الكتاب) الذي ملأه بالشواهد القرآنية.

كما ظهرت بعد ذلك كتب (معاني القرآن) فألف فيها كل من: الفراء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (٢١٥هـ) والزجاج (٣١١هـ) والنحاس (ت ٣٢٨هـ).

فالفراء مثلاً ينص على أن كتابه في «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه»<sup>(١)</sup>

كما حفل العصر بعدد كبير من تفاسير أهل السنة وغيرهم نعرض لها في حينها إن شاء الله. أما علم القراءات فقد تكاثرت القراءات نتيجة اختيار كل قارئ مما رواه عن شيوخه وأقرأ به، وبعضهم كان يقرأ بها رآه موافقاً لوجوه النحو وإن لم يوافق رسم المصحف - أو يرفض بناء على ما يراه موافقاً لقواعد النحو كذلك - وبعضهم يقرأ بها كان يعد من التفسير عن ابن مسعود وغيره، حتى قُرئ بالشاذ وكثر بينهم الاختلاف وقل الضبط واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزّوا الوجوه والروايات وميزوا المشهور والشاذ والصحيح والفاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها»<sup>(٢)</sup>، وكان أبرزهم في هذا العصر أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد المقرئ (٢٤٥هـ / سنة ٣٢٤هـ) وكان أول من جمع القراءات السبع، وكان إمام القراء ببغداد منذ سنة ٢٩٠هـ فألف فيها (السبعة في منازل القراء)، و(اختلاف قراء الأمصار)<sup>(٣)</sup>، والسبعة المجموعة ليست هي الأحرف الواردة في الحديث بل هي أشهر وأصح القراءات التي رآها ابن مجاهد.

وكان ذلك بعد أن قُرئ بالشاذ حتى إن الوزير أبو علي بن مقلّة<sup>(٤)</sup> ضرب ابن شنبوذ

(١) معاني القرآن، للفراء: ١/١.

(٢) النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، أشرف عليه: علي محمد الضباع، ٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت، دزن تاريخ.

(٣) ذكر أماكن وجودهما سزيكين في تاريخ التراث العربي ٤٤/١، وانظره ٣/١ فما بعدها، وينظر: الفهرست ٢٥/١ فما بعدها، وينظر: تاريخ الأدب العربي ٤/١ فما بعدها.

(٤) قال في الأعلام (٦/ ٢٧٣، ٢٧٤: «ابن مقلّة (٢٧٢ - ٣٢٨هـ = ٨٦٦ - ٩٤٠م) محمد بن علي بن الحسين =

(ت: ٣٢٨هـ)<sup>(١)</sup> «بالسوط واضطره أن يتبرأ من قراءات قرأ بها وأخذ خطه بالتوبة عنها فكتب: «يقول محمد بن أيوب قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه والذي اتفق أصحاب الرسول ﷺ على قراءته، ثم بان لي أن ذلك خطأ، وأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله جل اسمه منه برئ؛ إذ كان مصحف عثمان هو الحق لا يجوز خلافه ولا يقرأ بغيره»<sup>(٢)</sup>.

كما كان في تلك الفترة أبو بكر العطار المقرئ (ت: ٣٥٤هـ)<sup>(٣)</sup> «وكان قرأ بحروف

- بن مقلّة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، وولي جبية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ ولم يلبث أن غضب عليه فصاره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠هـ فجع به من بلاد فارس، فلم يكده يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فأختبأ (سنة ٣٢١) واستوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤هـ فسجنه مدة، وأخل سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطعمه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦) وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الخبل بجمه. ومات في سجنه. قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات» أ.هـ.

(١) قال في الأعلام (٥ / ٣٠٩): «ابن شنبوذ (٣٢٨هـ) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن، ابن شنبوذ: من كبار القراء من أهل بغداد. انفرد بشواذ كان يقرأ بها في المحراب.. وصنف في ذلك كتاباً، منها «اختلاف القراء» و«شواذ القراءات» وعلم الوزير ابن مقلّة بأمره، فأحضره وأحضر بعض القراء، فناظره فنسبهم إلى الجهل وأغلظ للوزير، فأمر بضربه، ثم استتيب غضباً ونفي إلى المدائن. وتوفي ببغداد، وقيل: مات في محبسه بدار السلطان» أ.هـ. باختصار.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص ٣٥، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع: ١/ ٣٦١.

(٣) قال في نزهة الألباء (ص ٢١٥): «أبو بكر العطار، وأما أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار المقرئ النحوي، أخذ عن ثعلب. وكان من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعلمهم بالقراءات، وله في التفسير ومعاني القرآن كتاب سماء الأنوار، وله في علمي القراءات والنحو تصانيف حسنة. ومما طعن عليه أنه عمد إلى حروف يخالف الإجماع فيها، فقرأها وأقرأها على وجوه، وذكر أنها تجوز في اللغة العربية، فأنكروا عليه، وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء، فأذعن بالتوبة، وكتب محضر توبته... وقيل: إنه لم ينزع عن تلك الحروف، وكان يقرأ بها إلى حين وفاته.

ذكر أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ، صاحب أبي بكر بن مجاهد، في كتابه الذي سماه «البيان» وقد نبغ نابغ =

تخالف الإجماع واستخرج لها وجوها من اللغة ذكرها في كتابه (الاحتجاج للقراء).. وزعم العطار أن كل ما صح في العربية من كلمات توافق خط المصحف فقرائتها جائزة.. فأنكرها أهل العلم.. وكتبت توبته بمحضر من العلماء<sup>(١)</sup>.

أما علم الحديث فما إن أهل القرن الثاني الهجري حتى انتقل هذا العلم من الرواية الشفوية إلى التدوين بأمر من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، ثم شاع التدوين في كل أنحاء العالم الإسلامي، وتم ذلك على يد أبناء الجيل التالي لجيل الإمام الزهري (ت: ١٢٤هـ)<sup>(٣)</sup>، بدءاً بابن جريج (ت: ١٥٠هـ)<sup>(٤)</sup> الذي كان أول من دون الحديث بمكة.

= في عصرنا هذا، وزعم أن كل ما صح عنده في العربية من القرآن يوافق خط المصحف، فقرائه جائزة في الصلاة وغيرها، وابتدع بدعة حاد بها عن قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله. ثم ذكر أبو طاهر كلاماً قال بعده: دخلت عليه شبهة لا يخفى فسادها على ذي لب وفطنة صحيحة، وذلك أنه قال: لما كان خلف هشام بن أبي عبيد وابن سعدان أن يختاروا، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان ذلك أيضاً لي غير مستنكر، ولو حدا حدوهم، وسلك طريقاً كطريقهم، لأن ذلك مباحاً له ولغيره غير مستنكر، وذلك أن خلفاً ترك حروفاً من حروف حمزة، واختار أن يقرأ على مذهب نافع، وأما أبو عبيد وابن سعدان فلم يجاوز واحد منها قراءة أئمة القراء بالأصناف، ولو كان هذا العاقل نحا نحوهم، كان مسوغاً له ذلك غير ممنوع منه؛ ولا معيب عليه، بل إنما كان النكير عليه لشذوذه عما كان عليه الأئمة الذين هم الحجة فيها جاءوا به مجتمعين ومختلفين، وحكى أبو أحمد العروضي، قال: رأيت في المنام كائناً في المسجد الجامع أصلي مع الناس، وكان محمد بن مقسم قد ولى ظهره القبلة، وهو يصلي مستدبرها؛ فأتاؤل ذلك مخالفة الأئمة فيما اختار لنفسه في القراءات. وقال محمد بن الفوارس: توفي ابن مقسم في شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وذلك في خلافة المطيع<sup>(٥)</sup> أ.هـ. باختصار.

وينظر ترجمته أيضاً في طبقات المفسرين للدواودي ١٣١ / ٢ فما بعدها.

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: ٣٦٢ / ١ بتصرف واختصار.

(٢) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٠٤، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

(٣) قال في (الأعلام: ٩٧ / ٧): «الزهري محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند، وعن أبي الزناد: كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والمصحف ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقر بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة المأصية منه. قال ابن الجزري: مات بشعب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين» أ.هـ.

(٤) قال في (تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي: ١ / ١٢٧ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، -

أما القرن الثالث «فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتأليفهم العظيمة الخالدة» على حد قول الدكتور السباعي رحمه الله. وقد توزعت هذه التأليف بين المسانيد والصحاح والسنن، والكتب التي تناولت قواعد الحديث ومصطلحاته وعلله وأحكامه ورجاله والجرح والتعديل، بالإضافة إلى بعض الكتب التي دافعت عن السنة في وجه المنتقدين والمشككين، ويأتي في مقدمة هذه الكتب الأخيرة كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ).

أما كتب المسانيد: فقد ابتدأ التأليف في هذا القرن بالمسانيد، وهي الكتب التي يجمع فيها المؤلف ما يروى عن الصحابي في باب واحد. وأهم هذه المسانيد: مسند عبد الله بن موسى (ت: ٢١٣هـ) وهو أول من ألف بهذه الطريقة. ومسند مسدد البصري (ت: ٢٢٨هـ) ومسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٧هـ) ومسند عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ) ومسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) ومسند عبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ) والمسند الكبير لبقلي بن مخلد الأندلسي (ت: ٢٧٦هـ). ومسند محمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)<sup>(١)</sup>.

وأما كتب الصحاح: فقد ظهر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) وقرر

= ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): «الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد ويقال أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي الفقيه. صاحب التصانيف أحد الأعلام: حدث عن أبيه ومجاهد.. وخلق كثير، ولد سنة نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم.. قال أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم. وهو وابن أبي عروبة، أول من صنف الكتب. وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحداً أحسن صلاة من ابن جريج، كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله. ويقال: إن عطاء قيل له: من نسأل بعدك؟ قال: هذا الفتى إن عاش، يعني ابن جريج. قلت: كان ابن جريج ثباتاً لكنه بدلس.. وقال جرير: كان ابن جريج يرى المتعة؛ تزوج ستين امرأة. قال ابن المديني: لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جريج.. وقيل: سمع من مجاهد حرفين في القراءات وقال عبد الوهاب بن همام: قال ابن جريج: لزممت عطاء ثمانية عشر عاماً. قال الواقدي: مات ابن جريج في أول ذي الحجة سنة خمسين ومائة.. قال أبو عاصم كان ابن جريج من العباد؛ كان يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر. وكانت له امرأة عابدة. قال بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: استمتع ابن جريج بتسعين امرأة حتى إنه كان يحتقن في الليلة بأوقية شيرج طلباً للجماع» أ.هـ. باختصار.

(١) ذكر الدكتور شوقي ضيف أن هذا المسند توجد منه نسختان بخطوطان في دار الكتب المصرية، ينظر: تاريخ

الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ١٦٤.

أن ينحو في التأليف منحى جديداً، وذلك بأن يقتصر على الحديث الصحيح فقط دون ما عداه، فألف كتابه: الجامع الصحيح، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مسلم (ت: ٢٦١هـ) فألف صحيحه المشهور<sup>(١)</sup>.

أما كتب السنن: فقد جاء تأليف هذه الكتب في سياق تأليف كتب الصحاح وإن كانت قواعد أصحاب السنن الأربعة المشهورة في هذا الحكم لم تبلغ ما التزمه الإمام البخاري.

وهذه السنن هي: سنن النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) وصاحبها هو الإمام الفقيه الشافعي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، وسنن أبي دواد (٢٠٢-٢٧٥هـ) للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني، المعروف بأبي داود. وسنن الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) أو الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. وسنن ابن ماجه (٢٠٩-٢٧٣هـ) وهو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

أما القرن الرابع الهجري الذي يمثل عصر النهضة في الإسلام فإنه لم يشهد تطوراً أو ارتفاعاً ذا بال، وكان صنيع رجالات القرن «جمع ما جمعه من سبقهم والاعتداد على نقدهم، والإكثار من طرق الحديث»<sup>(٢)</sup> حتى إن الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في مقدمة كتابه (ميزان الاعتدال) عد رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة الحدا فاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث والمشتغلين به. كما «نشأ في القرن الرابع رسم جديد وهو الذي يميز للإنسان رواة الحديث من غير لقاء رجاله.. فحلت الكتب محل الأسفار.. فقد استطاع ابن يونس الصفدي (ت: ٣٤٧هـ) أن يكون إماماً متيقظاً في الحديث وإن كان لم يرحل ولا سمع بغير مصر.. ويقول أبو حاتم السمرقندي (ت: ٣٥٤هـ): لعلنا كتبنا عن ألف شيخ ما بين الشاش والإسكندرية»<sup>(٣)</sup>.

وأما علم الفقه فقد ظهرت في الفقه الإسلامي مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأي في العراق، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة. وكان أئمة الفقه الأربعة:

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٠٦.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي رحمه الله، ص ١٠٦.

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ١/٣٥٣، ٣٥٤ باختصار.

أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، ومالك (ت: ١٧٩هـ)، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وابن حنبل (ت: ٢٤١هـ) قد أسسوا مذاهبهم وأصبح لهم تلاميذ يحملون علومهم، وكان العصر لا زال عصر اجتهاد ولم يبدأ عصر التقليد بعد<sup>(١)</sup> فظهر عدد من المجتهدين الذين لم يكتب لمذاهبهم البقاء من أمثال: أبي ثور (ت: ٢٤٠هـ) والأوزاعي (ت: ١٥٧هـ) وداود الظاهري (ت: ٢٧٠هـ) ومحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)؛ «لأن تلاميذهم لم يقوموا بتدوينها»<sup>(٢)</sup>.

وأشهر فقهاء هذا العصر: في المذهب الحنفي: أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني الخفاف (ت: ٢٦١هـ) وإمامي أهل السنة: الإمام الماتريدي السمرقندي (ت: ٣٣٣هـ)، والإمام الطحاوي المصري (ت: ٣٢١هـ) الذي انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر وصاحب العقيدة المشهورة، وهو الذي نشر بها المذهب وعمل على إذاعته.

وفي المذهب المالكي: لمع اسم عبد السلام بن سعيد بن حبيب المشهور بسحنون (ت: ٢٤٠هـ) وهو الذي نشر المذهب في المغرب، وله (المدونة الكبرى) التي لا تزال ذائعة الصيت بين المالكية. وفي المذهب الشافعي: لمع اسم المزني إسماعيل بن يحيى (ت: ٢٦٤هـ) ناصر المذهب وبدر سبائه، وله (مختصر المزني). معروف متداول. وفي المذهب الحنبلي: اشتهر اسم الخرقى أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله (ت: ٣٣٤هـ) وله (المختصر) في الفقه، مطبوع.

وكان أشهر الأصوليين في القرن الثالث الهجري: «الشافعي وابن حنبل من الأئمة المجتهدين، وبشر بن غياث المريسي (ت: ٢١٨هـ) زعيم الطائفة المريسية، وإبراهيم النظام (ت: ٢٣١هـ) رئيس الطائفة النظامية»<sup>(٣)</sup>، وكان هذا القرن «أكثر إنتاجاً وتأليفاً من سابقه لكثرة المناظرات بين رجال المذاهب وذلك يقتضي العناية بالتدريس والتأليف»<sup>(٤)</sup>.

(١) يبدأ عصر التقليد من منتصف القرن الرابع الهجري إلى يومنا هذا.

ينظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين: ١/٣٣.

(٢) الفتح المبين في طبقات الأصوليين: ١/٢٢.

(٣) السابق: ١/١٢٣.

(٤) السابق: ١/٢٥.



وأما علم الكلام<sup>(١)</sup> فكانت المعتزلة في بداية العصر في أوج ازدهارهم، حتى جاء المتوكل وحرّم الكلام ونصر مذهب أهل السنة، فظهر أئمة السنة الثلاثة: أبو الحسن الأشعري في العراق، وأبو منصور الماتريدي في سمرقند، وأبو جعفر الطحاوي في مصر، فجادلوا المعتزلة الذين كان من أظهر أئمتهم قبل هذا العصر: العلاف (ت: ٢٣٥هـ) ثم الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والجبائيان أبو علي محمد بن عبد الوهاب (ت: ٣٠٣هـ) وابنه وتلميذه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ٣٢١هـ) والأشعري تلميذ لأبي علي أيضًا، لكنه ترك مذهب الاعتزال ونصر مذهب أهل السنة ومعه أئمة السنة، الذين تبع كل منهم تلاميذ حملوا لواء الدعوة من بعدهم حتى انمحت الفرق أو تكاد، ولم يبق فاشيًا في الأمة إلا مذهب الجماعة، اللهم إلا تنوعات بقيت هنا وهناك.

وأما علوم اللغة فقد حفل هذا العصر أيضًا بأئمة النحو وظهرت في علوم اللغة مدرستان علميتان هما: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وكانت قد لمعت أسماء من أئمة النحاة البصريين، من أمثال: عيسى بن عمر الثقفي (ت: ١٤٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، والأخفش (ت: ١٧٧هـ)، وسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ويونس بن حبيب (ت: ١٨٢هـ)، ومن الأئمة الكوفيين أبو جعفر الرّواصي (ت: ١٨٧هـ)، والكسائي (ت: ١٨٩هـ)، والفراء (ت: ٢٠٨هـ). ومن هؤلاء: محمد بن يزيد المبرّد صاحب الكامل (ت: ٢٨٥هـ)، وقد كان إمام النحاة في عصره، ومن النحاة المشهورين أيضًا في هذا العصر: الزّجاج (ت: ٣١١هـ).

وفي ميدان النثر لمع اسم الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ) وابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ) الذي ولد بالكوفة وتثقف بها وسكن بغداد زمانًا ولكنه نسب إلى الدينور لأنه تولى قضاءها، كما برز اسم أبي زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ).

(١) ينظر في هذا الفن وما بعده: تاريخ التراث العربي لسزكين، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، وتاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف، والفهرست لابن التديم وطبقات الشافعية للسبكي، وغيرها.

أما الفلسفة: فمن أشهر الفلاسفة في هذا العصر: يعقوب بن اسحاق الكندي (ت: ٢٦٠هـ) الذي يعد أكبر فلاسفة المسلمين، وأشهرهم، وأسبقهم وهو عربي الأصل، يتصل نسبه بملوك كندة، ولذلك سُمي فيلسوف العرب، وكان فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها. ثم الفارابي (ت: ٣٣٩هـ): الذي عرف بالمعلم الثاني، وهو تركي الأصل من فاراب، ولكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام، واشتغل فيها، وكان فيلسوفًا كاملاً، درس كل ما درسه الكندي من العلوم، وفاقه في كثير منها، وخصوصاً في المنطق، وقد ألف كتباً لم يسبقه أحد إليها، ككتابه في (إحصاء العلوم).

وأما علم التاريخ: فقد برز في هذا العصر أسماء أعلام كبار مثل أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) وقد توقف الطبري بتاريخه عند أحداث سنة ٣٠٢هـ في خلافة المقتدر.

ومنهم: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح (ت: ٢٧٨هـ) له: تاريخ اليعقوبي. ومنهم: البلاذري أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ) صاحب (فتوح البلدان)، و(أنساب الأشراف).

كما ظهر: أبو حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢هـ) وكان موسوعي المعرفة، برع في علوم كثيرة كالنحو واللغة والهندسة والفلك وغير ذلك، ولكن الكتاب الذي اشتهر به الدينوري هو كتابه التاريخي المعروف باسم (الأخبار الطوال) الذي يتناول فيه التاريخ الإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى وفاة الخليفة المعتصم سنة ٢٢٧هـ مع مقدمة مختصرة عن التاريخ القديم. وقد استمرت حركة التأليف التاريخي على نشاطها وازدهارها طوال مراحل العصر العباسي الثاني.

\*\*\*

## المطلب الثاني

## الحالة العلمية والفكرية في الدولة السامانية

## - الإسلام في بلاد ما وراء النهر:

بالرغم من وجود محاولات عدة لفتح بلاد ما وراء النهر<sup>(١)</sup> فإن قتيبة بن مسلم الباهلي -الذي ولاه الحجاج سنة ٨٦هـ خراسان وبلاد المشرق وظل واليا عليها حتى عام ٩٩هـ- كان أول من ثبت دعائم السيطرة العربية على بلاد ما وراء النهر<sup>(٢)</sup>، حيث «كان أبرز ما في فتوح قتيبة: فتح بخارى وسمرقند وتثبيت الإسلام فيها واتجاهه إلى ما يقارب حدود الصين»<sup>(٣)</sup>.

و«كان أول مسجد بالمدينة (سمرقند) هو الذي شيده قتيبة بن مسلم عام ٩٤هـ/ ٧١٣م بالقلعة وذلك في الموقع الذي كان يقوم عليه في الأزمنة السابقة بيت للأصنام. وشيد فيما بعد مسجدا جامعاً جديداً بين القلعة والشرستان بناء الحاكم الفضل بن يحيى البرمكي وتم توسيعه بصورة ملحوظة في عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م على يد إسحاق الساماني الذي اشترى الدور المجاورة لهذا الغرض»<sup>(٤)</sup>.

وذكر صاحب (القند) في ترجمة: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري أنه: «أول من أذن وراء جيحون، عبّر مع سعيد بن عثمان بن عفان، وهو أول من عبر... وقال سعيد بن جناح البخاري في كتاب القبلية: ثم اعتبروا بأهل سمرقند ومن نزل فيها، نزل بها: قثم بن عباس»<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، ص ٢١٠ فما بعدها، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٤م.

(٢) تركستان، ص ٣٠٣.

(٣) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، ص ٢١٧.

(٤) تركستان، ص ٢٠٤ بتصرف واختصار.

(٥) قال ابن سعد: «قثم بن العباس، ابن عبد المبحث بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن أزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر. وليس له عقب. وكان -

وسعيد بن عثمان بن عفان»<sup>(١)</sup>، ومن التابعين: محمد بن واسع<sup>(٢)</sup>، وبرد مولى أنس بن مالك رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> وخليد بن حسان<sup>(٤)</sup>، وأبو العالية وغيرهم»<sup>(٥)</sup>.

رسول الله ص يحبه وكان يشبه به»<sup>(٦)</sup> أ.هـ. ويذكر ابن حبان أن: «قثم بن العباس بن عبد المبحث كان بقى إلى أن خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان في آخر إمارة معاوية بن أبي سفيان إلى خراسان ثم خرج منها فعبّر النهر وفتح ما وراء النهر واستشهد في تلك الناحية فمات منهم من زعم أن قبره بسمرقند ومنهم من زعم أن قبره بمرو»<sup>(٧)</sup> أ.هـ. ينظر: الجزء المتتم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان]، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ١/ ٢١٨، ت: محمد السلمي، مكتبة الصديق - الطائف، ط ١، ١٤١٤هـ. وينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ص ٢٨، ت: مرزوق إبراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١) قال ابن سعد: «سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وأما أسماء بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة. وأما أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. وأما رقية بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم. وأما رقية بنت أسيد بن عبد العزى بن قصي. وأما خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي. فولد سعيد بن عثمان محمداً وأمه رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وكان قليل الحديث».

ينظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ٥/ ١١٧، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) «محمد بن واسع بن جابر الأزدي (ت: ١٢٣هـ)، أبو بكر: فقيه ورع، من الزهاد. من أهل البصرة. عرض عليه قضوها، فأبى. وهو من ثقات أهل الحديث» [الأعلام: ١٣٣/ ٧].

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «برد بن سنان البصري ثم السمرقندي مولى أنس روى عن أنس وعنه الفضل بن موسى البغدادي وأبو كريب أو أبو كليب وأبو مقاتل حفص بن سالم ذكره أبو سعد الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال خلطه بعض المحدثين ببرد بن سنان الشامي، وعندي أن ذلك غلط؛ فإني لم أر لبرد بن سنان الشامي أثراً في دخوله سمرقند ولا أنه مولى أنس»<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ينظر: لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٦/ ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٣، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ تحقيق: دائرة المعارف النظامية - اهنت.

(٤) قال ابن حبان (مشاهير علماء الأمصار، ص ٣١٢): «خليد بن حسان الهجري البصري من أهل البصرة من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان سكن بخارا وبها حدث»<sup>(٢)</sup> أ.هـ. وذكره ابن حبان في الثقات بنحوه. ينظر: الثقات، محمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ٦/ ٢٧١، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ت: الدكتور محمد عبد المعيد خان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية ببيدر آباد، ط ١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

(٥) القند، ص ٥٠.

وفي ترجمة زياد بن مهران الأزدي<sup>(١)</sup>، قال: «قدم قتيبة بن مسلم سمرقند ومعه من العلماء محمد بن واسع، وزياد بن مهران، وليث بن أبي سليم<sup>(٢)</sup>، وخليد بن حسان، وعبيدة العمي<sup>(٣)</sup>، وباتفاقهم نصبت بها المحاريب<sup>(٤)</sup>».

فهؤلاء هم أسلاف ومعلموا أهل سمرقند الأوائل.

ويشير كُتّاب التاريخ بيد الفضل إلى أشرس بن عبد الله السلمي والذي كان «فاضلاً خيراً وكان سُمى الكامل لذلك، وكان أول من اتخذ المراقبة بخراسان.. وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها»<sup>(٥)</sup>، وقد «دعا أشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك وأسلم غالبهم»<sup>(٦)</sup>، أما بارتولد فيقول: «وقد انبعثت لدى الأشرس فكرة تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال جميع سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام؛ فأرسل لهذا الغرض باثنين من الدعاة إلى سمرقند أحدهما عربي والآخر فارسي ووعد برفع الجزية عمن أسلم، وقد فاق نجاح الدعوة كل حد»<sup>(٧)</sup>.

## - مراكز العلم والعلماء في الدولة السامانية:

كانت بخارى وسمرقند مراكز العلم في الدولة السامانية؛ أما بخارى فإنها تعد أهم

- (١) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم والطبقات لكن ذكر صاحب (القند، ص ٦٥) أنه «راوية أنس بن مالك، عده سعيد بن جناح البخاري من جملة من دخل سمرقند» أ.هـ.
- (٢) هو أبو بكر القرشي مولا هم الكوفي عن مجاهد وطبقته لا نعلمه لقي صحابيا وعنه شعبة وزائدة وجريه فيه ضعف يسير من سوء حفظه كان ذا صلاة وصيم وعلم كثير وبعضهم احتج به مات سنة ١٣٨ هـ.
- ينظر: الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد نمر الخطيب ١٥١/٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، ط ١، ١٩٩٢.
- (٣) هو: «عبيدة بن بلال شيخ بصري قدم بخارى واستوطنها ومات بها سنة ستين ومائة» أ.هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٧٥).

(٤) القند، ص ٦٥.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: حوادث سنة ١٠٩ هـ.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: حوادث سنة ١١٠ هـ.

(٧) تركستان، ص ٣٠٩.

مدن الدولة السامانية من حيث الاكتظاظ بالسكان والعمران، ويحمل الثعالبى وصف بخارى فيقول: «هى بمثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر»<sup>(١)</sup>؛ لذلك لم يُر مدينة أهلها أشد احتراماً لأهل العلم من بخارى.

وتمثلت الحركة العلمية في بخارى في زمن السامانيين في وجود عدد من المؤسسات العلمية، أبرزها: الكتاتيب التى يتعلم فيها الصبي القرآن ومبادئ القراءة وشيء من النحو والأدب، ومن مشاهير علمائها الذين كانوا يدرسون في الكتاتيب: أبو منصور الثعالبى صاحب (يتيمة الدهر)، كما اشتهرت بخارى بكثرة مساجدها والتى كانت مراكز علمية، كما كانت دور أهل العلم ملتقى للمناظرات والتى كان ربما يعقدها الأمير فى بيته، كما حكى عن الأمير إسماعيل بن أحمد الذى كان يقرب العلماء ويستمع إلى مناظراتهم، ومن ذلك ما ورد عن المجلس الذى عقده فى قصره لينظر فيه الفقهاء والقضاة مع دعاة الإسماعيلية، كما كان من عادة الأمراء السامانيين أن كانت لهم مجالس علم تعقد عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة، كما كان فى بخارى مكاتب فيها الكثير من صنوف العلم، أشهرها: مكتبة الأمير نوح بن نصر الساماني، كانت تضم نوادر الكتب، وكان عليها قيمون يهتمون بها، ولها فهرس ينظم الاستفادة من محتوياتها، كما اهتم أمراء السامانيين بأقامة الرباطات وحبس الأوقاف الكثيرة عليها<sup>(٢)</sup>.

وأما سمرقند فقد شهدت حركة علمية مهمة أيضاً، وقد اشتركت مع بخارى في وجود الكتاتيب والرباطات والمكاتب، ومما يدل على كونها كانت قبلة للمتعلمين كبخارى ما ذكره السمعاني في (الأنساب)، أن «أحمد بن حامد الحرقوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعني التفسير - والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث

(١) لطائف المعارف، الثعالبى، ص ٢٥، نقلا عن: الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي ص ١١٩.

(٢) الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، عبد العزيز عبد الرحمن آل سعد، ص ١١٥ فما بعدها باختصار وتصرف، الدار العربية للعلوم، ط ١، سنة ٢٠١١ م.



سنتين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا<sup>(١)</sup>.

هذا «والغالب على أهل ما وراء النهر بناء الرباطات والوقوف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وليس بها قرية ولا منهل ولا مغارة إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه»<sup>(٢)</sup>.

### الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عصر الماتريدي:

أخرجت منطقة ما وراء النهر عددا من أبرز علماء الأمة، وكانت تأليفهم في الفنون المختلفة ثمرة هذا النشاط العلمي وتشجيع الحكام، نذكر منهم:

في علم الحديث: نجد أن ثلاثة من أصحاب المجاميع الحديثية الكبرى في الإسلام نشأوا وماتوا في بلاد ما وراء النهر، مثل: الإمام البخاري المولود في بخارى سنة ١٩٤ هـ والمتوفى في خرتنك (قرية من قرى سمرقند) سنة ٢٥٦ هـ، يقول ابن كثير: «ولما حدثت الوحشة بينه وبين السلطان خالد بن أحد الذهلي نائب الطاهرية ببخارى، نزح - أي البخاري - إلى خرتنك على فرسخين من سمرقند ومات هناك»<sup>(٣)</sup>، وكان يلومه الإمام أحمد على إقامته بخراسان ويحثه على المقام ببغداد كما يذكر ابن كثير<sup>(٤)</sup>، وقال أيضا عنه: «ودخل مرة إلى سمرقند، فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وخلطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوا على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة في إسناد ولا متن، وكذلك صنع في بغداد»<sup>(٥)</sup>، وهذا

(١) الأنساب، للسمعاني ٣/٣٤٦، ٣٤٧، باختصار.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص ٥٥٨.

(٣) البداية والنهاية ١١/٣٢، ٣٣، مج ٦، بتصرف.

(٤) البداية والنهاية ١١/٣١، مج ٦.

(٥) البداية والنهاية، بعناية: عبد الرحمن اللادقي، ١١/٣٢، مج ٦، ط دار المعرفة، بيروت، ٨، سنة ٢٠٠٨ م.

يدل على تمكن أهل تلك النواحي من الحديث وتغلب السنة على هذه البلاد كما يقول العلامة الكوثري رحمه الله<sup>(١)</sup>.

وجاء في القند في ترجمة خلف بن شاهد بن الحسن بن هاشم النسفي أنه: «روى عن البخاري الجامع وسمع منه أهل سمرقند الجامع.. مات في رجب سنة ثمان وثلاثمائة»<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: الإمام الترمذي المولود في ترمذ سنة ٢٠٩ هـ والمتوفى بها سنة ٢٧٩ هـ وترمذ تقع في أوزبكستان الحالية وهي على ضفة نهر جيحون قريبة من سمرقند.

ومنهم: الإمام الدارمي، المولود في سمرقند سنة ١٨١ هـ والمتوفى فيها سنة ٢٥٥ هـ.

أما علم الفقه: فقد حفلت المنطقة بعلماء الفقه على المذاهب المختلفة، فبالإضافة إلى علماء الحنفية ومنهم الإمام الماتريدي ومشايخه، مثل: نصير بن يحيى البلخي (ت: ٢٦٨ هـ)<sup>(٣)</sup>؛ فقد كان لعلماء المذاهب الأخرى وجود مما أثرى الحياة العلمية ببلاد ما وراء النهر وظهر أثر هذا في تفسير الإمام الماتريدي، كما سنفصل إن شاء الله في موطنه.

ومن هؤلاء: أبو علي الحسين بن علي بن عبد الله السمرقندي روى عن داود كته<sup>(٤)</sup> من فقهاء الظاهرية، وذكر الشيرازي أن المذهب انقرض ببغداد وبقي بشيراز<sup>(٥)</sup>. مما يعني حضور المذهب الظاهري في تلك المنطقة.

ومن جمع بين الفقه والحديث من أهل تلك البلاد: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السمرقندي (ت: ٣٥٤ هـ)، وهو «من بلغوا مرتبة الاجتهاد، إمام كبير له تصانيف كثيرة في الحديث والجرح والتعديل، ولحقه قضاء سمرقند ورحل إليه الناس لأخذ العلم عنه، وإليه مرجع كثير من المحدثين في حكمه على رجال الحديث بالجرح والتعديل»<sup>(٦)</sup>.

(١) مقدمة تبين كذب المفترى، ص ٢٧، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) القند في ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧)، بعناية: نظير محمد الفارياي، ص ٢٧، مكتبة الكوثري، السعودية، ط ١، سنة ١٩٩١ م.

(٣) ينظر ترجمته في مطلب: شيوخ الإمام الماتريدي، في الفصل القادم.

(٤) طبقات الفقهاء، أبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦ هـ)، ص ١٧٧، دار الرائد العربي، بيروت.

(٥) طبقات الفقهاء، ص ١٧٩.

(٦) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ١/٢٠٤، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٦ م.

أما علم الكلام والعقائد: فبالإضافة للإمام أبي منصور الماتريدي وأصحابه، فإن هذه البلاد قد أخرجت اثنين من أكبر الشخصيات الكلامية في تاريخ الإسلام هما: أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ)<sup>(١)</sup>، وأبو القاسم الكعبي (ت: ٣٢٩هـ)<sup>(٢)</sup>. وكلاهما ذكره الماتريدي في تفسيره، لاسيما الكعبي الذي خصه بمؤلفات ترد عليه.

### - موقع العلم والعلماء:

قال في أحسن التقاسيم: «إقليم المشرق هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم... دينا مستقيما وعدلا مقبيا في دولة أبدا منصوره مؤيدة، ومملكة جعلها الله عليهم مؤيدة، فيه يبلغ الفقهاء درجات

(١) يقول الصفدي: «أحمد بن سهل البلخي أبو زيد كان فاضلا قويا بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلما للصبيان ثم رفعه العلم وقد وصفه أبو حيان التوحيدي وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي حنيفة الدينوري» أ.هـ.

ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٢٥١/٦، ٢٥٢، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ويقول عنه أبو حيان التوحيدي (معجم الأدباء: ٢٥٩/١): «الذي أقوله وأعتقد أنه لم أجد في جميع من تقدم ومن تأخر إلا ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريرهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم: أحدهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ... والثاني: أبو حنيفة الدينوري فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة وبين العرب... والثالث: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي فإنه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول، لولا يظن أنه يوجد له نظر في مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وفي كتاب اختيار السير، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويده به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رمي في الناس، من جمع بين الحكمة والشرعة سواء، وإن القول فيه لكثير» أ.هـ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر (لسان الميزان ٤/٤٢٩ ت: أبو غدة): «عبد الله بن أحمد بن عمود البلخي أبو القاسم الكعبي. من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه. وتوفي سنة ٣١٩هـ. وذكر المصنف في تاريخ الإسلام أنه كان داعية إلى الاعتزال. وعن جعفر المستغفري أنه قال: لا أستجيز الرواية عنه، وأنه دخل نسف فأكرموا به إلا الحافظ عبد المؤمن بن خلف فإنه كان يكفره ولم يسلم عليه لما دخل البلد، فمضى الكعبي إليه فوجده في محرابه فسلم فلم يلتفت إليه، فقطن فحلف من بعيد بالله عليك أيها الشيخ أن لا تقوم ودعا قائم وانصرف دافعا للخجل عن نفسه. ومات في جمادى الآخرة» أ.هـ.

الملوك ويملك في غيره من كان فيه مملوك» ثم قال متحدثا عن كور هيطل «اعلم أن هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيرا وفقها وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين، وأشد بأسا وأغلظ رقابا وأدوم جهادا وأسلم صدورا وأرغب في الجماعات، مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم، وعلى الجملة: الإسلام به طري والسلطان قوي والعدل ظاهر والفقير ماهر والغني سالم والمحترف عالم والفقير غانم قلما يقحطون، منابرهم أكثر من أن توصف، ونواحيه أوسع من أن تتعت»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على شدة تقدير العلماء ما ذكره أيضًا فقال متحدثا عن رسوم الأمراء في الدولة السامانية: «ومن رسومهم أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض، ولهم مجالس عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان، فيبدأ هو فيسأل مسأله ثم يتكلمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة، وليس من رسمهم الانبساط إلى الرعية، وإنما الوزير الذي يمشي الأمور... ويختارون أبداً أفقه من يبخاروا وأعفهم فيرفعونه ويصدرون عن رأيه ويقضون حوائجه ويولون الأعمال بقوله»<sup>(٢)</sup>. ومن مظاهر ذلك التقدير للعلماء واحترامهم ما ذكره السمعاني من صلاة الأمير على أحد المذكورين<sup>(٣)</sup>، بل حمل الوزير تابوت أحد العلماء<sup>(٤)</sup>.

وبصفة عامة فقد «تمتع رجال الدين بمكانة خاصة، كما أن مؤسس الدولة نفسها ثبت سلطانه ببخارى مستعينا بنفوذ رجال الدين هناك، وكان العلماء لا يكلفون بتقبيل الأرض بين يدي الأمير، وكان يختار من بين فقهاء الحنفية ببخارى أكثرهم علما وأرفعهم مكانة فكانت الأمور تصدر عن رأيه وتقضى حوائجه، ويعين العمال وفقا لمشورته، ويستدل من ألفاظ السمعاني على أن هذا الشخص الذي يعادل المفتي أو شيخ الإسلام في الأزمنة المتأخرة كان آنذاك يحمل اللقب الفارسي (أستاذ) أي المعلم وأن منصب (الأستاذ) قد وجد منذ عهد إسماعيل»<sup>(٥)</sup>.

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٠ فما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأنساب، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ ١/٢٤٢،

تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والبحوث الثقافية، دار الجنان، ط ١، سنة ١٩٨٨م.

(٤) الأنساب، ٥/٢٧٩.

(٥) تركستان، ص ٣٦١، ٣٦٢ بتصرف يسير.

## - المذاهب والأديان:

يلاحظ بارتولد أن سكان مقاطعات أعلى النهر كانوا يدينون بالوثنية حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) بالرغم من خضوعهم سياسياً لسلطان المسلمين<sup>(١)</sup>.

ويوجز المقدسي مذاهب وأديان إقليم المشرق، فيقول: «وهو أكثر الأقاليم علماً وفقهاً وللمذكرين به صيت عجيب، ولهم أموال جمة وبه يهود كثيرة، ونصارى قليلة، وأصناف المجوس.. وأولاد على رضي الله عنه فيه على غاية الرفعة، ولا ترى به هاشمياً إلا غريباً، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة كروخ واستربيان كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيورد وطراز وصنغاج وسواد بخارا وسنج والدندانقان وأسفرين وجويان فإنهم شفعوية كلهم، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمروين ولا يكون قاضياً إلا من الفريقين، وخطباء المواضع التي استثنينا ونيسابور أيضاً شفعوية وأحد جامعي مرو أيضاً، إلا أن الإقامة به ونيسابور مثني، وللكرامية جلبة بهراة وغرج الشار ولهم خواناتق بفرغانة والختل وجوزجانان وبمرو الروذخانقه وأخرى بسمرقند، وبرساتيق هيطل أقوام لهم بيض الثياب مذاهبهم تقارب الزندقة، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي لهم زهد وتقرب، وأكثر أهل ترمذ جهمية، وأهل الرقة شيعة، وأهل كندر قدرية، والشار<sup>(٢)</sup> يصلي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءتين ويكبرون أربعاً<sup>(٣)</sup>.

وقد انشغل السامانيون بحركات الخوارج والشيعة، يقول بارتولد: «أما الثورات الشعبية التي شغلت الطاهريين فكان أخطرهما اثنتين هما: حركة الخوارج بسجستان، وحركة الشيعة بطبرستان، وكلا الحركتين ظلت مستمرة إلى عهد السامانيين أيضاً<sup>(٤)</sup>.

(١) تركستان، ص ١٤٧.

(٢) الشار: الملك أو الأمير، كما قال في أحسن التقاسيم.

(٣) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٦ فيما بعدها.

(٤) تركستان، ص ٣٣٨.

- النزعة الفارسية<sup>(١)</sup>:

لما دخل الإسلام بلاد ما حول الجزيرة العربية كمصر وفارس وما ورائها اختفت لغات هذه الأمم مع قبول أهلها للإسلام تدريجياً؛ «لهذا اختفت القبطية واليونانية من مصر حيث كانت القبطية لغة التخاطب واليونانية لغة الأدب والشؤون الرسمية، وتوارت البربرية من شمال أفريقية وانكشفت الفارسية في العراق وفارس وانزوت اللهجة النوبية من بلاد النوبة، ثم بعد حين توارت اللهجة السودانية والكوشية من السودان، ولم تظهر واحدة من هذه بعد اختفائها ما عدا الفارسية التي استطاعت أن تسترد حياتها في فارس منذ القرن الرابع للهجرة<sup>(٢)</sup>.

و«كان نهر جيحون هو بعض الحدود الفاصلة بين الشعوب التي تتكلم الفارسية والشعوب التي تتكلم التركية<sup>(٣)</sup>»، ويشير بارتولد إلى خضوع المنطقة في معظم الوقت لسيادة القبائل التركية<sup>(٤)</sup> والخريطة الحالية توضح خضوع منطقة ما وراء النهر للدولة الفارسية قبل الإسلام.

(١) هذا المطلب مهم في التعرف على خلفية الإمام الماتريدي، وسيأتي المزيد منها في (حياته)، وسأحيل على هذه النقطة فيما بعد.

(٢) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، الدكتور أحمد محمد الخوفي، ص ٢٢٧، ٢٢٨، بتصرف يسير، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣، دون تاريخ.

ويلاحظ: أنه في الوقت الذي كانت الفارسية فيه تسترد عافيتها في فارس على حساب العربية، كانت القبطية واليونانية في مصر في طريقهما إلى الانزواء لحساب العربية، ففي الوقت الذي كانت فيه فارس وما حوها تتكلم العربية لم تكن مصر قد تعربت بعد، ثم ارتدت فارس عن العربية وتبنتها مصر لما صار الإسلام هو دين غالبية المصريين في أواخر القرن الرابع الهجري، وهو ما لاحظته الدكتور عمارة حين أرخ فيه للفترة الفاطمية من ٣٥٨ هـ إلى ٥٦٧ هـ.

ينظر: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، د. محمد عمارة، ص ٢٥ فيما بعدها، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٧ م.

(٣) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، ص ١٩٢، دار العلم للملايين، ط ٣، سنة ١٩٧٤ م.

(٤) تركستان، ص ١٤٥.



ويقال - من جهة أخرى - إن السامانيين والظاهرين لم يكونوا متعصبين في نشر لغتهم الفارسية بل إنه «بسبب أصلهم الأرستقراطي وبوصفهم ممثلين رسميين للسيادة العربية بالمنطقة فإنه لم يكن بوسعهم أن يظهروا بمظهر المنتصرين للاتجاهات القومية والشعبوية»<sup>(٤)</sup>، حتى إنه في عهد إسماعيل بن أحمد الذي عرف بتقواه الشديدة قد جعل اللغة العربية مرة أخرى هي اللغة المعتمدة لرسائل الدولة الرسمية وإن كان ذلك لم يستمر طويلاً<sup>(٥)</sup>؛ ذلك لأن الروح القومية الفارسية قد استيقظت، إلى أن تحول لسان تلك المنطقة تماماً من العربية إلى الفارسية ابتداء من الأسر الحاكمة بعد السامانيين التي تمتعت بسند شعبي أكثر من السامانيين؛ وذلك لأنهم اجتهدوا في إرضاء الروح القومية الإيرانية، والدليل على ذلك أن

(۳) ترکستان، ص ۳۶۲.

(۵) ترکستان، ص ۳۷۱ بتصرف.

ومنذ دخول الإسلام «ظلت اللغة العربية على وجه التقريب هى اللغة الأدبية الوحيدة في العالم الإسلامي بأجمعه على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولكن منذ بدايات القرن الرابع الهجري أصبحت الفارسية شيئاً فشيئاً لغة الأدب في القسم الشرقي من العالم الإسلامي»<sup>(١)</sup>، خاصة في عهد «السامانيين الذين عملوا على إحياء اللغة الفارسية الحديثة التي تجمع بين المؤثرات العربية والمؤثرات الفارسية، وبدأت هذه اللغة في عهدهم تصبح لغة الفكر والثقافة»<sup>(٢)</sup>، وقد ظهر ذلك في تفسير الماتريدي من خلال احتوائه على عبارات فارسية يقرب بها العبارات العربية التي قد تصعب على البعض<sup>(٣)</sup>.

وينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص ١٧٤ و ١٧٥.

(٣) سيأتي الحديث عن ذلك في (ثقافة الماتريدي) في الفصل القادم.

مؤسس دولة الزياريين (مرداويج) كان يحلم بإعادة عرش الساسانيين، وأن البويهيين طبعوا نقوداً نقش عليها اللقب الفارسي القديم: شاهنشاه، أى ملك الملوك<sup>(١)</sup>.

#### - مشاهد ومزارات:

من مظاهر الحياة الفكرية أيضاً ما يلاحظ من وجود مشاهد ومزارات في تلك النواحي حيث «ظهر التصوف في هذه البلاد.. فكان أولهم في هذا الإقليم شقيق البلخي (ت ١٥٣ هـ) قيل إنه أول من تكلم في علم الأحوال بخراسان.. ثم تتابع المتصوفة بعده في هذه البلاد كأبي حفص عمرو بن سالم الحداد النيسابوري المتوفي سنة ٢٧٠ هـ وأبو تراب النخشي من متصوفة خراسان المشهورين بالعلم والفتوة والزهد، وأبو علي الجوزجاني له التصانيف في الرياضة النفسية والمجاهدات والمعارف، وأبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق أصله من ترمذ وأقام ببلخ، وأبو عبد الله محمد بن منازل النيسابوري شيخ طريقة الملامية مات بنيسابور سنة ٣٩٢ هـ وأبو العباس ابن القاسم من أهل مرو، وهو أول من تكلم عندهم في حقائق الأحوال، مات سنة ٣٤٢ هـ<sup>(٢)</sup>، وكان لدى الإمام الماتريدي نزعة صوفية، كما سيأتي.

وذكر السخاوي في ترجمة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندي، أنه «ارتحل منها (أي بلدته خجند)، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (ولد ٧١٩ هـ)، في سحر خامس عشر رمضان سنة إحدى وأربعين إلى سمرقند... وزار من بها من السادات، كقثم بن العباس، وأبي منصور الماتريدي»<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ بارتولد ذلك أيضاً فيقول: «وقثم معروف للأهالي الآن باسم شاه زنده (الأمير الحي) ومنذ عهد بابر حمل القبر اسم مزار شاه (قبر الأمير).. ومنذ القرن الثاني عشر (الميلادي) إلى يومنا هذا كان ذوو المكانة من الناس يدفنون حول قبر قثم، بل وقامت هناك مدرسة عرفت باسمه»<sup>(٤)</sup>.

(١) تركستان بالمتن والهامش بتصريف، ص ٣٥٢.

(٢) ظهر الإسلام: ١/٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) ١/١٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

(٤) تركستان، ص ١٨٢، ١٨٣.

### المطلب الثالث

## علم التفسير في عصر الإمام الماتريدي

إن الإمام الماتريدي قد تأثر ولا ريب بذلك المعين البعيد الذي استقى منه آراءه وسار على نهجه في الجمع بين العقل والنص من مدارس أهل الرأي والتي تمثلت أفضل ما يكون لدى الإمام الأعظم وتلامذته لكن هذا تأثر (تاريخي) عام - إن صح التعبير - ولا أتحدث عنه هنا بل سأفرد للحديث عنه مبحثاً مستقلاً إن شاء الله تعالى.

إن اجتهاد الإمام الماتريدي لـ (جغرافيا) عصره إنما هي تنزيل لأحكام ما تعلمه من (تاريخ) أسلافه الأحناف ومن سار على نهجهم، فلكل جغرافيا أحكامها ولكل جيل اختياراته وطريقته التي لا تخرج عن الإطار العام التاريخي الموروث من تلك المدرسة.

إن من يطالع أحوال عصر الماتريدي سواء في الدولة العباسية أو الولاية التي عاش في ظلها في الدولة السامانية وبلاد ما وراء النهر خاصة، سيلمح ولا بد أجواء النقاش العلمي والسجال الكلامي والاختلاف الفقهي والانفتاح المعرفي على أصحاب الديانات والفلسفات.

وإن السير على منهج إيراد «التأويلات» أو «الاحتمالات» في معنى النص هو من آثار هذا السجال وذلك التفاعل لا ريب، وقد لاحظ الباحث أن علماء العصر كانوا مشغولين بالدفاع عن القرآن في جبهتين:

#### - الجبهة الداخلية:

حيث قضايا «مفهوم النص» والانشغال بالإجابة عن سؤال: أي معاني القرآن أوفق وأهدى، أو أي معانيه أقرب إلى المنقول والمعقول معاً؟ وقبل ذلك: ما هي قواعد فهم النصوص وكيفية الاستدلال بها في خضم الخلاف الفقهي الذي كانت تموج به منطقة ما

وراء النهر في جانب الفروع أو ما كانت تموج به المنطقة من مذاهب ونحل إسلامية في جانب الأصول؟ لا سيما إذا علمنا أن الكثيرين قد حاولوا جعل نصوص القرآن تنطق بآرائهم ومذاهبهم؛ استغلالاً لنصوص القرآن وتوظيفاً لها في تثبيت ما اعتقدوه من معان أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

ومما يدل على وجود «هاجس» البحث عن التأويل الأوفق والأهدى في هذا العصر المائج بالملل والنحل ما حكاه أبو المعين النسفي عن شيخ الماتريدي أبو نصر العياضي حين يقول: «وحكى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي رحمه الله أنه قال: ما أتى الفقيه أبا نصر العياضي أحد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراء في الدين بآية من القرآن يحتاج بها لمذهبه إلا تلقاه مبتدّها بما يفحّمه ويقطعه»<sup>(١)</sup>.

وقد نشطت الفرق المختلفة - التي خرجت عن جمهور الأمة في القرنين الثالث والرابع لا سيما المعتزلة منهم - في تفسير القرآن<sup>(٢)</sup> وكان المعتزلة قد «عنا في المقام الأول بتفسير الآيات المتشابهة بخاصة، حتى أفردوها بالتصنيف وقدموا القول في تأويلها على القول في سائر آيات الكتاب الكريم»<sup>(٣)</sup>، وذلك ليشبّثوا ما ذهبوا إليه عن طريق تأويل آيات القرآن وللدرد على مخالفينهم أو لإثبات مذاهبهم ورد شبهات خصومهم من خلال القرآن الكريم في خضم ذلك الصراع الفكري بينهم وبين غيرهم من المسلمين وغيرهم؛ فمحمّد بن المستنير أبو على النحوي اللغوي البصري المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) يؤلف كتاب (الرد على الملحدين في متشابه القرآن) وكان قد أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن النظام رأى المعتزلة<sup>(٤)</sup>. وكتابه هذا يعد أقدم مؤلف اعتزالي في تفسير المتشابه وفعل مثله: «بشر بن المعتمر رئيس معتزلة بغداد المتوفى في حدود سنة ٢١٠ هـ ومحمود بن حسن الوراق والذي توفي في حدود سنة ٢٣٠ هـ وأبو الهذيل العلاف رأس الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وجعفر

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي: ٤٦٩/١.

(٢) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ٣٦٤/١.

(٣) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، أ.د. عدنان زرزور، فصل: تفاسير المعتزلة قبل الحاكم، مؤسسة الرسالة.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص ٢٨.

بن حرب المتوفى سنة ٢٣٦ هـ كما أفردته بالتصنيف فيما بعد أبو على الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ)<sup>(١)</sup>. ومع ذلك فإن متأخري المعتزلة من طبقة أبي الهذيل العلاف «لم يلبثوا أن أقدموا على وضع المصنفات المطولة في تفسير القرآن كما فعل أبو بكر الأصم وموسي الأسواري وعمرو بن فايد»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى الذي نقول من أن الصراع على المعنى كان حاضراً في تلك الفترة ما حكاه الصفدي عن أحمد بن سهل أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢ هـ) قوله: «كان للحسين بن علي المروزي وأخيه صعلوك صلات يجريانها علي دائماً فلما صنف كتابي في (البحث عن التأويلات) قطعها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما صنف كتاب القرايين والذبايح حرمنها، قال: فكان الحسين قمرطياً وكان الجيهان ثنوياً»<sup>(٣)</sup> وكان الجيهاني هذا وزيراً في عهد نصر بن أحمد الذي تولى الملك وعمره ثلثي سنوات، فضبط ملكه الجيهاني وكانت فترة حكمه طويلة (٣٠١ - ٣٣١ هـ) ويقال إنه اعتنق المذهب الإسماعيلي حتى نزل عن الملك لابنه نوح بن نصر الذي حارب القرامطة وأشياهم<sup>(٤)</sup>، وهو من عاصرهم الماتريدي من أمراء السامانيين.

وكتاب (البحث عن التأويلات) قال فيه الفقيه أبو بكر النيسابوري: «ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب (البحث عن التأويلات) صنفه أبو زيد البخى»<sup>(٥)</sup>. وكان البلخي «يتنزه عما يقال في القرآن من تأويل بعيد ولا يقول إلا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل وقد بين ذلك في كتابه المسمى (نظم القرآن)»<sup>(٦)</sup> وهو من مصادر الماتريدي في تفسيره.

(١) الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، السابق نفسه باختصار وتصرف طفيف.

(٢) السابق نفسه.

(٣) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٩٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،

٢٥٢/٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م. وكذا في: الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي

يعقوب اسحاق النديم المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجمدد ١/١٥٣، طهران.

(٤) ينظر ما سبق في عصر الماتريدي من الناحية السياسية.

(٥) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ت: الدكتور إحسان عباس، ١/٢٨٠، دار الغرب الإسلامي، ط ١،

١٩٩٣ م.

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٣٦٦، وأحال على الإرشاد لياقوت الحموي.



ويؤكد هذا المعنى أيضًا ما يذكره الإمام الأشعري عن الجبائي فيقول: «ورأيت الجبائي ألف في تفسير القرآن كتاباً أوَّلُهُ على خلاف ما أنزل الله عز وجل وعلى لغة أهل قريته المعروف بجبِّي بين البصرة والأهواز، وليس من أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وما روى في كتابه حرفاً واحداً عن أحد من المفسرين، وإنما اعتمد ما وسوس به صدره وشيطانه»<sup>(١)</sup> وقد أراد الأشعري نقض تفسيره فوضع تفسيره الذي سُمِّي الخازن أو المختزن<sup>(٢)</sup>.

وإن استعراضاً سريعاً للنشاط التفسيري من قبل غير أهل السنة في ذلك العصر ليؤكد على ما نقول هنا، وسوف أقصر في إبراز هذا النشاط على أبرزها وأكثرها تأثيراً - فيما أقدر - في تشكيل ملامح العصر الفكرية، وهي:

١- ما كتبه واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ)، حيث ذكر أن له من الكتب «معاني القرآن»<sup>(٣)</sup>.  
٢- تفسير عمرو بن عبيد (ت: ١٤٣ هـ) المتكلم المعتزلي، والذي «أخذ علم الأصول أولاً عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ثم آخرها عن واصل بن عطاء والحديث عن الحسن، وكان عمرو بن عبيد من أعلم الناس بأمر الدين إلا أن الناس لا يرضون باجتهاده لا عزاله... وله كتاب التفسير عن الحسن البصري»<sup>(٤)</sup>.

٣- محمد بن المستنير أبو علي النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب (ت: ٢٠٦ هـ)، له (معاني القرآن)، و(إعراب القرآن)، و(الرد على الملحدين في متشابه القرآن)، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن النظام رأى المعتزلة<sup>(٥)</sup>.

٤- بشر بن المعتمر (ت: تقريباً ٢١٠ هـ)، له (متشابه القرآن)<sup>(٦)</sup>.

٥- الأخفش سعيد بن مسعدة (ت: ٢١٥ هـ) له (معاني القرآن).

(١) تبين كذب المفترى، ص ١٣٩. وينظر: الحاكم الجشمي، السابق. وينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ١/٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) ينظر الحاكم الجشمي، السابق.

(٣) معجم المفسرين، عادل نويهض، ٣٦/٢.

(٤) مفتاح السعادة، ١٤٦/٢.

(٥) ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي، ص ٢٨.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٧، وهو من الطبقة السادسة.

٦- أبو بكر الأصم (ت: تقريباً ٢٢٥ هـ)، جعله القاضي في طبقات المعتزلة على رأس الطبقة السادسة وقال فيه: «وله تفسير عجيب... وكان أبو علي - يعني الجبائي - لا يذكر أحداً في تفسيره إلا الأصم»<sup>(١)</sup> لكن هذا التفسير لم يصل إلينا مع الأسف، ومما يدل على أهميته نقل الإمام الماتريدي منه بل تأثره بأسلوب وطريقة الأصم في تفسيره كما سأوضحه في حينه إن شاء الله تعالى.

٧- عمرو بن فايد، من رجال السادسة، قال فيه: «وكان متكلماً جدلاً.. وله تفسير كبير»<sup>(٢)</sup>.

٨- موسي الأسواري، من رجال الطبقة السادسة أيضًا «فسر القرآن ثلاثين سنة ولم يتم تفسيره ويقال: كان في مجلسه العرب والموالي فيجعل العرب في ناحية والموالي في ناحية ويفسر لكل بلغته»<sup>(٣)</sup>.

٩- أبو يعقوب الشحام (ت: ٢٦٧ هـ) معدود في رجال الطبقة السابعة واسمه: «أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن اسحاق الشحام من أصحاب أبي الهذيل، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة بالبصرة في وقته، وله كتب في الرد على المخالفين وفي تفسير القرآن، وكان من أحذق الناس في الجدل وعنه أخذ أبو علي»<sup>(٤)</sup>.

١٠- أبو علي الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ)، وهو من رجال الطبقة الثامنة واسمه محمد بن عبد الوهاب الجبائي يقال «كان فقيها ورعاً زاهداً جليلاً نبيلاً، ولم يتفق لأحد من إذهان طبقات المعتزلة له بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل مثله، بل ما اتفق له هو أشهر أمراً وأظهر أثراً»<sup>(٥)</sup>، يقول الملطي في (التنبيه والرد) بعد ذكر الجاحظ وعباد بن سليمان<sup>(٦)</sup>: «ثم لم يبق للمعتزلة إمام مذكور بالبصرة ولا بغداد إلى أن خرج أبو علي محمد بن عبد الوهاب بكور

(١) طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى المرتضى، تحقيق سوسته ديفلد فلزر، ص ٥٦، ٥٧، ط ٢، ١٩٨٧، بيروت لبنان.

(٢) طبقات المعتزلة، ص ٦٠.

(٣) طبقات المعتزلة، ص ٦٠.

(٤) طبقات ص ٧١، ٧٢.

(٥) طبقات المعتزلة، ص ٨٠.

(٦) من الطبقة السابعة «له كتب معروفة وبلغ مبلغاً عظيماً وكان من أصحاب هشام الفوطي» طبقات، ص ٧٦.

جَبَّيَ بين البصرة والأهواز وكان لقي الشحام بالبصرة قبل خروج علي بن محمد الشحام صاحب أبي الهذيل فتعلم منه، فخرج لا شبيه له ووضع أربعين ألف ورقة في الكلام ووضع تفسير القرآن في مائة جزء وشيئا لم يسبقه أحد بمثله، وسهل الجدل على الناس<sup>(١)</sup> وهو «شيخ المعتزلة كان رأسا في الفلسفة والكلام أخذ عن يعقوب الشحام البصري وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير، أخذ عنه أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري، ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه، ومات الجبائي في سنة ثلاث وثلاثمائة»<sup>(٢)</sup>.

١١- أبو هاشم عبد السلام الجبائي (ت: ٣٢١هـ) «من رؤوس المعتزلة له تصانيف وتفسير، قال ابن درستويه: اجتمعت مع أبي هاشم فألقى علي ثمانين مسألة من النحو ما كنت أحفظ لها جوابا»<sup>(٣)</sup>.

١٢- أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ) «تتلمذ للكندي ببغداد وأخذ عنه الفلسفة والتنجيم والطب وعلوم الطبيعة. كان يتشبه عما يقال في القرآن من تأويل بعيد ولا يقول إلا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل وقد بين ذلك في كتابه المسمى (نظم القرآن) ثم صنف كتابا في (البحث عن التأويلات) أغضب فيه رجلا قرمطيا فقطع هذا القرمطي عن البلخي صلات كان يجريها عليه»<sup>(٤)</sup>.

١٣- أبو القاسم البلخي الكعبي (ت: ٣١٩هـ)، وهو معدود في الطبقة الثامنة، وهو رئيس نبيل غزير العلم بالكلام والفقه وعلم الأدب، واسع المعرفة في مذاهب الناس.. وله كتاب في التفسير<sup>(٥)</sup>، رد عليه الماتريدي في كتبه وألف في الرد عليه مصنفات.

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ص ٣٩، ٤٠، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.

(٢) طبقات المفسرين الأدنه وي، ص ٦٢. وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١ / ٨٨.

(٣) طبقات الأدنه وي، ص ٦٣. وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١ / ٨٨.

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١ / ٣٦٧.

(٥) طبقات المعتزلة، ص ٨٨، يقول الدكتور عدنان زرزور: «أما تفسيره الهام فيها يبدو والذي كان أحد مآخذ أبي يوسف القزويني في تفسيره الكبير فلم يصلنا منه أي جزء وتدل نقول الحاكم عنه أنه كان تفسيراً كاملاً شمل جميع القرآن» ينظر: الحاكم الجشمي ص ١٣٠ وطبقات المعتزلة، ص ٨٨.

١٤- العياشي، وهو «أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، وفي (روضات الجنات) للخوانساري العراقي الموفي، كان شيخا للكشي، وكان إماما لطائفة الإمامية في خراسان.. نقحه إبراهيم بن علي القمي، ويتكون في الغالب من روايات لمحمد الباقر وأبي عبد الله جعفر الصادق»<sup>(١)</sup>.

١٥- إبراهيم بن علي القمي (ت: ٣٠٧هـ)، شيعي، صاحب التفسير المعروف توفي بقم.

١٦- أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ).. من رجال الثامنة: «صاحب التفسير والعلم الكثير»<sup>(٢)</sup>، «واسم كتابه (جامع التأويل لمحكم التنزيل) ويقع في أربعة عشر مجلداً، وهو من أهم التفاسير الاعتزالية ولعله أيضاً من أخطرها بإطلاق أكثر من الاعتماد عليه كل من الشريف المرتضى في (أماليه) وأبي جعفر الطوسي في تفسيره (التيان) وإن كان أخذ عليه الإطالة.. وكان الرازي من بعد كلفا بالرد عليه.. وقد نقل السيوطي منه في (معترك الأقران في إعجاز القرآن) نصاً مطولاً وتوحي عبارته بالنقل المباشر عن هذا التفسير الذي لم يصل إلينا»<sup>(٣)</sup>، وكان «معتزلياً مقرباً من الوزير علي بن عيسى. عينه الخليفة المقتدر على فارس وأصفهان ثم عزله ثم تولى ولاية أصفهان سنة ٣٢١هـ بعد وفاة واليها»<sup>(٤)</sup>.

١٧- أبو بكر النقاش المعتزلي (ت: ٣٥١هـ)، «هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، الإمام المعلم، مؤلف كتاب (شفاء الصدور) في التفسير، مقري مفسر... صنف المصنفات في القراءات والتفسير، ومن ذلك: (الإشارة في غريب القرآن)، و(الموضح في القرآن ومعانيه)... قال الخطيب: كان عالماً بالحروف، حافظاً للتفسير»<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ١٤ / ٤، باختصار.

(٢) طبقات المعتزلة، ص ٩١.

(٣) الحاكم الجشمي، ص ١٣٠.

(٤) تاريخ التراث العربي: مج ١ / ٩٩.

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كوبري زادة، ٧٢ / ٧٣، باختصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.

١٨- أبو الحسن الاسفندياني، من التاسعة: «وله كتب صنفها في الكلام والتفسير والحديث.. وصفه أبو هاشم الجبائي بأن علمه وإن كان أقل من الصيمري إلا أنه أحسن نظاماً وترتيباً»<sup>(١)</sup>.

### النشاط التفسيري لأهل السنة:

أما أهل السنة وعلى رأسهم الإمام الماتريدي فإن نشاطهم التفسيري لم يكن رد فعل بحسب ما يمكن أن يتبادر! إذ واصلوا التأليف في التفسير لتلبية حاجة الأمة المتجددة منه، وهم منذ عهد السلف قد فسروا القرآن ودَوَّنوه الكثير منهم، وكانت تفاسير السلف عبارة عن صحف تروى بالأسانيد عنهم. وقد كان علم التفسير باباً من أبواب كتب الحديث إلا أنه «نظراً إلى الاختلاط الذي طرأ على التفسير بالمأثور، في ما ورد عن ابن عباس وما ورد عن غيره، فإن علماء الحديث في أواخر القرن الأول لم يزالوا يتابعون هذه الأحاديث التي يُقذف بها بين العوام.. وذلك ببيان الصحيح من السقيم، والتنبيه على الراوي الموثوق به والراوي المقدوح فيه، فصارت تلك الأحاديث الرائجة بطريق النقل الشفهي في النصف الثاني من القرن الأول، متبعة بتعاليق نقدية تتصل بها، هي التي علق بها عليها رجال النقد من أئمة الحديث. فلما استهل القرن الثاني وبدأت العلوم الإسلامية في دور التدوين انبرى أحد الأئمة الثقة من رجال الحديث: وهو عبد الملك بن جريج، (ت: ١٤٩هـ) إلى جمع تلك الأخبار، في كتاب، فكان أول من ألف في التفسير»<sup>(٢)</sup>، فدخل علم التفسير بذلك إلى حيز التدوين الكتابي، على ما كان عليه من اختلاط بين الصحيح والسقيم على قابلية كل منهما التمييز عن الآخر، بما سبق من النقود منذ القرن الأول»<sup>(٣)</sup>.

ثم بعد هذه الخطوة التي انفصل فيها التفسير عن الحديث وأصبح علماً قائماً برأسه، خطا خطوة فسيحة بدأت في العصر العباسي ولم تتوقف إلى يومنا هذا، فاهتم بعض المفسرين بتدوين التفسير مقتصرين على رواية ما نُقِلَ عن السلف مع إيراد الأسانيد، منهم: ابن ماجه

(١) طبقات المعتزلة، ص ٩٩.

(٢) في كون ابن جريج أول من ألف في التفسير نظر، ينظر: علم التفسير في (تاريخ التراث العربي)، المجلد الأول.

(٣) التفسير ورجاله، ص ٢٦، ٢٧، ط مجمع البحوث الإسلامية.

(ت: ٢٧٣هـ)، وابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ).. وغيرهم من أئمة هذا الشأن، وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين<sup>(١)</sup>.

كما اهتم بعضهم بالتوازي مع ذلك بتدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقل؛ «حيث دَوَّنت علوم اللغة، ودَوَّن النحو والصرف، وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي قائماً على قدمه وساقه.. وقامت الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها مع أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلي على الجانب النقل، وصار أظهر شيء في هذه الكتب، هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك من المأثور.. واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً. وإننا لنلاحظ في وضوح وجلاء: أن كل من برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أما مرحلة اختصار الأسانيد فكانت بعد عصر الماتريدي ومضي هؤلاء الأوائل أواخر القرن الرابع الهجري ومن أشهر تفاسير هذه المرحلة: تفسير (بحر العلوم) للسمرقندي المتوفى ٣٧٣هـ والذي غلب عليه الجانب النقل وإن وجد فيه الجانب العقلي أيضاً، وتفسير (الكشف والبيان) للثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ الذي اختصر فيه الأسانيد أيضاً ومثله البغوي المختصر من الثعلبي، والبغوي توفى سنة ٥١٠هـ ينظر: التفسير والمفسرون، ١/ ١٦١ فما بعدها.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ١٠٤ فما بعدها، بتصرف يسير، ويلاحظ أن العلامة الذهبي قد جعل التفسير بالمأثور مرحلة أعقبها مرحلة: غلبة الجانب العقلي، وهو خلاف الواقع إذ في عصر الطبري الذي عده من أئمة رواية المأثور كان الماتريدي الذي غلب على تفسيره الجانب العقلي وسبقه أبو بكر الأصم المعتزلي وغيرهما، فالصحيح أن التفسير بعد انفصاله عن الحديث تزامن فيه الجانبان، أعني: جانب التفسير المقتصر على المأثور سواء مع إيراد الأسانيد أو حذفها، مع جانب غلبة العقل أو غلبة التخصص على تفسير المفسر.



- أشهر مفسري أهل السنة في عصر الماتريدي<sup>(١)</sup>:

١- بقى بن مخلد الأندلسي (ت: ٢٧٦هـ)، وهو «بقى بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي الحافظ أحد الأعلام وصاحب التفسير والمُسند... لا يقلد أحدا بل يفتي بالآثر وهو الذي نشر الحديث بالأندلس وكثره، وليس لأحد مثل مسنده ولا تفسيره. قال ابن حزم: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ولا تفسير ابن جرير... وقد كانت وفاته في جمادي الآخر سنة ست وسبعين ومائتين»<sup>(٢)</sup>.

٢- ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) صاحب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وهو «رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عالما بأحوال الصحابة والتابعين بصيرا بأيام الناس وأخبارهم... وله التصانيف العظيمة، منها: تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير، لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء قاطبة منهم النووي في تهذيبه؛ لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله ولا بعده... قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني شيخ الشافعية: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا»<sup>(٣)</sup>.

٣- الزجاج (ت: ٣١١هـ)، وهو: «إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج وكان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه (معاني القرآن) في التفسير»<sup>(٤)</sup>.

٤- ابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، وهو «أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد

(١) وقد اعتمدت في سردهم على (طبقات المفسرين) للأذنه وي؛ لأنه متأخر، وقد جمع، وفيه ما لم يذكر في غيره.  
(٢) طبقات المفسرين، الأذنه وي، ص ٣٦. باختصار. وينظر: (طبقات المفسرين)، للسيوطي ت: علي محمد عمر، ١/ ٣٠ ط ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٣) طبقات المفسرين، الأذنه وي، ص ٤٨ فما بعدها باختصار طفيف. وينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ٨٢/١.

(٤) طبقات المفسرين، الأذنه وي، ص ٥٢. اختصار.

ابن بشار الأنباري النحوي، صاحب التصانيف في النحو والأدب كان علامة وقته في الأدب، صدوقا دينا ثقة حبرا من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث ومشكل الحديث وغيرها، وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن العظيم بأسانيدها... وله (إعراب القرآن) المسمى بـ (البيان)<sup>(١)</sup>.

٥- ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، وهو «عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها... صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، وكان عابدا زاهدا يعد من الأبدال»<sup>(٢)</sup>، ومن تصانيفه التفسير المسند في اثني عشر مجلداً<sup>(٣)</sup>.

٦- الإمام الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، وهو «علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحق ابن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي، أبو الحسن الشيخ الإمام ناصر السنة وناصح الأمة، إمام أئمة الحق ومدحض المبدعين المارقين حامل راية منهج الحق ذو النور الساطع والبرهان القاطع وهو الذي كان على رأس المائة الثالثة المحيي في الدين... صنف في تفسير القرآن»<sup>(٤)</sup>.

٧- أبو بكر القفال الشافعي (ت: ٣٦٠هـ)، وهو: «محمد بن علي بن إسماعيل

(١) طبقات الأذنه وي، ص ٦٦، ٦٧. باختصار.

(٢) مرتبة اختص الله بها بعض عباده، ولالإمام السيوطي رسالة بعنوان: (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والأبدال)، مما جاء فيها: «قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ثنا عبد الرحيم بن حبيب ثنا داود بن مخبر عن مسيرة عن أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله» أ.هـ.

ينظر: الخاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٢/ ٣٠٠، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) طبقات الأذنه وي، ص ٦٥، ٦٦. باختصار.

(٤) طبقات الأذنه وي، ص ٦٧، ٦٨. باختصار.

الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير كان إمام عصره بما وراء النهر فقيهها محدثا مفسرا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله في وقته... صنف في التفسير والأصول والفقه... وقال النووي: القفال هذا هو الكبير يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، بخلاف القفال الصغير المروزي فإنه يتكرر في الفقه خاصة<sup>(١)</sup>.

٨- أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٧هـ) «هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري، كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة، منها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب (إعراب القرآن)، وكتاب (الناسخ والمنسوخ)... وغير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

أما سمرقند بلد الإمام الماتريدي فيبدو أنها شهدت نشاطا تفسيريا؛ فقد ذكر السمعاني في (الأنساب) قال: «الخرعوني.. نسبة إلى خرعون، وهي قرية من قرى سمرقند من ناحية أبغر، ومن هذه القرية الأخوان أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعوني، ومات سنة إحدى وثلاثمائة.. وأخوه أحمد بن حامد الخرعوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعني التفسير - والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث سنين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا»<sup>(٣)</sup>.

- أما الجبهة الخارجية.

فإن جهود العلماء فيها كانت دون النشاط التي أخذته الجبهة الداخلية في الدفاع عن القرآن ومع ذلك فقد اهتم العلماء - ومنهم الإمام الماتريدي - بالرد على أصحاب العقائد والمثل في طعنهم على القرآن؛ إذ كانت منطقة ما وراء النهر خاصة قد شهدت فلسفات

(١) طبقات الأدنه وي، ص ٧٩، ٨٠. باختصار، وينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ٩٤/١.

(٢) مفتاح السعادة، ٧٣/٢، ٧٤. باختصار. وينظر: طبقات الأدنه وي، ص ٧٢.

(٣) الأنساب، للسمعاني ٣٤٦، ٣٤٧. باختصار.

وعقائد مختلفة كالثنوية القائلين بالنور والظلمة، والبراهمة منكري النبوات، وغيرهم من أرباب الديانات الوثنية وعن لم يدخل في الإسلام، وهؤلاء في معارضتهم للقرآن يحاولون جعل أحكام القرآن وعقائده تخالف المعقول أو الفطرة، أو يظهر آياته بمظهر المتناقضة حتى تهدم نفسها بنفسها، كما حاول ابن الراوندي الملحد (ت: ٢٩٨هـ) وهو من معاصري الإمام الماتريدي، حيث ألف كتاب (الدامغ) في نقض القرآن، و(الزمرد) في نقض النبوات<sup>(١)</sup> وقد ذكره الماتريدي في تفسيره ورد عليه في مواطن.

بل إننا لنستطيع القول إن علم الكلام الذي انشغل الإمام الماتريدي بالتنظير له أو البناء على ما أسسه الإمام الأعظم، يعد أساسا ثمرة لذلك السجال مع أصحاب العقائد والأديان، وما الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة أو غيرهم إلا خلاف في كيفية إيصال القرآن بصورة معقولة إلى الآخرين مع اختلاف في جوانب النظر التي تجعل البعض ينحرف عن جادة الصواب أو يميل قليلا هنا أو هناك، إما إلى جانب النقل أو العقل، إلا أن الجمع بين العقل والنقل في مناهج النظر مع إعطاء كل منهما ما يستحقه، لم يتوفر إلا لأئمة أهل السنة ومنهم الإمام الماتريدي رحمه الله.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٦٠ في بعدها): «الريوندي الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي، صاحب التصانيف في الخط على الله، وكان يلزم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقواهم. ثم إنه كاشف وناظر، وأبرز الشبه والشكوك. قال ابن الجوزي: كنت أسمع عنه بالعظام، حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب، ورأيت له كتاب (نعت الحكمة)، وكتاب (قضبب الذهب)، وكتاب (الزمردة)، وكتاب (الدامغ) الذي نقضه عليه الجبائي، ونقض عبد الرحمن بن محمد الحياط عليه كتابه (الزمردة).

قال ابن عقيل: عجبني كيف لم يقتل! وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن، والرمدة يزري فيه على النبوات. قال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعمق بشبهة! يقول فيه: إن كلام أكثم بن صيفي فيه ما هو أحسن من سورة الكوثر! وإن الأنبياء وقعو بطلاسم. وألف لليهود والنصارى يحتجهم في إبطال نبوة سيد البشر... قال ابن النجار: أبو الحسين ابن الراوندي المتكلم من أهل مرو الروذ، سكن بغداد، وكان معتزليا، ثم تزندق<sup>(٢)</sup> أ.هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة. وللمزيد من أخباره والحديث عن مؤلفاته، ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، د. عبد الرحمن بدوي، ص ٨٩ في بعدها، سين للنشر، ط ٢، ١٩٩٣ م.

والخلاصة: أن الأجواء العلمية السائدة في عصر الإمام الماتريدي وما شهدته من سجل فكري وعقائدي، كان لها أكبر الأثر في تصانيف الإمام الماتريدي ومنها تفسيره والذي اختار منهجاً معيناً فيه من حيث الاهتمام بمناقشة قضايا معينة، أو الإفصاح عن رأيه فيها أو تأكيدها، سواء في جانب الأصول أو الفروع، وهو ما سيتضح بجلالة تام إن شاء الله تعالى.

\*\*\*

## الفصل الثاني حياة الإمام الماتريدي

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم  
عند الممات جمال الكتب والسير<sup>(١)</sup>

(١) من شعر: موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، عن: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ٢/ ٣٣٤، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.



## تمهيد

### ملاحظات حول المصادر

من خلال تتبعي للمصادر المختلفة، ومحاولة جمع المتيسر عن حياة الإمام الماتريدي في كتب التراجم والتواريخ والطبقات والأنساب وغيرها، فإن عيني لم تخطئ عددا من الملاحظات:

#### - إهمال:

الملاحظة الأولى: أنه بالرغم من الأثر الفكري الهائل الذي خلفه هذا الإمام، باعتباره واحدا من كبار علماء الأمة في مجالات العقيدة والتفسير والفقه والأصول وغيرها، وهو صاحب مدرسة فكرية ممتدة إلى يوم الناس هذا، وبالرغم من كونه أسبق من الإمام الأشعري في تقرير عقائد أهل السنة والمنافحة عنها<sup>(١)</sup> إلا أننا مع ذلك لا نجد عن حياته الشخصية أو مسيرته العلمية ما يثلج الصدر، مما يترجم عن مكانة هذا العلم الكبير!!

وعلى سبيل المثال: فإنه في الوقت الذي كتب فيه التاج السبكي (ت: ٧٧١هـ) ترجمة حافلة للإمام الأشعري في (طبقات الشافعية) قربت من مائة صفحة<sup>(٢)</sup>، وكذا الإمام ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ألف كتابا حافلا عن الأشعري والأشعرية، سماه (تبين كذب المفترى)؛ فإننا في المقابل لا نجد عن الإمام الماتريدي إلا ما يقرب من عشرين سطرا في (تبصرة الأدلة)<sup>(٣)</sup> ومقدار عشرة سطور في كتاب (الجواهر المضية في طبقات الحنفية)<sup>(٤)</sup>، بالإضافة للإهمال

(١) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الرابع: (أسلاف الإمام الماتريدي في منهاجه).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، ت: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلوي، من ٣/ ٣٤٧ حتى ٣/ ٤٤٤، دار إحياء الكتب العربية، دون تاريخ.

(٣) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، ١/ ٤٦٩ - ٤٧٥، ت: حسين آتاي، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي =

الكبير لسيرته في الغالبية الساحقة من كتب التراجم والطبقات والتواريخ وغيرها، إذ لا تبلغ المصادر عن حياته أصابع اليدين، ثم إن ما نجده فيها بُعد ما هو إلا معاد مكرور، ينقله هذا عن ذاك، وفي كل الأحوال فإنه لا يتجاوز الأسطر المحدودات!

### - مفارقات:

الملاحظة الثانية: اشتملت المصادر المختلفة على مفارقات تدعو للعجب في شأن الإمام الماتريدي؛ حيث يقوم المؤلف في بعض الأحيان بإيراد بعض الأعلام المعاصرين للإمام الماتريدي، بل أحيانا من سمرقند أو قريبا منها، أو ممن للإمام به علاقة أو رد عليه في كتاب ونحوه... ومع ذلك فإنهم يترجمون للآخر ولا يذكرون الإمام الماتريدي!، ومن ذلك:

١- أن أصحاب كتب (الملل والنحل)<sup>(١)</sup> بالرغم من ذكرهم للكعبية أتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني (ت: ٣١٩هـ)، من معاصري الماتريدي، وقد رد عليه الماتريدي في مؤلفات مستقلة كثيرة، منها (رد أوائل الأدلة) و(رد تهذيب الجدل) و(رد وعيد الفساق)، وذكره في كتاب (التوحيد) للرد على مقالاته كثيرا<sup>(٢)</sup>، بالرغم من ذلك؛ فإنهم لم يذكروا شيئا عن الماتريدي أو الماتريدية!

٢- أن كتب (طبقات المفسرين) ككتاب السيوطي (ت: ٩١١هـ) وكتاب الداوودي (ت: ٩٤٥هـ) لم يذكر أي منهما شيئا عن الماتريدي، مع أن الداوودي مثلاً قد ذكر محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر الخياط النحوي (ت: ٣٢٠هـ) وأصله من سمرقند، فهو بَلَدِيٌّ

= (ت: ٧٧٥هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو ٣/ ٣٦٠، ٣٦١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٣م.

(١) ينظر مثلاً كتاب عبد القاهر البغدادي، المطبوع باسم: الملل والنحل، ت: ألبير نصيري، ص ١٢٧، دار المشرق، بيروت، وهو يعينه المطبوع باسم: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ١٨١، المكتبة العصرية بيروت، سنة ١٩٩٥م. وبينهما اختلافات بالزيادة والنقصان!

(٢) ينظر على سبيل المثال كتاب (التوحيد) للإمام الماتريدي بتحقيق الدكتور بكر طوبال أوغلي ص ٨٣، ١١٣، ١٢٣، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٦٦، ٤٥٣ وغيرها، دار صادر، بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠٧م.

الماتريدي ومعاصره<sup>(١)</sup>! والماتريدي مفسر، تفسيره معروف، يُنقل عنه، من أيامه وإلى الآن<sup>(٢)</sup>.

٣- وقد ذكر الماتريدي في كتاب (طبقات المفسرين) لمؤلف مجهول، من علماء القرن الحادي عشر، لم يطبع كتابه إلا حديثاً، إلا أنه لم يزد عن ذكر المذكور، وكتابة المكتوب<sup>(٣)</sup>!

٤- أن كتب (طبقات الفقهاء) مثل كتاب أبي إسحاق الشيرازي (ت: ٤٦٧هـ) لم يذكر أي منها شيئا عن الماتريدي فالشيرازي بالرغم من ذكره لأبي جعفر الطحاوي<sup>(٤)</sup> وهو من طبقة الماتريدي في المذهب، والماتريدي فقيه حنفي معروف بين الأحناف، لا يقل بينهم شهرة عن معاصره الطحاوي، بل كان يلقب بـ «الفقيه»، وقد نقلت عنه كتب الفقه الحنفي الكثير من آرائه الفقهية والأصولية، ومع ذلك فإنه لم يذكر الماتريدي في عداد الفقهاء. ولم يذكر الماتريدي إلا في كتاب متأخر، هو كتاب (طبقات الأصوليين) للمراغي<sup>(٥)</sup>.

### - السبب:

الملاحظة الثالثة: بدا لي أن السبب في هذا الإهمال وتلك المفارقات، يكمن في الآتي:

الأول: طبيعة التأليف في كتب التراجم والطبقات، فإن غالب هذه الكتب يعتمد على النقل والتجميع والترتيب، والمبنى منها على المجهود الشخصي للمؤلف الذي يقوم فيه بتتبع أخبار من يعرف من المترجم لهم قليل بل نادر، فإذا لم يترجم للعالم في عصره من يعرفه أو يعرف أخباره وأحواله، أو يقوم هو بالترجمة لنفسه فإن الأمر يصعب على من جاء بعده.

الثاني: أن كثيرا من تراث بلاد ما وراء النهر عامة، وطبقات الأحناف خاصة، لا سيما المتقدمة منها يعد في المفقود أو المخطوط. أما الفقد؛ فإن غزوات التتار الهمجية على

(١) طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداوودي، ت: علي محمد عمر، ٢/ ٨٤، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٧٢م.

(٢) ينظر: الباب الرابع، مبحث: (أثر تفسير الإمام الماتريدي).

(٣) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان الخزي ص ٦٩، ٧٠، مكتبة دار العلوم والحكم، ط ١، ١٩٩٧م. وهذا كل ما لدينا من كتب طبقات المفسرين (السيوطي، والداوودي، والأدنه وي).

(٤) طبقات الفقهاء، ص ١٤٢.

(٥) طبقات الأصوليين، عبدالله مصطفى المراغي، ١/ ٢٢١، نشره محمد عني عثمان، سنة ١٩٧٤م.

العالم الإسلامي جعلت الكثير من المكتبات ودور العلم أثرا بعد عين، وما اختفاء الكثير من المؤلفات القيمة النادرة التي تذكر في الكتب ولا نجد لها أثرا إلا نتيجة لتلك الغزوات، والتي فقد بسببها العديد من كنوز التراث.

وأما كون الكثير من تراث تلك البلاد ما زال مخطوطا في دور العلماء وبيوت العلم في ديار أوزبكستان خاصة - بلد الإمام الماتريدي - فهذا ما يغلب على الظن، خاصة وأنه من المعلوم أن تلك البلاد ما خرجت إلا حديثا من قبضة الاستعمار السوفياتي المحارب للإسلام وتراثه<sup>(١)</sup>.

فهذان هما السببان الاعتباران عندي في هذا الإهمال وتلك المفارقات<sup>(٢)</sup>.

(١) لعل أبرز الأمثلة على ما فقد منه أجزاء والتي نسأل الله أن يقيض لها من يجدها: كتاب «القند في ذكر علماء سمرقند» لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (٤٦١-٥٣٧هـ) والتي حققها يوسف الهادي، بواسطة مركز نشر التراث المخطوط في طهران (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) والمحقق قد اعتمد في هذه الطبعة على نسختين ناقصتين؛ الأولى: ناقصة الأول والآخر، مضطربة الأوراق، تضم التراجم التي تبدأ أسماء أشخاصها بحرف الألف حتى حرف الجيم، وبعض من العين.. الثانية: وهي تضم التراجم التي تبدأ أسماءها بالحروف من الحاء حتى الكاف فقط؛ ويفترض أن تكون ترجمة الماتريدي عند حرف الميم؛ إذ لم يعتبر الكنية في ترتيب التراجم، ولا بد أن في هذا الكتاب ترجمته؛ إذ مؤلفه نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ) هو صاحب «العقائد النسفية» الموافقة لعقيدة الماتريدي، والكتب في ذكر علماء سمرقند، والماتريدي ليس من المجاهيل، بل إنه قد ترجم في الكتاب لكل من مر أو أقام في سمرقند ولو قليلا، حتى إنه ترجم للخضر عليه السلام لأنه روى بها! ويوجد من الكتاب نسخة أخرى طبعت قبل هذه، وهي أنقص منها، اشتملت على أخطاء جمة طبعته مكتبة الكوثر بالسعودية اعتنى بها: نظر محمد الفريابي، ط ١، سنة ١٩٩١م. أشار محققها (ص ٦) إلى أن الكثير من كتب تلك المنطقة لم تصل إلينا.

(٢) ذكر بعض الباحثين أسبابا أخرى، لكنها غير مقنعة ولا تصمد أمام التمهيد العلمي، ومن ذلك ما يلي:

١- قالوا: بعد الإمام عن مركز الخلافة، حيث محط الأنظار، بخلاف الأشعري - مثلا - الذي كان في قلبها. لكن هذا السبب لا يصمد أمام التمهيد، فكم من عالم لم يعيش في عاصمة الخلافة ومع ذلك اعتنى به أصحاب التراجم والتواريخ والطبقات، فالإمام الطحاوي - مثلا - كان معاصرا للماتريدي، صنوا له وللأشعري، ولم يكن في مركز الخلافة بل عاش في مصر، ومع ذلك فقد ذكره ابن كثير في (تاريخه) وابن خلكان في (وفيات الأعيان) وابن عساکر في (تاريخه) وغيرها، كما يعلمه كل من طالع كتاب (الحوى في سيرة الإمام الطحاوي) للعلامة الكوثري عليه رحمة الله (طبعته مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة، دون تاريخ).

٢- قالوا: عدم استناد الإمام الماتريدي وأصحابه إلى قوة سياسية كما تم ذلك للمعتزلة زمن المأمون أو للأشعرية بعد ذلك.

لكن هذا السبب كذلك لا يثبت أمام التمهيد فضلا عن أن التسليم بصحة الربط بين انتشار الفكرة والقوة السياسية خطير!

أما تمحيصا: فإن الأديان والمذاهب العلمية لا يشترط في انتشارها قوة سياسية تدعمها وتدفعها؛ فالإسلام نفسه لم يلق تلك القوة في بداياته، ومذاهب الفقهاء التي انتشرت في الأمة لم تدعم من سياسيين، بل الذي حدث هو العكس تماما، فالسلطان يوطد ملكه ويتقرب من رعيته بما يرى له قبولا في مجتمعه، بل إن مذاهب الباطل قد أوجدت دولا استهدفت نشر مذاهبها ولم تفلح، كما فعل الفاطميون في مصر وشمال أفريقيا، بل إن القرن الرابع الهجري بأكمله لم يأت على الأمة الإسلامية إلا ويحكمها من يدعى الانتساب لآل البيت، ما بين تشيع زيدي أو باطني إسماعيلي أو تشيع ظاهري يخفي انحلالا وشعوبية كحركة الزنج والقرامطة، فهل تبقى من مذهب الإسماعيلية الباطنية شيع في مصر أو غيرها إلا بقعا هنا وهناك في العالم الإسلامي الشاسع؟!.. فالحق: أن الحق قوى بنفسه، وأن السيف قد يفتح أرضا لكنه لا يفتح قلبا.

أما خطورة: فإن هذا القول يعد انهماجا صريحا لشعوب الأمة الإسلامية والمذهب أهل السنة بالذات؛ إذ سمعنا من يقول ذلك من بقايا الباطنية والاثني عشرية! يرددونها بل يكتبونها. ولست أنكر أن يكون للقوة السياسية بعض الأثر؛ لاسيما إذا تبنت الدولة مذهبا أو أوقفت عليه أوقاف أو شيدت مدارس، لكن هذا الدعم ليس هو الخطوة الأولى بل الثانية! فلولا قوة مذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدي ما كُتب له البقاء أمام مختلف الآراء والأهواء، ولولا إحكام مذاهب الفقهاء لاسيما الأربعة وتنقيح مذاهبهم جيلا بعد جيل ما بقيت ولا انتشرت. نعم: قد تنتشر مذاهب الباطل ودوله حيناً، لكنها لا تبقى كثيرا، ولا تُعمر طويلا. هكذا يقول التاريخ!

٣- قالوا: عدم ارتباط الماتريدي إلى المراكز العلمية في العالم الإسلامي.

وهذا السبب فضلا عن كونه لا يصمد أمام التمهيد فإنه غريب حقا؛ إذ ينبغي أن يكون مبنيا على معرفة حياة الإمام! فكيف يُعلم ارتحال من عدمه وحياة الرجل شبه مجهولة لنا، ومن ثم فهو تخمين غير مستند إلى شيء!

٤- قالوا: تأخر التأليف في طبقات الحنفية، فإن أول كتاب ألف في طبقاتهم كان في القرن الثامن بعد وفاة الماتريدي بأربعة قرون تقريبا وهو كتاب: (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) للقرشي (ت: ٧٧٥هـ).

وهو كلام غير صحيح؛ فقد ألف الكثيرون في طبقات الأحناف قبل القرشي، بحسب ما أطلعت عليه.

ينظر هذه الأسباب الواهية في: أبو منصور الماتريدي حياته وآراءه العقدية، بقاسم الغالي، ص ٤٣، دار التركي للنشر، تونس، سنة ١٩٨٩م، ونقلتها فاطمة يوسف الخيمي، محققة التفسير في ٧/١، كما ذكر أغلبها نقلا عنه أيضًا (حيث ذكره من مصادره): أحمد عوض الحري في (الماتريدي دراسة وتقويم)، دار العاصمة، ط ١، سنة ١٤٠٩هـ وزاد بعضها من عنده (السببين الثالث والرابع)، ص ٨٣، ٨٤.



فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكثير من كتب طبقات الحنفية مازال حبيس أدراج المخطوطات وهى لم تر النور بعد، مما أكدته البحث في أدراج المخطوطات وخزائنها<sup>(١)</sup> قلنا مستريحين أن هذا الحكم بالإهمال إنما هو بالنسبة لما بلغنا من مصادر أما في نفس الأمر فيغلب على الظن وجود تراجم ضافية؛ نظرا لمكانة هذا الإمام، والأمل معقود أن تظهر هذه المخطوطات للنور، وأن نرى فيها ما يثلج الصدور...!

#### - مادة ترجمته:

**الملاحظة الرابعة:** أن غالب من يترجم للإمام الماتريدي لا يخرج في ترجمته أو لا يزيد شيئا ذا بال - اللهم إلا المزيد من المدح المستحق - عما ذكره صاحب (تبصرة الأدلة) بحيث لو قلنا: إن كل ما لدينا من معلومات وما عرفناه عن هذا الإمام يرجع إلى ما كتبه أبو المعين النسفى (ت: ٥٠٨ هـ) في (التبصرة) ما كان بعيدا، وقد صرح الزبيدي في (إتحاف) في آخر كلامه عن الماتريدي برجوعه إلى (التبصرة)، إلا أنه يُستثنى من ذلك ما ذكره أبو اليسر البزدوى المتوفى في بخارى سنة ٤٩٣ هـ في كتابه (أصول الدين)<sup>(٢)</sup>؛ لأنه أسبق وفاة من النسفى.

ومن العجب: أن الكتابين في العقائد وليس في التراجم، وأن الكلام فيهما عن أبي منصور قد أتى عَرَضاً أثناء حديث صاحب (التبصرة) عن الانتصار لصفة التكوين وإيراد القائلين بها، وأثناء حديث صاحب (الأصول) عن غرضه من تأليف الكتاب ودافعه إليه. وهى مفارقة أخرى وقفنا عليها في موضوعنا!

لذا فإنني في دراستي لسيرة حياة الإمام الماتريدي سوف أقوم بالآتي:

(١) اطلعت على مقالة على الانترنت ذكر كاتبها، جزاء الله خيرا، عددا من تلك المخطوطات، المحتوية على طبقات الحنفية المؤلفة قبل طبقات القرشي (الجواهر المضية)، وإن أغلب الظن أن تكون محتوية على ترجمة للإمام الماتريدي، وتؤكد في نفس الوقت الإحساس الذى يصل لدرجة اليقين بأن للإمام الماتريدي ترجمة وافية لم تصل إلينا سواء في هذه المخطوطات أو فيها لم يصل إلينا بعد من تراث ما وراء النهر.

(٢) اشتكى محقق الكتاب: هانز بيترلنس من ندرة المصادر حول البزدوى (ص ٩) مما يؤكد ما نراه من وجود (مشكلة) في تراجم علماء هذا الجزء من العالم الإسلامى.

أولاً: اعتماد «المصادر الأولية» التى تمثل «المادة الخام»؛ لأنها ستكون بوصلتنا في قبول ما يكتب عن الإمام الماتريدي أو رفضه؛ إذ شح المعلومات عن هذا الإمام قد أوقع البعض في أوهام وأغلاط، وهذه المادة الخام تتمثل في:

١- ما ذكره أبو اليسر البزدوى (ت: ٤٩٣ هـ) في (أصول الدين)، وهو خمسة أسطر تقريبا<sup>(١)</sup>.

٢- ما ذكره النسفى (ت: ٥٠٨ هـ) في (تبصرة الأدلة)، وهو نحو عشرين سطرا<sup>(٢)</sup>.

٣- ما ذكره ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩ هـ) في (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، وهو نحو سبعة عشر سطرا<sup>(٣)</sup>.

٤- ما ذكره عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (ت: ٧٧٥ هـ)، في (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) وهو نحو خمسة أسطر<sup>(٤)</sup>.

٥- ما ذكره ابن قطلوبغا (ت: ٨٧٩ هـ) في (تاج التراجم)، وهو نحو خمسة أسطر أيضا<sup>(٥)</sup>.

٦- ما ذكره العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ) في (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)، وهو نحو ثلاثين سطرا<sup>(٦)</sup>.

(١) أصول الدين، أبو اليسر البزدوى، ت: هانز بيترلنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، ص ١٤، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣ م.

(٢) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ٤٦٩/١ - ٤٧٥، ت: حسين آتاي، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣ م.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، تحقيق: كامل الجبوري، ٦١/٦، ٦٢، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيى الدين أبي محمد عبد القادر القرشي (ت: ٧٧٥ هـ)، ت: عبد الفتاح الخلو، ٣/٣٦٠، ٣٦١، دار هجر، ط ١، ١٩٨٨ م.

(٥) تاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين بن قطلوبغا، ت: جوستاف فلوجل، ص ٤٣، ٤٤، ليبزيج، ١٨٦٢ م.

(٦) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ص ٢/٦٥، طبعة مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٩٩٤ م.

٧- ما ذكره العلامة محمد عبد الحى اللكنوى الهندي (ت: ١٣٠٤هـ) في (الفوائد البهية في تراجم الخنفية)، وهو نحو عشرة أسطر<sup>(١)</sup>.

فهذا كل ما لدينا تقريباً حول سيرة هذا الإمام وحياته وأكثره مكرر معاد يتقله الآخر عن الأول؛ مما جعل الكثير من الكتاب يعبرون عن شح المعلومات حول حياة هذا الإمام الذى نعلم أثره العلمي الكبير وإن كنا مع الأسف نجهل حياته؛ فهذا أحمد أمين يقول: «ولا نعلم الكثير عن حياة الماتريدي، وإن كنا نعلم الكثير عن مذهبه»<sup>(٢)</sup>، وفي معجم تفاسير القرآن يعبر كاتبوه عن ذلك فيقولون: «ومعلوماتنا عن أبي منصور محدودة، فلا نعلم تاريخ ميلاده كما لا نعلم مراحل حياته، ولا ما قام به من رحلات من أجل الاتصال بشيوخ العصر، وكل ما نعلم: أنه كان واسع المعرفة الشرعية والعقلية، وأنه كان على جانب من الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، وأنه كان يناصر مذهب أهل السنة بلسانه وقلمه»<sup>(٣)</sup>.

ثم إنني ثانياً سأقوم بعمل دراسة تحليلية حول سيرة الماتريدي تستبعد بعض الأوهام وتحاول اكتشاف جوانب أخرى من حياته، لم تذكر في غير هذا الكتاب بفضل الله وحده، وسوف أعتمد في ذلك - بخلاف هذه المصادر الأولية - على:

١- ما تجمع لدى الباحث من هنا وهناك مما لم أجد له ذكراً في هذه المصادر الأولية.

٢- ما تجمع لدى الباحث من خلال دراسة تفسيره الكبير.

علنا بذلك نسد بعض الثغرات في معرفتنا بجوانب شخصية هذا الإمام وذلك من خلال المباحث الآتية:

\*\*\*

(١) الفوائد البهية في تراجم الخنفية، العلامة أبي الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندي، تصحيح وتعليق السيد بدر الدين النعماني، ص ١٩٥، نشر دار الكتاب الإسلامى. والكتاب تلخيص لكتاب (كتائب أعلام الأخيار) لمحمود بن سليمان الكفوى المتوفى سنة ٩٩٠هـ لخصه وزاد عليه فوائده كما قال في مقدمته، ص ٣، ٤.

(٢) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ٩١/٤، ط ٥، ط دار الكتاب العربى، بيروت.

(٣) معجم تفاسير القرآن، مجموعة مؤلفين، ص ٥٤٩، منشورات المنظمة الإسلامية للدراسات والعلوم (إيسيسكو)،

## المبحث الأول

### المادة الأولية لسيرة الإمام الماتريدي

تمثل المادة الأولية أو لنقل المادة الخام لسيرة الإمام الماتريدي في تراجمه الموجودة والمتوفرة لدينا في كتب التراجم والطبقات، كالتالي:

١. يقول أبو اليسر البزدوي (ت ٤٩٣هـ) في (أصول الدين):

«وقد وجدت للشيخ الإمام الزاهد أبي منصور الماتريدي السمرقندي كتباً في علم التوحيد على مذهب أهل السنة والجماعة وكان من رؤساء أهل السنة والجماعة صاحب كرامات. حكى لي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عن جده الشيخ الإمام الزاهد عبد الكريم بن موسى رحمه الله كراماته وأن جدنا كان قد أخذ معانى كتب أصحابنا وكتاب التوحيد وكتاب التأويلات في خلق عن الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمه الله إلا أن في كتاب التوحيد الذى صنفه الشيخ أبو منصور قليل انغلاق وتطويل، وفي ترتيبه نوع تعسير، ولولا ذلك لاكتفينا به»<sup>(١)</sup>.

٢. ويقول أبو المعين النسفى (ت ٥٠٨هـ) متحدثاً عن القائلين بصفة التكوين:

«وحكى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي رحمه الله أنه قال: ما أتى الفقيه أبا نصر العياضى أحد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراءى في الدين بآية من القرآن يحتاج بها لمذهبه الا تلقاه مبتداهاً بما يفحمه ويقطعه، وحكى أن رئاسة العلماء والدرس كانا إليه وهو من أبناء عشرين سنة. وروى انه لما استشهد خلف أربعين رجلاً من أصحابه كانوا من أقران الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمهم الله... ولو لم يكن فيهم إلا الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله الذى غاص في بحور العلوم فاستخرج دررها وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه وجوده قريحته غررها حتى أمر الشيخ أبو القاسم الحكيم أن يكتب على قبره

(١) أصول الدين، البزدوي، ص ١٤، هذا كل ما ذكره البزدوي عن الإمام الماتريدي بعد وفاته بأكثر من قرن ونصف (وفاته بعد وفاة الإمام ب ١٦٠ عاماً تقريباً).

حين توفي رحمه الله: هذا قبر من جاد العلوم بانفاسه واستنفذ الوسع في نشره وإقباسه فحمدت في الدين آثاره واجتنت من عمره ثماره فرحمه الله، وهو الذي تخرج عليه الفقيه أبو أحمد العياضي في انواع العلوم والشيخ أبو الحسن الرستغفني رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء المتبحرين في العلوم المالية لكان كافيا، وعن ثلب رأي هو عليه لذوى العقول والدين زاجرا، ومن رأى تصانيفه ككتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب رد أوائل الأدلة للكهبي، وكتاب رد تهذيب الجدل للكهبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، ورد كتاب الكهبي في وعيد الفساق، ورد الأصول الخمسة لأبي عمرو الباهلي، ورد كتاب الإمامة لبعض الروافض، وكتابه في الرد على القرامطة يرد في أحدهما أصول مذهبهم وفي الآخر فروعها، وكتابه في أصول الفقه أحدهما المسمى بمأخذ الشرائع والآخر المسمى بالجدل، إلى غير ذلك من الكتب، ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني وإثارة الدلائل عن مكائدها واستنباطها عن مظانها ومعادنها واطلع على ما راعى من شرائط الالتزام والالتزام وحافظ من آداب المجادلة الموضوع لفسخ عقائد المغترين بفهامهم وقرن كل مسألة من البرهان من الموضوع لإفادة ثلج الصدر برد اليقين لعرف أنه المخصوص بكرامات ومواهب من الله تعالى المؤيد بمواد التوفيق ولطائف الارشاد والتسديد من الغنى الحميد، وإن ما اجتمع عنده وحده من انواع العلوم المالية والحكمية لن يجتمع في العادات الجارية في كثير من المبرزين المحصلين ولهذا كان أستاذه الشيخ أبو نصر الياضي رحمهما الله تعالى لا يتكلم في مجالسه مالم يحضر الشيخ أبو منصور رحمه الله وكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، وكتابه المصنف في تأويلات القرآن كتاب لا يوازيه في فنه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وما أحسن ما قال بعض البلغاء الكتاب في وصفه رحمه الله تعالى في كتاب<sup>(١)</sup> فقال: كان من كبراء الأئمة وأوتاد الملة وكتابه في تفسير القرآن فتق عن المشكل أحكامه وقشع عن المشتبه غيامه وأبان بأبلغ الوصف وأتقن الرصف أحكامه وحلاله وحرامه لقاءه الله تحيته وسلامه.... وأكثر من ذكرت من قدماء هؤلاء كانوا ماتوا قبل ثلاثمائة

(١) هذا يؤكد ما ذكرناه من أن للإمام ترجمة في بعض الأجزاء المفقودة أو الكتب المخطوطة التي نسأل الله العثور عليها وسرعة تحقيقها.

وكثير منهم ماتوا فيما بين ثلاثمائة إلى ثلاثين وثلاثمائة، ووفاة الأشعري كانت في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوفي الشيخ أبو منصور رحمه الله بعد وفاة الأشعري بقليل<sup>(٢)</sup>.

٣. يقول ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ):

محمد بن محمد، أبو منصور الماتريدي، أحد أعلام الدين ومشايخ المسلمين، إمام، كل العالم بعلمه يقتدون، وبنهجه يهتدون، لو وهب ريحه على أبي حنيفة لتطيب به من زفر، وأيقن أن فوق اللؤلؤي من هو أدري بالدرر، ولما أسي لأبي يوسف إذا انتضت عنه من الحزن، وذهب سواد البصر، ولا أمهل أصحابه لغائب ولو كان محمد بن الحسن المنتظر، ولا بالي بالبلخي إن غاب أو حضر، ولا بابن ليلى وإن عكفت منه الطير على لحم كريم، وإن رفعت ناره في دجى الليل البهيم، ولكن سابع الستة الذين لا تثبت إلا بإجماعهم المسائل، وثالث الصاحبين ولا رابع لهم في تنوع الفضائل.

كان أحد أئمة الدنيا فقها، وعلميا وورعا وفضلا وديانة وخيرا مقبولا عند الموافق والمخالف مجمعا على أنه عديم النظر، وسيف السنة وقامع أهل الزيغ والبدعة، صنف الكتب وفرع على السنن وذب عن حريمها وقمع مخالفها ووصفه سيف الحق، فقال: أبو منصور الماتريدي الذي غاص في بحر العلوم فاستخرج دررها وأتى بحجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه غررها.

وقال غيره: كان المعتزلة يلقبون أهل السنة به، وينسبون سالكي طريقة أبي حنيفة في العقائد والأصول إليه، فيقولون: هؤلاء الماتريدية؛ لشدة ما يغيظهم شأنه وقوة انتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة وله المصنفات الجليلة في الأصول، والرد على أهل الزيغ. ومات بعد الأشعري بقليل، وكانت وفاة الأشعري سنة أربع وعشرين وثلاثمائة<sup>(٣)</sup>.

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، ١/ ٤٦٩ - ٤٧٥، باختصار، تحقيق حسين آتاي، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣، هذا كل ما ذكره أبو المعين عن الإمام بعد أكثر من قرن ونصف من وفاته (وفاته بعد وفاة الإمام ب ١٧٥ عاما تقريبا).

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، تحقيق: كامل الجبوري، ٦/ ٦١، ٦٢، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠.



٤. قال عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (٧٧٥هـ):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ذكره صاحب الهداية<sup>(١)</sup>. كان من كبار العلماء، تخرج بأبي نصر العياضي. كان يقال له إمام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد أوائل الأدلة للكهبي وكتاب رد وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الشعري بقليل وقبره بسمرقند كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن على الحنفي ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup>».

٥. قال ابن قطلوبغا (٨٧٩هـ) في (تاج التراجم):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب رد أوائل الأدلة للكهبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، قلت: تخرج بأبي نصر العياضي، وله كتاب رد تهذيب الجدل للكهبي، ورد وعيد الفساق للكهبي ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي، ورد كتاب الإمامة لبعض الروافض وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه، وكتاب الجدل في أصول الفقه<sup>(٣)</sup>».

(١) كتاب الهداية في الفقه الحنفي لصاحبه علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني شيخ الاسلام العلامة المحقق وهو من أصحاب التخريج في المذهب الحنفي وكانت وفاته سنة ٥٩٣هـ، وكتاب الهداية هو اختصار لبداية المبتدى الذي جمع فيه المؤلف القدوري والجامع الصغير للإمام محمد بن الحسن وزاد عليه مسائل ثم شرحه في كفاية المنتهى ثم اختصره في الهداية، وهو الذي قام العلامة جمال الدين الزيلعي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢هـ بتخريج احاديثه في نصب الراية، انظر مقدمة نصب الراية ص ١٤ (مؤسسة الريان) اختصره علاء الدين المارديني التركماني (توفى سنة ٧٥٠هـ) وهو شيخ القرشي وله ترجمة في الجواهر المضية ٢/ ٥٨١ واختصاره ساء «الكفاية الى معرفة احاديث الهداية» ثم لما وضع القرشي مختصراً أيضاً وسماه «الكفاية» كذلك أشار على القرشي بتغيير العنوان الى «العناية الى معرفة احاديث الهداية»!

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ٣٦٠، ٣٦١

(٣) تاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين بن قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: جوستاف فلوجل، ص ٤٣، ٤٤، لبيزيج ١٨٦٢ م.

٦. وقال العلامة محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) في (إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين):

«وأما الإمام أبو منصور الماتريدي فهو محمد بن محمد بن محمود الحنفي المتكلم وماتريد ويقال ماتريت بالثناة الفوقية بدل الدال في آخره محلة بسمرقند أو قرية بها ويلقب بإمام الهدى وترجمه الإمام المحدث محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي في الطبقات المسمى بالجواهر المضية والإمام مجد الدين أبو الندى إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني البليسي القاهري الحنفي في كتاب الأنساب كل منهما على الاختصار وكذا يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب وحاصل ما ذكره أنه كان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدين موطداً لعقائد أهل السنة قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وخصمهم في محاورتهم حتى أسكتهم، تخرج بالإمام أبي نصر العياضي وكان يقال له إمام الهدى وله مصنفات منها كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد أوائل الأدلة للكهبي وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصنيف من سبقه في ذلك الفن، وله غير ذلك وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل وقبره بسمرقند كذا وجد بخط الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي الحنفي ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود وبالأنصاري في نسبه فإن صح ذلك فلا ريب فيه، فإنه ناصر السنة وقامع البدعة ومحيي الشريعة كما أن كنيته تدل على ذلك أيضاً ووجدت في كلام بعض الأجلة من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة في وقته ومن شيوخه الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق بن صالح الجوزجاني صالح الفرق والتميز وأما شيخه المذكور أبو نصر العياضي الذي تخرج به فهو أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى ابن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الفقيه السمرقندي ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال كان من أهل العلم والجهاد ولم يكن أحد يضاهيه لعلمه وورعه وجلادته وشهامته إلى أن استشهد، خلف أربعين رجلاً من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي وله ولدان فقيهان فاضلان أبو بكر محمد وأبو أحمد، ومن مشايخ

الماتريدي نصير بن يحيى البلخي ويقال نصر بكرامات سنة ثمان وستين ومائتين، ومن مشايخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الري ترجمه الذهبي في الميزان وقال: حدث عن وكيع وطبقته.. فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحيى فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وهو على الإمامين أبي يوسف ومحمد بن الحسن وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحيى أيضًا على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي وأخذ محمد بن مقاتل أيضًا عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة، قال ابن البياضي من علمائنا: وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن لأن الماتريدي مفصل لمذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه المظهرين قبل الأشعري مذهب أهل السنة فلا يخلو زمان من القائمين بنصرة الدين وإظهاره كما في التبصرة النسفية<sup>(١)</sup>.

٧. وقال العلامة محمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ت: ١٣٠٤ هـ) في (الفوائد البهية في تراجم الحنفية):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين تفقه على أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد، وتفقه عليه الحكيم القاضي إسحاق بن محمد السمرقندي وعلى الرستغني، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي، صنف التصانيف الجليلة ورد على أكاذيب أقوال أصحاب العقائد الباطلة له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب أوهام المعتزلة ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي ورد الامامة لبعض الروافض والرد على القرامطة ومآخذ الشرائع في الفقه والجدل في أصول الفقه وغير ذلك، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، قال الجامع: نسبت إلى ماتريد بفتح الميم ثم الألف وضم التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية في آخره دال مهملة، ويقال ماتريت بالتاء الفوقية المثناة موضع الدال محلة بسمرقند ذكره السمعاني<sup>(٢)</sup>».

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ص ٦٥ / ٢، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، سنة ١٩٩٤ م

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، العلامة أبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي، تصحيح وتعليق =

وبعد، فهذا كل ما لدينا حول سيرة هذا الإمام وحياته وأكثره مكرر معاد، لا يشفي غلة، ولا يروي نعمة، ولا يريح عقلا، إذ معرفتنا بالماتريدي تقتصر تقريبًا على معرفتنا بأثاره وما خلفه من مؤلفات ولو لم تبق بعض مؤلفاته ما عرفنا عنه شيئًا ذا بال! ونحن في دراستنا هذه سنحاول إن شاء الله تعالى سد بعض من تلك الثغرة بقدر ما يسر الله وفتح بمنه وكرمه.

\*\*\*

= السيد بدر الدين النعماني، ص ١٩٥، نشر دار الكتاب الإسلامي. والكتاب تلخيص لكتاب (كتائب أعلام الأخيار) لمحمود بن سليمان الكفوي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ لخصه وزاد عليه فوائد كما قال في مقدمته ص ٣، ٤.



المبحث الثاني

سيرة الإمام المتريدي.. دراسة تحليلية





## المطلب الأول

### اسمه ونسبته ولقبه ومولده ووفاته

- اسمه:

محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي السمرقندي.

هذا ما يذكره كل من ترجم للإمام للماتريدي، وانفرد الزبيدي فقال: «ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود»<sup>(١)</sup>، وهذه الزيادة في الاسم مما انفرد به الزبيدي ولم يذكرها غيره، ولم يذكر مصدره الذي اعتمد عليه، فتتوقف فيها.

- نسبته:

يُنسب الإمام إلى (ماتريد) أو (ماتريت) وهي محلة في سمرقند من بلاد ما وراء النهر، قال في الأنساب - «الماتريدي»<sup>(٢)</sup>: ... هذه النسبة إلى محلة من حائط سمرقند، يقال لها (ماتريت)، ويقال بالبدال أيضًا - (ماتريد).. خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء»<sup>(٣)</sup>.  
ولأن (ماتريد) في (سمرقند) فإن بعضهم قد ينسبه إليها، فيقول: «الماتريدي السمرقندي»<sup>(٤)</sup>.

(١) إتحاف السادة: ٥/٢.

(٢) في (الأنساب) المطبوع بالنون (الماتريدي)، وهو خطأ لأنه ذكر أن آخرها (تاء أخرى منقوطة من فوق) وليس نونا!

(٣) الأنساب: ١٥٥/٥، وقد وهم المستشرق (تريبتون) حين ظن أن أحد المؤلفين ربما يكون شقيق الإمام الماتريدي، لاشتراكه في النسبة إلى سمرقند!

ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، بتحقيق فتح الله خليف، و: إمام أهل السنة للمغربي، ص ١٣.

(٤) كما في: أصول الدين، أبو اليسر البزدوي، ص ١٤، ومعجم المؤلفين: ٣٠٠/١١.

وسمرقند تعرف الآن باسم (ماراكندا)، وتقع ضمن جمهورية أوزبكستان المستقلة عن الاتحاد السوفيتي. أما (ماتريد) فيقول بارتولد: «ماتريد أو ماتريت بالرَبَض»<sup>(١)</sup>، ومكانه الآن قرية إلى الشمال الغربي من المدينة (سمرقند) بها جواسق<sup>(٢)</sup> ريفية للأثرياء<sup>(٣)</sup>.

## ـ ألقابه:

لقب الإمام الماتريدي بألقاب عدة، تنم عن علمه ومكانته، فهو: (أحد أعلام الدين ومشايخ المسلمين، إمام، كل العالم بعلمه يقتدون وبهجه يبتدون.. كان أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلما، وورعًا، وفضلاً، وديانة، وخيرًا، وقبولاً عند الموافق والمخالف، مُجمَعًا على أنه عديم النظير، وسيف السنة، وقامع أهل الزيغ والبدعة)<sup>(٤)</sup>، (الأستاذ)<sup>(٥)</sup>، (الإمام)<sup>(٦)</sup>، (شيخ الإسلام)<sup>(٧)</sup>. (الزاهد إمام الهدى)<sup>(٨)</sup> و(الإمام علم الهدى)<sup>(٩)</sup>، و(إمام الهدى والدين)<sup>(١٠)</sup>، وهو (من كبراء الأئمة وأوتاد الملة)<sup>(١١)</sup>، (ومهدي هذه الأمة في وقته)<sup>(١٢)</sup>. وهو (قدوة

(١) قال في: معجم البلدان (٢٥/٣): «الربض بالتحريك وآخره ضد معجمة وهو في الأصل حريم الشيء.. قال أبو منصور: الربض فيما قال بعضهم: أساس المدينة والبناء، والربض ما حوله من خارج، الأول مضموم والثاني بالتحريك».

(٢) جمع جوسق وهو القصر الصغير، ينظر المعجم الوسيط، ١/١٤٧، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة.

(٣) تركستان، ص ١٨٠، ١٨١.

(٤) مسالك الأضرار: ٦١/٦.

(٥) المسيرة، لأبن الهمام، مع شرحها المسمرة، ص ١٥٧. ط بولاق.

(٦) انظر، مثلاً: تبصرة الأدلة، ص ١٩، ٤٦٩.

(٧) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ٢/٥٥٣. وفي (الفتاوى الهندية)، المرجع الآتي.

(٨) الفتاوى الهندية، حاعة من علماء الهند، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، ٣/٣٢٦، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م.

(٩) السابق نفسه، ٢/١٢٥.

(١٠) طبقات المفسرين، أحمد الأدنه وي، ت: سليمان الخزي، ص ٦٩، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ١، ١٩٩٧م.

(١١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/٤٦٩-٤٧٥.

(١٢) تحاف السادة: ٢/٥.

الفريقين)<sup>(١)</sup>، وهو (رئيس مشايخ سمرقند)<sup>(٢)</sup> و(أكبرهم)<sup>(٣)</sup> و(رئيس عامة مشايخ الحنفية)<sup>(٤)</sup>، و(إمام المتكلمين)<sup>(٥)</sup>، أو (إمام المتكلمين في عصره)<sup>(٦)</sup> و(الفقيه)<sup>(٧)</sup>، و(إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين)<sup>(٨)</sup> و(من رؤساء أهل السنة والجماعة)<sup>(٩)</sup> أو هو (رئيس أهل السنة)<sup>(١٠)</sup> و(ناصر السنة وقامع البدعة ومحبي الشريعة)<sup>(١١)</sup> و(موطد عقائد المسلمين).

وأخص لقب عرف به رحمه الله هو لقب: (إمام الهدى)<sup>(١٢)</sup> أو (علم الهدى)، فتلميذه السمرقندي الحكيم شارح تفسيره قال في صدر كتابه: «كتاب التأويلات المنسوبات إلى الإمام

(١) القند، ص ١٤٣. المقصود: أهل الشريعة وأهل الحقيقة، إذ ذكرها في ترجمة أبي الفتح الصوفي، رقم ٢٣٣.

(٢) أصول الفقه، اللامشي الماتريدي، فقرة: ١٥٧ و ٢٣٩.

(٣) اللامشي، فقرة ٢٦١.

(٤) اللامشي، فقرة ٣٢٢.

(٥) الفكر السامي، محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي، ٣/٩٣، مطبعة المعارف بالرباط ١٣٤٠هـ.

(٦) كذا في موسوعة الأعلام التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مادة (الماتريدي).

(٧) في مواطن عدة من تفسيره وكتابه «التوحيد»، أما معنى (الفقيه) فإنه كما يقول الإمام الزدوي (١/١٥٠) فما بعدها، باختصار: «العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرائع والأحكام. والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة.. والنوع الثاني: عدم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشرع بنفسه، والقسم الثاني: إتقان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها، والقسم الثالث: هو العمل به، حتى لا يصير نفس العمل به مقصوداً، فإذا تمت هذه الأوجه كان فقيهاً» أ.هـ.

ينظر: الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن حجاج السفناقي (ت ٧١٤هـ)، تحقيق: فخر الدين قانت، مكتبة الرشد الرياض، ط ١، ٢٠٠١م.

(٨) كُتِبَ أعلام الأخيار للكفوي، ورقة رقم ٣٥. نقلاً عن محقق كتاب التوحيد: بكر طربال أوغى ص ٩ أو ص ١٢٠ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٨٤م. وكذا في: (طبقات المفسرين)، الأدنه وي، ص ٩. وفي (الفوائد البهية في تراجم الحنفية)، محمد بن عبد الحى اللكنوى، تصحيح وتعليق السيد بدر الدين النعماني، ص ١٩٥.

(٩) أصول الدين، البزدوي، ص ١٤.

(١٠) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، علاء الدين السمرقندي، ص ٢ من النص المحقق.

(١١) الزبيدي، تحاف السادة، ٢/٥.

(١٢) كثير من المواطن، منها: أصول الفقه، اللامشي الماتريدي، فقرة ١٩٠، والجواهر المضية: ٤/٣٥٩.

علم الهدى أبي منصور...<sup>(١)</sup> فهذا اللقب أصبح كالعلم عليه. ولا أعلم في تاريخ الإسلام من لقب بهذا اللقب سواه، فهو لقبه منذ عصره وحتى الآن، وقد ذكر صاحب (الجواهر المضية) ذلك، فقال: «واتفق التلقب بإمام الهدى أيضًا، وهو لقب رئيس أهل السنة من الحنفية أعني: الإمام أبا منصور الماتريدي رحمه الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

#### - مولده:

لم تذكر أي من المصادر تاريخًا لمولد الإمام الماتريدي إلا أننا نستطيع أن نستنتج تاريخًا مقاربًا لمولده من خلال معرفتنا بتاريخ وفاة أساتذته ومشايخه وأقرانه، فمن مشايخه: محمد بن مقاتل الرازي (ت: ٢٤٨هـ)، ومنهم: نصير بن يحيى البلخي (ت: ٢٦٨هـ)، ومن أقرانه: محمد بن أسلم الأزدي (ت: ٢٦٨هـ)، فلا بد أن تكون ولادة الإمام الماتريدي قبل هذه التواريخ؛ لذا فإن تاريخ مولده ربما يكون في العقد الرابع من القرن الثالث (بين ٢٣٠ و ٢٤٠) على أقل تقدير أي: في خلافة المتوكل (٢٣٢: ٢٤٧هـ). والله أعلم.

#### - وفاته:

غالب من يترجم للماتريدي يذكر أن وفاته كانت في عام ٣٣٣هـ إلا أن أبا الحسن الندوي<sup>(٣)</sup> والشيخ محمد أبو زهرة<sup>(٤)</sup> قد ذكرا أن وفاة الماتريدي كانت سنة ٣٣٢هـ وهو مخالف لما دونه عامة المترجمين، كما وهم من حكى عنه صاحب (مفتاح السعادة) بصيغة التضعيف فذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣٦هـ<sup>(٥)</sup>، وهو قول شاذ لا يعلم قائله.

(١) ينظر: التوحيد، للماتريدي، تحقيق الدكتور بكر طويال ومحمد آروشي، ص ٢٣.

(٢) الجواهر المضية، ٣٥٩/٤.

(٣) رجال الفكر والدعوة، ١٥١/١.

(٤) أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، ص ١٤٩، وفي كتابه (تاريخ الجدل) أيضًا، ص ٢٧٨، كلاهما طبعة دار الفكر العربي، القاهرة. كما وهم في نفس الموضع من كتاب (أبو حنيفة) وقال: إن الإمام الأشعري توفي سنة ٣٣٤هـ خلافا لكل من ترجم للإمام الأشعري من أن وفاته كانت سنة ٣٢٤هـ.

(٥) مفتاح السعادة، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥م.

وبناء على ما قدمنا من تاريخ ولادته، فإن الغالب أن يكون الإمام الماتريدي قد توفي عن تسعين عامًا أو يزيد<sup>(١)</sup> رحمه الله وأجزل مثوبته.

أما مكان قبره: فإنه بمقبرة «جاكرديزه»<sup>(٢)</sup>، قال في (الأنساب) عند (الجاكرديزي): «هذه النسبة إلى (جاكرديزه)، وهي محلة من محال سمرقند بها مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار»<sup>(٣)</sup>. كما ذكر النسفي في (القند) أن أبا الفتح صالح بن محمد الصوفي المؤدب الرازي قد دُفن بجوار الإمام الماتريدي، فقال «ودفن بجوار قدوة الفريقين أبي منصور الماتريدي بجاكرديزه»<sup>(٤)</sup>، وذكر السخاوي في ترجمة أحمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن الشمس الخجندي المدني أنه لما حل بسمرقند «زار من بها كقثم بن عباس وأبي منصور الماتريدي.. بمقبرة جاكردره»<sup>(٥)</sup>.

وهذا ما يلاحظه بارتولد أيضًا حيث يقول: «وقد حمل اسم (جاكرديزه) في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) حي من أحياء المدينة كانت به مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار.. وهذه المقبرة لا تزال قائمة وتقع في القسم الشرقي من المدينة الحالية»<sup>(٦)</sup>. ويقول: «وفي المقبرة (جاكرديزه) يشار إلى قبر الماتريدي المتوفى حوالى عام ٣٣٣-٩٤٤م»<sup>(٧)</sup>.

وقد «أمر الشيخ أبو القاسم الحكيم أن يكتب على قبره حين توفي: هذا قبر من جاد العلوم بأنفاسه، واستنفد الوسع في نشره وإقباسه، فحُمدت في الدين آثاره، واجتنتى من عمره ثماره»<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر المبحث الخاص بشيوخ الماتريدي.

(٢) وينطقها أهل سمرقند في الوقت الحاضر (شاكرزیده / جاكرزیده) كما أخبرني بعض أصدقائنا ممن يعيش هناك.

(٣) الأنساب: ١٢/٢.

(٤) القند، ص ١٤٣.

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، ١٩٥/٢ باختصار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٦) تركستان، ص ١٧٨ بتصرف واختصار من الأصل والهامش.

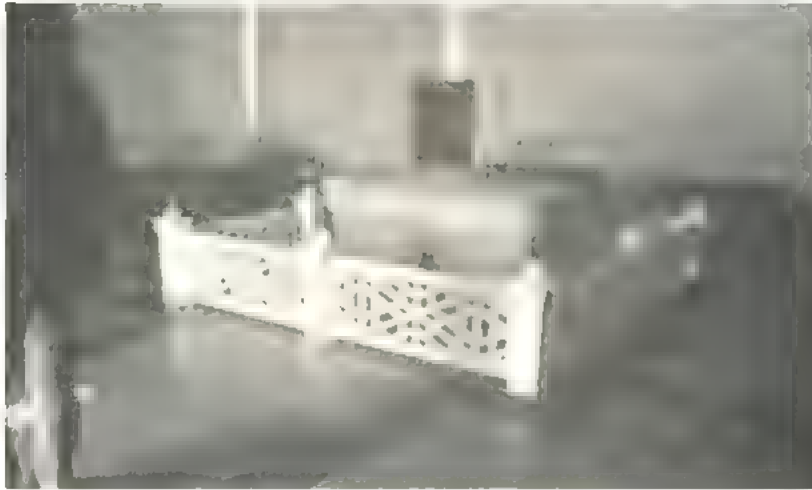
(٧) تركستان، ص ١٨١ الهامش.

(٨) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، ١/ ٤٧١- ٤٧٢.



وقبره معروف يزار إلى اليوم من مسلمي جمهورية (أوزبكستان)، وقد استطعت الحصول على صورة قبره، قدس الله روحه، وها هي الصورة كما جاءني وتحتها توقيع باعثها<sup>(١)</sup>، ويليها صورة من الداخل.

\*\*\*



(١) هو الأخ الدكتور شهريور منصوروف، من أوزبكستان. كما بعث لي الأخ الدكتور عماد حسن مرزوق أستاذ اللغة العربية بعدد من الجامعات، والذي كان يعمل بالخارجية المصرية صور قبره أيضًا، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

## المطلب الثاني أسرته ونسبه

- أسرته:

لا يُعرف عن أقارب الماتريدي أو عائلته شيئاً، إلا أننا نستطيع تحديد بعض الملامح من هنا وهناك، فنقول:

١- هل كان للماتريدي ولد يسمى منصوراً بناءً على كنيته؟

لا أستطيع الجزم بذلك بناءً على كنيته فقط، وقد جاء في تفسيره ما يدل على ذلك، ففي سورة المسد عند قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ يقول: «وقيل: ذكره بالكنية يُخَرِّجُ مخرج الوعيد له، أي تصوير النار كالابن، وهو كالأب لها، وذلك لأن هذه الكنى إنما تذكر في المتعارف على وجه التفاؤل كما يقال: أبو منصور، على رجاء أن يولد له ابن يسميه منصوراً»<sup>(١)</sup>. والراجح أنه حتى تفسير هذه الآية على الأقل لم يكن قد ولد له ولد ليقول هذا الكلام ويمثل بنفسه لتلامذته! بل لا يستبعد ترجيح عدم إنجابه ولذا بعد ذلك؛ بناءً على أن تاريخ إملائه لهذا التفسير متأخر - على ما سيذكر - وأنه قد ألفه في أخريات حياته، وسورة المسد في آخر القرآن.

وبناء عليه: فإنه على أقل تقدير كان قد أملى هذه السورة وهو فوق الستين سنة والعادة جارية بصعوبة هذا بعد الستين، والله أعلم.

٢- للماتريدي بنت:

نستطيع الجزم بأن للإمام الماتريدي بنتاً؛ بناءً على ما ذكره السمعاني، حيث يقول في مادة (ماتريتي): «خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء منهم: ... القاضي الإمام أبو الحسن

(١) المسد: (١- ٥٣٥).

علي بن الحسن بن علي بن محمد بن عفان بن علي بن الفضل بن زكريا بن عثمان ابن عفان بن خالد بن زيد بن كليب الماتريتي، وخالد هو أبو أيوب الأنصاري، كانت أمه بنت الشيخ الإمام أبي منصور الماتريتي... وتوفي أبو الحسن علي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمس مئة، ودفن بجاكرديزه إحدى مقابر سمرقند<sup>(١)</sup>. وهو ما أكدته في (الجواهر المضية)، فقال في ترجمته:

«أبو الحسن، القاضي. سبط شيخ الإسلام أبي منصور الماتريدي. تفقه على جده لأمه، وتوفي سنة إحدى عشرة وخمسائه، ودفن بجاكرديزه إحدى مقابر سمرقند»<sup>(٢)</sup>.

- نسبه:

### هل الماتريدي عربي الأصل ينتسب للأنصار؟

إن وجود نسل للأنصار في سمرقند يبدو أمراً مشتهراً؛ فشيخ الماتريدي: أبا نصر العياضي يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري<sup>(٣)</sup>. وابنة الماتريدي تزوجت من رجل يرجع نسبه إلى أبي أيوب الأنصاري كما ذكر السمعاني في النص المتقدم. ولعل هذا هو الذي جعل بعضهم - على ما نقله الزبيدي<sup>(٤)</sup> - يحسب أن الإمام الماتريدي نفسه من نسل الأنصار أو ينتسب إلى أبي أيوب الأنصاري تحديداً... قال الزبيدي: «ووجدت في بعض المجاميع بزيادة.. الأنصاري في نسبه فإن صح ذلك فلا ريب فيه، فإنه ناصر السنة وقامع البدعة ومحبي الشريعة»<sup>(٥)</sup>.

قلت: ولا علاقة بين كون أستاذه من نسل الأنصار في الحكم بكون أبي منصور من

(١) الأنساب: ١٥٥/٥.

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ٥٥٣/٢.

(٣) تبصرة الأدلة، ص ٤٦٩.

(٤) ومنهم البياضي في إشارات المرام، ص ٢٣، ومال إليه كل من: الدكتور علي أيوب، في رسالته ونقلها عنه الدكتور المغربي في كتابه «إمام أهل السنة والجماعة» ص ١٣، والدكتور مجدي باسلوم في تحقيقه للتفسير

٧٤، ٧٣/١.

(٥) تحاف السادة ٥/٢.

نسلهم أيضاً<sup>(١)</sup>، كما أنه لا علاقة بين كونه ناصر السنة ومحبي الشريعة بكونه من نسلهم كذلك!

أما زواج ابنته من رجل ينتسب إلى الأنصار فلعله هو الذي دفع بعض الباحثين لذلك؛ بناء على أن العرب تراعي الكفاءة في الزواج<sup>(٢)</sup>، وقد اعتمد الدكتور علي أيوب أيضاً على ما وجدته على هامش مخطوط كتاب (التوحيد) للماتريدي وفيه يقول: «إن الإمام أبا منصور رضي الله عنه فيما بلغني كان من أولاد أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري رضي الله عنه»<sup>(٣)</sup>، وهو كلام لا نستطيع التعويل عليه في جعل الإمام الماتريدي من الأنصار، وذلك لسببين:

«الأول: أن قائله مجهول. الثاني: أن قائله متأخر، ولا بد أن يكون قد عاش بعد منتصف القرن الثاني عشر، بدليل أن نسخة كتاب (التوحيد) والذي وجد هذا الكلام على هامشها قد فرغ ناسخها من نسخها في النصف من شعبان عام ١١٥٠هـ»<sup>(٤)</sup>. ومن ثم فإننا لا نستطيع الجزم بكون الماتريدي عربي الأصل فضلاً عن أن يكون منتسباً إلى الأنصار بناء على ذلك فقط.

ومن هنا فإن الباحث يعجب مما قاله فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة حين قال عن الإمام الماتريدي: «ويتشكك من غير دليل بعض العلماء في نسبته إلى الأنصار، ولكن علماء الأنساب يؤكدون النسبة ويوثقونها»<sup>(٥)</sup>، فهلا ذكر لنا علماء الأنساب هؤلاء؟ أو ذكر كتب الأنساب

(١) ربط الدكتور مجدي باسلوم في تحقيقه للتفسير (تأويلات أهل السنة: ٧٣/١) بين كون أستاذه من الأنصار وكون الماتريدي منهم، وهو في غاية الغرابة!

(٢) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، د. عبد الفتاح المغربي، ص ١٣، مكتبة وهبة، ط ١، سنة ١٩٨٥ م. نقلها عن الدكتور علي أيوب من رسائله (العقيدة الماتريدية) ص: ٢٥، وهو عين السبب الذي ذكره الدكتور مجدي باسلوم دون أن يعزوه إلى الدكتور علي أيوب، في تحقيق مقدمة التأويلات: ٧٤/١.

(٣) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، ص ٢٦٢، ٢٦٣، نقلاً عن: الماتريدية دراسة وتقوية، ص ٩٥.

(٤) ينظر مقدمة تحقيق (التوحيد) لتحقيقه الدكتور فتح الله خليف، ص ٥٧. وينظر: الماتريدية دراسة وتقوية، ص ٩٥.

(٥) أعلام وعلماء، مقالات للشيخ أبي زهرة، جمعها: مجد مكي، ص ٢١٦، دار الفتح للدراسات، الأردن، ط ١، ٢٠٠٩ م.

التي ذكرت ذلك؟ والشيخ لم يفعل في أي مناسبة تحدث فيها عن الإمام الماتريدي في كتبه، بل إن الشواهد تؤكد الميل إلى العكس تماماً.

ومن هذه الشواهد:

\* ما يتعلق بحال المنطقة وكلام المؤرخين عنها في حياة الماتريدي.

وبيان ذلك: أن سمرقند منذ القدم محسوبة على أمة الفرس واحتلال الأتراك لها في بعض الفترات لا يخرجها عن طبيعتها تلك أو طبيعة أهلها، يقول القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ): «وزعم من عني بأخبار الأمم وبحث في سائر الأجيال وفحص عن طبقات القرون أن الناس في سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات: سبع أمم، الأمة الأولى: أمة الفرس، وكان مسكنها في الوسط المعمور، وحد بلادها من الجبال التي في شمال العراق المتصل بعقبة حلوان»<sup>(١)</sup> ثم عدد البلاد الواقعة ضمن هذه الأمة وذكر منها سمرقند ثم ذكر الترك أمة منفصلة بعد ذلك وسماهم «أجناس الترك»<sup>(٢)</sup>.

\* ومنها ما يتعلق بحال الإمام الماتريدي وبعض آرائه.

والتي منها: أن الإمام الماتريدي كان يجيد الفارسية بل ويفضل التعبير بها أحياناً<sup>(٣)</sup>، ومنها: أنه كان يميل إلى جعل العجم أكفاء للعرب<sup>(٤)</sup>، ومنها: أنه كان يرى أن الاشتغال بالأنساب تكلف لا فائدة منه<sup>(٥)</sup>، ومنها: أن الإمام الماتريدي يعد أن عمل القائفة رجم بالغيب<sup>(٦)</sup>.

(١) طبقات الأمم، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (ت ٤٦٢ هـ)، بعناية الأب لويس شيخو، ص ٦٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢ م.

(٢) نفسه، ص ٧.

(٣) ينظر فقرة: (علمه بالفارسية) في مطلب: (ثقافته وعلمه)، وملاحظة النسفي هناك.

(٤) وذلك في سورة محمد (٣٨ - ٥١٦/٤) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِعَ دُونِ اللَّهِ يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا عِبْرَتَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتًا﴾.

(٥) إبراهيم: ٩ - ١٠/٣. واستدل بالخبر أن النبي ﷺ: (كان ينسب إلى مضر ولا ينسب إلى أكثر من ذلك).

(٦) وذلك في مواطن من تفسيره كما في سورة آل عمران (٦ - ٢٤٦/١). عند قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. وفي سورة النبأ (٨ - ٣٦٦/٥). عند قوله تعالى: ﴿وَحَقَّقْنَا أَرْوَاحَهُمْ﴾.



وهذه أمور تبعد عن عادات العربي الأصل؛ فهم معتزون بلغتهم وقبائلهم<sup>(١)</sup>، ويعدون أن العلم الوحيد الحقيقي بالتعلم هو علم الأنساب<sup>(٢)</sup>، كما أن علم القائفة من علوم العرب المعروفة التي يعتزون بها.

والذي ترتاح له النفس: أن الإمام الماتريدي فارسي الأصل، ليس عربياً أصلاً، فضلاً عن أن يكون من نسل الأنصار، وهذا لا يعيبه؛ فهو ممن يشمل حديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يخلقوا بنا؟ فلم يكلمه. قال: وسلمان الفارسي فينا. قال: فوضع رسول الله ﷺ على سلمان يده، فقال: والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناولوه رجال من هؤلاء<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) قلت: إن الرجل كان يجيد الفارسية، بل له مؤلفات بها كما سيأتي في الحديث عن ثقافته ومؤلفاته، فإذا كان العرب يعتزون بأنسابهم فاعتزازهم بلغتهم أشد؛ لاسيما في زمن الماتريدي حيث أطلقت الشعوبية برأسها. ومن تدك الشواهد التي كانت تحول في خاطر وترد على العقل ولم أرد ذكرها حتى رأيت محقق كتاب (التوحيد) - الدكتور بكر طوبال أوغلو في مقدمته التي صدر بها الكتاب (ص ١١) - يذكرها: ما يللمسه القارئ لكتب الماتريدي من صعوبة لغته وتراكيبه الخاصة التي تنم عن أن أصله غير عربي، إلا أن الدكتور بكر طوبال ذهب لكونه من أصل تركي!! وهو ما لا دليل عليه.

(٢) يقول ابن خلدون في مقدمته (فصل: أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم، ص ١٢٤٧ تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافي): «وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلهم الريسة... مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حيث بدا صار من جملة الصنائع». أ.هـ.

(٣) سنن الترمذي، باب سورة الجمعة، حديث رقم ٣٣١٠، ط دار إحياء التراث، ت: أحمد محمد شاكر، بيروت. فإن قيل: إن إقليم فارس يختلف عن إقليم خراسان الذي تتبعه سمرقند بلد الماتريدي، فلا يشمل الحديث. أجاب المقدسي (أحسن التقاسيم، ص ٢٩٠، ٢٩١) عن ذلك عند عنوان (موازنة بين فارس وخراسان) حيث قال إن «خراسان وفارس كانتا عند العرب شيئاً واحداً». أ.هـ.

## المطلب الثالث

### حياته ومواقفه السياسية

- الماتريدي سمرقندي الحياة والعادات والأذواق:

لا نعرف عن الإمام الماتريدي شيئاً مفصلاً عن حياته، لكن الرجل فيما يبدو عاش حياته ومات في سمرقند، حتى وإن افترضنا أنه رحل في يوم من الأيام خارجها لحج أو طلب علم ونحوه، فهو سمرقندي المولد والحياة والوفاة، فيما يفهم من كلام من ترجم له.

وبيئة سمرقند: بيئة حضرية، تختلف في عاداتها وأذواق أهلها عن البيئة البدوية الصحراوية فـ «فيها بساتين ومزارع... وفي المدينة مياه من هذا النهر (جيحون) وليس من سكة ولا دار إلا وبها ماء جار إلا القليل، وقلما تخلو دار من بستان حتى إنك إذا صعدت قهندزها<sup>(١)</sup> لا ترى أبنية المدينة لاستتارها عنك بالبساتين والأشجار، فأما داخل سوق المدينة الكبيرة ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال.. وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند، وقد شبهها حضين بن المنذر الرقاشي (ت: ٩٧ هـ)<sup>(٢)</sup> فقال: كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للإطباق»<sup>(٣)</sup>.

(١) قال في لسان العرب (مادة نفخ: ٦٢/٣، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١): «بضم القاف والهاء والذال المهملة كذا في القاموس، وفي معجم البلدان لياقوت قهندز بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قهندز يعني بالضم إلخ، ثم قال: ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة». أ.هـ.

(٢) هو «حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي الشيباني الرقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان: تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي. كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين، وولاه اصطخر». أ.هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٢/٢٦٣.

(٣) معجم البلدان: ٣/٢٦٤ فيما بعدها باختصار.

وجاء في أحسن التقاسيم: «ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع سمرقند و غوطة دمشق ونهر الأبلّة»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في تفسيره ما يعطى ملمحا عن عيشه في هذه البيئة الحضرية المترفة، ومن ثم فإن ذوقه موافق لأذواق أهل الحضرة، ففي سورة فاطر، عند قوله تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَشْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، قال:

«ذكر التحلي فيها بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير، وليس للرجال رغبة في هذه الدنيا في التحلي بذلك ولا لبس الحرير، اللهم إلا أن يكون للعرب رغبة في ما ذكر، فخرج الوعد لهم بذلك، والترغيب في ذلك، وهو ما ذكر من الخيام فيها والقباب والغرفات، وتلك أشياء تستعمل في حال الضرورة في الأسفار، وعند عدم وجود غيره من المنازل والغرف عند ضيق المكان، فأما في حال الاختيار، ووجود غيره فلا، لكنه خرج ذلك لما لهم في ذلك فصل رغبة، ألا ترى أنهم قالوا ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣]، ذكروا لما لذلك عندهم فضل قدر ومنزلة ورغبة»<sup>(٣)</sup>.

- خروجه من سمرقند إلى بخارى<sup>(٤)</sup>:

يبدو أن الإمام الماتريدي خرج من سمرقند إلى غيرها من البلاد المجاورة لتلقى العلم أو الالتقاء بالعلماء، ففي سورة الزخرف ذكر حضوره مجلسا في التفسير، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾؛ حيث قال: «وحكاية عن هذا سمعت مفسرا ببخارى، يقول: نزلت هذه الآية ليلة المعراج»<sup>(٥)</sup>.

(١) قال في معجم البلدان (١/٧٦، ٧٧، ط دار صادر، ١٩٧٧م) «الأبلّة بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها... بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة»<sup>أ.هـ. باختصار.</sup>

(٢) أحسن التقاسيم، ص ١٤٩.

(٣) فاطر: ٣٣ - ٤/١٨٢، ١٨٣.

(٤) وذلك مبني على صحة ثبوت النص المنقول عن الإمام، ينظر: الفصل الذي عالجنا فيه في الجزء الثالث من سلسلة المدرسة الماتريدية (الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير)

(٥) الزخرف: (٤٥ - ٤/٤٣٧).

ولا ينبغي أن يُستغرب هذا - إن ثبت - فإن بخارى كانت «في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر» على حد قول الثعالبي<sup>(١)</sup>. ولا يُعرف عن الماتريدي الخروج من سمرقند غير هذا<sup>(٢)</sup>.

- مواقفه السياسية:

كان للإمام الماتريدي أثناء تفسيره كلمات وعبارات تنم عن مواقف سياسية - أرى أنه تأثر فيها بمواقف الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان - ومنها:

\* النقمة على بني أمية:

أ- فالإمام الماتريدي يبدو ناقما على الدولة الأموية التي زالت قريبا، ففي سورة الشعراء ينقل قولاً لابن عباس موافقا، ومعلقا عليه بأنه قد تحقق، حيث يقول: «وقوله تعالى ﴿مَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أي مالت، وخضعت لها أعناقهم، والأعناق كأنها كناية عن أنفسهم. وعن ابن عباس أنه قال: سيكون لنا دولة على بني أمية، فتدل لنا أعناقهم خضوعا بعد صعوبة وهوانا بعد عزة. فقد كان ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة القدر ينقل طعنا صريحا في بني أمية، فيقول: «ثم بين فضلها حين قال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾»<sup>(٤)</sup>، اختلف فيه، قال بعضهم: إن النبي أرى بني أمية على منبره

- [قال شيخنا]: وعلى فرض أن هذا من مقولة الماتريدي فإنها ليست نصا؛ لأن قوله ببخارى تحتل أن تكون متعلقة بـ (مفسر) وعندها فلا يشترط أن يكون قد سمعه ببخارى.

(١) يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ٤/٩٥، نقلا عن تاريخ الإسلام السياسي والديني: ٣/٣٤٠.

(٢) وذلك بخلاف ما أورده الدكتور بكر طويال في تحقيقه لكتاب (التوحيد) في (ص ١٦) حيث نسب للإمام الماتريدي أنه رحل للمناظرة إلى البصرة اثنتين وعشرين مرة! طبقا لما فهمه عن الشيخ أبي زهر في كتابه: (تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٦٤)، وهو وهم ظاهر؛ لأن حديث الشيخ أبي زهرة رحمه الله كان عن أبي حنيفة، فهو الذي كان يتأظر أهل الأهواء قبل انصرافه من الكلام إلى الفقه، ولم يكن يقصد بحديثه الإمام الماتريدي، بل سياق كلامه أن الماتريدي أخذ الكلام من معين أبي حنيفة؛ مستدلا على ذلك - ضمن أمور - بسبقه في مجال الكلام ومناظرته فيه.

(٣) الشعراء: (٤ - ٣/٥١٩، ٥٢٠).

فساءه ذلك، فنزل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أى: من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية (٢) وهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ (٣).

\* نقد الخلفاء العباسيين:

ب- ومع هذه المناصرة التي تبدو للدولة العباسية بطعنه في الأموية، إلا أنه يبدو ناقماً على أئمتها وولاة أمورها نتيجة انشغالهم بملاذهم وتضييعهم تبليغ الدين وفريضة الدعوة إلى الله تعالى، ففي سورة الكهف، يقول:

«ثم في قوله ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَأَقِمْ وَاقِئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ فريضة ضيعناها، وذلك أنه أمر رسوله بتبليغ رسالته وما أنزل إليه. ثم معلوم أن من كان في أقصى الدنيا وأبعد أطرافها لم يقدر رسوله أن يتولى التبليغ بنفسه، وكذلك بعد وفاته لا يجوز أن يتولى تبليغه. فكان القيام بتبليغ ذلك يلزم المسلمين وأئمتهم، فضيعوا ذلك. ولهذا ما رخص (٣)، والله أعلم، بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة ودخول أولئك دار الإسلام للتجارة أيضاً لينتهى إليهم خبر هذا الدين، حيث علم أنه يكون أئمة في آخر الزمان، لا يهتمون لدينه ولا يتولون تبليغ ما أمروا بتبليغه، ويضيعون أمره، فتلزمهم حجة الله، وإلا ما الحاجة في تلك التجارة والأموال التي يتجرون فيها؟ ولكن ما ذكرنا» (٤).

\*\*\*

(١) (القدر: ٣/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي في كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة القدر (٩/ ٢٨٠، رقم ٣٣٥٠) وضعفه؛ لأن في سنده يوسف بن سعيد، وهو مجهول. إلا أن ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٥٣) بعد نقله لكلام الترمذي قال إن يوسف هذا وثقه ابن معين، ثم قال: «ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال المزني: هو حديث منكر» أ.هـ.

(٣) قال شيخنا: (ما) هذه يتعين أن تكون مصدرية لا نافية وإلا فالصواب حذفها.

(٤) (الكهف: ٢٧- ٣/ ٢٢٤).

## المطلب الرابع صفاته وأخلاقه

### ١- الزهد (مفتاح شخصيته):

إن كل ما بدا لي من أخلاق الإمام الشريفة وما سأذكر منها أستطيع أن أرجعه إلى هذه الصفة التي تنداح من حولها بقية الصفات ثم تعود إليها راجعة، ولعل هذا هو ما يفسر تلقيبه بـ «الزاهد» (١)؛ لأن هذا الخلق - فيما يبدو، وكما ظهر من خلال تتبع بقية صفاته - هو «مفتاح شخصيته» رحمه الله.

وقد جاء في تفسيره ما يشي بهذا الملمح من أخلاقه حتى ليظن القارئ لتفسيره أحيانا أنه أمام صوفي كبير، وإن غلبت على عباراته الصوفية نزعة العقلية! ثم إنه مع تقديره لخلق الزهد ينعى على بعض المتزهدين أو «المتقشفين» كما يسميهم، وذلك في آيات كثيرة.

أ- فهذا الخلق مبني على معرفة حقيقة الدنيا، وأنها خلقت للفناء، وأن الدار الآخرة هي الحيوان؛ لذا فإن نظر المؤمن يجب أن يكون في هذا الإطار، وقد جاء في تفسيره التأكيد على هذا المعنى في آيات كثيرة (٢).

ب- كما أنه أحيانا يستطرد في التفسير لتقرير هذا الخلق وغرسه في النفوس، ومبيناً في الوقت ذاته أن حب الدنيا ليس دائماً رأس كل خطيئة إذا كان طلبها للآخرة (٣).

ج- ولتكتمل صور الزهد الحقيقي عند الإمام الماتريدي؛ فإنه يقسم الزهد إلى قسمين: بذل أى: ما عنده لغيره. وترك، أى: ترك المكاسب التي بها تتوسع الدنيا (٤).

(١) ينظر مثلاً: أصول الدين، أبو اليسر البزدوى، ص ١٤.

(٢) منها: ما جاء في سورة القصص (٧٧- ٣/ ٦١٤، ٦١٥) عند قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

(٣) ينظر مثلاً: ما جاء في سورة الحديد (٢٠- ٥/ ٤٩، ٥٠).

(٤) ينظر مثلاً: كلامه في (الأحزاب: ٢٩- ٤/ ١١٣).



د- كما يجب الإمام الماتريدي على إشكال (الطبع)، حيث إن حب الدنيا مركوز في النفوس، فهل يذم المسلم على ذلك؟، يجب في سورة الإنسان، قائلا: «حب العاجلة مما طبع عليه الخلاق لأن كل مخلوق طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء، فلا يلحقهم الذم بحب ما طبعوا عليه وأنشئوا، ولكن إنما يلحق الذم من أحب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذي جعلت له وأسست، فالدنيا إنما أسست وجعلت ليكتسب بها نعيم الآخرة والحياة الدائمة اللذيذة»<sup>(١)</sup>.

ه- والزهد الذي يدعو إليه الإمام الماتريدي ليس تحريبا للطيبات، ويؤكد هذا المعنى في مناسبات عدة، منها ما جاء في سورة النازعات عند قوله تعالى: «مَنْعًا لَكُمْ وَلَافْتِكُمْ»؛ إذ يقول:

«ففى ما ذكرنا دلالة إباحة تناول من الطيبات: أن الله تعالى من على عباده أن جعل أغذيتهم بما طاب من الأشياء وفضلهم على الأنعام، فمن كره ذلك كره الانتفاع بما أنشئ للانتفاع، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

و- ولولا أن هذه القضية كانت مشاركة في وسط المتزهدة ما تعرض لها الإمام، وهو ما صرح به في موضع آخر ردًا على من يسميهم «المتقشفة»، ففي سورة المائدة عند قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ»، يقول: «الآية ترد على المتقشفة لأنه ما نهانا أن نأكل طيبات ما أحل لنا، وهم يجرمون ذلك»<sup>(٣)</sup>.

## ٢- لا يُعَلَّمُ بأجر:

إذا كان الإمام الماتريدي زاهدا في الدنيا، فإن من معالم زهده وثمراته: أنه لم يكن يتكسب من تعليم العلم؛ حيث كان رضي الله عنه لا يبيع أخذ الأجر على تعليم العلم أو تحفيظ القرآن؛ لأن توقف العلم على أخذ الأجرة هدم للعلم وإسقاط للشريعة، على حد

(١) (الإنسان: ٢٧-٥/٣٥٢).

(٢) (النازعات: ٣٣-٥/٣٧٨).

(٣) (المائدة: ٨٧-٢/٦١).

قوله، ففي سورة يونس عند قوله تعالى: «فَلَنْ قَوْلَيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ»، يقول: «ففى هذه الآية منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجرة على ذلك لكان لهم عذر ألا يبذلوا ذلك، وفي ذلك هدم شرائع الله وإسقاطها»<sup>(١)</sup> ومثله في مواطن عدة من تفسيره<sup>(٢)</sup>.

## ٣- عالم رباني:

كان الإمام الماتريدي عالما من صدق فيهم قوله تعالى «وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ»، حيث كان لا يريد بأقواله ولا أفعاله إلا وجه الله تعالى، فهو من الذين «يَتْلُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»، ومن معالم هذا:

## - يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم:

قد سبق بيان موقفه من الأمويين والخلفاء العباسيين، ومن مواقفه التي -ربما- عرضته للإيذاء أو غضب الخلفاء أنه: قد رفض توريث سهم رسول الله للخلفاء وأقاربهم كما ذهب إليه بعض الفقهاء، مبينا أن سهم رسول الله لا يورث، ففي سورة الأنفال، عند قوله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ»؛ ناقش قول بعض الفقهاء بأن: سهم الرسول للخليفة من بعده، وسهم ذي القربى لقراة الخليفة، فقال:

«ثم ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأنورث وما تركنا صدقة» فإذا لم يورث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يورث عنه ما غنم بعد وفاته؟.. ثم ذكر عددا من الأخبار ثم قال: «فهذه الأخبار تبين أنه لم يورث سهم النبي بعد وفاته؛ فهي تدل على أن لا نقدم بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيء، وأن ذلك كان خصوصاً لرسول الله ﷺ كالصفي الذي كان له خاصة دون غيره»<sup>(٣)</sup>.

(١) (يونس: ٧٢-٢/٤٩٣).

(٢) (ينظر مثلاً يس: ٢١-٤/١٩٧).

(٣) (الأنفال: ٤١-٢/٣٥٤).

ومما يؤكد هذه النزعة لدى الماتريدي: أنه في عهد الأمير نوح بن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ) لما ظهرت أمارات انحلال الدولة السامانية، وبعد أن نهبت خزينة الدولة ما أدى إلى أزمة مالية حادة غدت معها الدولة عاجزة عن دفع رواتب الموظفين والحرس، الأمر الذي أثار سخطهم، قررت الدولة حل هذه الأزمة بزيادة الضرائب وابتزاز الأموال<sup>(١)</sup> مما جعل من أسباب انهيار دولة السامانيين: افتقاد حكاهما لدعم وتأيد العلماء<sup>(٢)</sup>، الذين كان الإمام الماتريدي مقدما فيهم، وقد أورد محمد منير الدمشقي<sup>(٣)</sup> في شرحه على (الانحافات السنية) قوله: «حكى: أن الأمير نوحاً لما وضع الخراج على أهل سمرقند، بعث بريداً إلى أميرها، فأحضر الأئمة، والمشايخ، وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي للبريد: قد أدبت رسالة الأمير، فاردد إليه الجواب، وقل له: زدنا ظمناً حتى نزيد في دعاء الليل»<sup>(٤)</sup>.

ولعل مواقف الماتريدي الجريئة هذه قد نُقلت لدى أصحاب المذهب الحنفي في الفروع، فقد نقل صاحب الفتاوى الهندية ما نصه: «من قال لِسُلْطَانٍ زَمَانًا: عَادِلٌ، يَكْفُرُ بِاللَّهِ، كَذَا قَالَ الْإِمَامُ عَلَمُ الْهُدَى أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَكْفُرُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) العرب والإسلام في أوزباكستان، بوريوي أحدوف، وزاهد الله منوروف، ص ٩٤، ٩٥ بتصرف يسير.  
(٢) السابق نفسه، ص ٩٦.

(٣) جاء في الأعلام (٧/ ٣١٠): «منير عبده: أو محمد منير بن عبده آغا النقلي الدمشقي الأزهرى، صاحب دار الطباعة المنيرية في القاهرة، تفقه في الأزهر، سلفياً، وأصبح من علمائه، وأنشأ دار لطباعة ١٣٣٧هـ ونشر كثيراً من المصنفات القديمة والحديثة، وصنف كتاب (نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية)، وله (إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين)، توفي بالقاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م. أ.هـ.

(٤) شرح الانحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي الأزهرى، ص ٤٥، دار لمعرفة بيروت، دون تاريخ.

ولا ندرى المصدر الذي استمد منه محمد منير هذا الخبر أو (سند) هذه الحكاية، ولكن (المتن) بالإجمال يتفق مع شخصية الإمام.

(٥) الفتاوى الهندية: ٢/ ٣٠٠.

[قال شيخنا]: نشك في نسبة هذه إلى الماتريدي فإنها موهنة في الباطل إلا أن يكون القصد استحلال الظلم.

قلت: ومما يؤكد توجيه شيخنا أن الإمام الماتريدي لم يكن يُكْفَر من يسجد لغير الله ولو لسلطان، فقد جاء في (غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري، تأليف: أحمد بن محمد الحنفي الحموي =

## - لا يدخل على السلطان:

لا يرى الإمام الماتريدي الدخول على الأمراء إلا لأمر بمعروف أو نهي عن منكر، وهو يتشدد في هذا لدرجة عدّه الداخل عليهم لغير ذلك مشاركا لهم في الإثم، ففي سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول:

«ثم الواجب على من حضر الملوك، وشهد مجالسهم من أهل العلم أن يخوفوا الملوك ويوعدهم بما أوعده قوم موسى قارون وخوفه، ويأمرهم بالصلاح في أنفسهم وفي رعيته كما أمر أولئك قارون، وينهونهم كما نهاه أولئك. فإن أجابوهم وإلا امتنعوا عنهم، وكفوا أنفسهم عن الاختلاف إليهم. فإن لم يفعلوا فهم شركاؤهم في جميع ما يفعلون»<sup>(١)</sup>.

وكرر رأيه ذاك في موضع آخر، مع مزيد حزم، فعند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْغَائِبُونَ﴾ يقول:

«وهكذا الواجب على كل من يأتي الأمراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء أن يعظوهم ويأمرهم بكل ما يؤتى، وينهونهم عن كل محظور حرام، ويدلوهم على كل خير ما هو طاعة لله كما فعل قوم موسى بقارون وألا يحضروا مجالسهم ولا يأتوهم طائعين، فإن فعلوا فإنهم يكونون شركاءهم»<sup>(٢)</sup>.

## - لا يتلقى من السلطان مالا:

لم يكن الإمام الماتريدي ككثير من علماء عصره<sup>(٣)</sup> ممن يجري عليهم السلطان أرزاقاً أو

١٠٠/ ١٠١، ط ١، ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت) ما نصه: «قوله: إِنَّ سَجْدَ لِسُلْطَانٍ الْخُ. قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْفَتَاوَى الظَّهْرِيَّةِ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيُّ إِذَا قَبَّلَ أَحَدٌ يَدَ السُّلْطَانِ الْأَرْضِ أَوْ انْحَنَى لَهُ أَوْ طَاطَأَ رَأْسَهُ لَهُ لَا يَكْفُرُ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ تَعْظِيمَهُ لَا عِبَادَتَهُ. أ.هـ.

(١) (القصص: ٧٧-٣/ ٦١٥).

(٢) (القصص: ٨٠-٣/ ٦١٦، ٦١٧).

(٣) يقول الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ١١٩): «ولم يكن الخلفاء العباسيون ووزراؤهم وحدهم الذين عملوا على تنشيط العلم وإعطاء الرواتب الجزية للقضاة والعلماء =

يأخذون منه مالا، فقد ذكر الصفدي في ترجمة أحمد بن سهل أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ) قوله: «كان للحسين بن علي المروزي»<sup>(١)</sup> وأخيه صعلوك صلات يجربانها علي دائما فلما صنف كتابي في (البحث عن التأويلات) قطعها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما صنف كتاب (القرايين والذبايح) حرمنها، قال: فكان الحسين قرمطيا وكان الجيهان ثنويا<sup>(٢)</sup> وكان الجيهاني هذا وزيرا في عهد نصر بن أحمد الذي تولى الملك وعمره ثمان سنوات فضبط ملكه الجيهاني وكانت فترة حكمه طويلة (٣٠١-٣٣١هـ).

والإمام الماتريدي كان ولا شك من أئمة أهل السنة في هذه المنطقة الرادين على هؤلاء، وكتبه شاهدة بذلك، وكتابه «التأويلات» ملئ بالرد على الثنوية والقرامطة<sup>(٣)</sup>، في مواطن كثيرة، ويذكرهم باسمهم دون موارد، خاصة في مسألة الذبايح هذه<sup>(٤)</sup>.

من كل صنف، فقد كان يشركهم في ذلك حكام الولايات، وفي مقدمتهم أسرة الصفاريين حكام سجستان إذ نرى أبا عبد الله البوشنجي شيخ أهل الحديث بنيسابور (المتوفى ٢٩١هـ) يذكر أنه أخذ من تلك الأسرة سبعمائة ألف درهم، ولما دالت دولتهم تحول عنهم إلى السامانيين ببخارى ففرضوا له راتبا مجزيا، وقد بعثوا في إمارتهم بتشجيعهم للعلماء نهضة علمية عظيمة، ويروى أن أميرهم إسماعيل بن أحمد الساماني كان يصل محمد بن نصر المروزي إمام المحدثين في دياره (المتوفى سنة ٢٩٤هـ) بأربعة آلاف درهم كل سنة، وكان أخوه إسحاق يصله بمثلها، كما يصله بمثلها سكان موطنه سمرقند<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

وينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلوة، ومحمود الطناحي، في ترجمة أبي عبد الله البوشنجي ١٩٢/٢، وفي ترجمة: محمد بن نصر المروزي ٢٤٨/٢، طبعة دار الكتب العربية.

(١) نسبة إلى (مرو الروذ) وهي «بلدة حسنة مبنية على وادي مرو... والوادي بالعجمية يقال له (الروذ) فركبوا اسم البلد الذي ماؤه في هذا الوادي والبلد اسما وقالوا (مرو الروذ). ينظر: الأنساب للسمعاني، ٢٦٢/٥.

(٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت: ٩٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، ٢٥٢/٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

وينظر: الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق النديم المعروف بالوراق، ت: رضا مجددي ١٥٣/١، طهران.

(٣) [قال شيخنا]: يمكن توجيه عدم أخذ الماتريدي المال من السلطان؛ لأنه سلطان كافر، وعلى هذا يتوجه موقفه هنا.

(٤) ينظر مثلا: النحل: ٧-٣/٧١.

لذا فإنه من المرجح: أن يكون الإمام الماتريدي من أسرة ثرية عندها ما تنفق منه، أو يكون ممن يعملون بالتجارة وينفقون على أنفسهم ويكتفون بالقليل، ولعل هذا الأخير هو الأرجح ليتفق مع وصفه بـ «الزاهد»، ولم يكن هذا مستغربا «فإن نفرا من الفقهاء والمحدثين وحتى من القضاة كانوا يأبون أن يأخذوا على عملهم وتعليمهم أجرا.. وكان كثيرون منهم يعيشون من التجارة أو من الوراقة أو من بعض الحرف الصغيرة، غير أن الكثرة الغامرة كانت تعيش من رواتب الدولة»<sup>(١)</sup>.

وهنا نستشف أيضًا أن الإمام الماتريدي رحمه الله لم يعمل في وظائف الدولة قاضيا أو إماما وما أشبه، إذ لو كان كذلك لذكروه في ألقابه أو ترجمته كما فعلوا مع تلميذه الحكيم السمرقندي وقرينه محمد بن أسلم<sup>(٢)</sup>.

فهل تُرجع ذلك لموقفه من المال والسلطان معا؟ وهل نستطيع هنا أن نقول: إن الإمام الماتريدي كان في خلقه هذا أو في أخلاقه كلها تابعا لإمامه رحمه الله، فلم تقتصر متابعتة له على الأمور العلمية فقط، بل بجانب وراثته علمه فقها وكلاما، قد ورث أخلاقه أيضًا؟

ذكر عن الإمام الأعظم أنه كان «على غزارة علمه وشهرته الفائقة، وتمكنه من الفتوى: زاهدا في مناصب الدولة، فقد عرض عليه القضاء، فأبى، والولاية على بيت المال فرفض... فقد كان الحامل له على رفض القضاء ألا يشترك في حكم بني أمية حيث كثرت الفتن والمظالم، ويستبعد الأستاذ المرحوم الشيخ الخضري في كتابه (تاريخ التشريع الإسلامي) أن يكون أبو حنيفة قد ضرب لرفضه القضاء فحسب، بل لأن ابن هبيرة أراد أن يختبر ولائه لبني أمية، فلما امتنع ضربه لأنه شعر بانحرافه عن بني أمية»<sup>(٣)</sup>.

وكتب الشيخ محمد أبو زهرة مقالا بعنوان (أبو حنيفة، الإمام المستقل الذي عاش من تجارته ورفض وظائف الدولة) ما يشي بما نقول هنا؛ قال فيه: «انقطع أبو حنيفة عن السلطان، ولم يأخذ جائزة أو هدية من أمير أو خليفة، وقد كان فيه محبة لآل علي من غير تشيع

(١) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص ١٢٠ باختصار طفيف.

(٢) ينظر المبحث القادم.

(٣) الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، ص ١٠٤، ١٠٥. باختصار وتصرف يسير.



أو تعصب ولذلك لم يوال الأمويين ولم يعلن التمرد عليهم أو يدع إلى فتنة، ولكن قلبه كان مع من يخرج عليهم من آل علي، ولما خرج زيد بن علي زين العابدين على هشام بن عبد الملك قال: (ضاهي خروجه خروج رسول الله يوم بدر) ولقد اشتدت عليه المحنة بعد ذلك، فأخذ بنو أمية يحصون عليه أقواله، وأرادوا أن يختبروا ولاءه فطلبه الوالي الأموي للقضاء، فامتنع فعرض عليه أن يوليه بعض الولاية على بيت المال، ولكن الشيخ التقي يأبى ويشدد في الإباء ويناشده الفقهاء والقضاة أن يقبل فيرفض؛ لأنه لا يريد أن يتولى المظالم<sup>(١)</sup>.

أعتقد أننا الآن قد وقفنا على حقيقة قول أبي المعين النسفي (ت: ٥٠٨ هـ) حين وصف إمام الهدى وعلاقته بالإمام أبي حنيفة حين قال: «والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى كان من أشد الناس اتباعاً لأبي حنيفة رضي الله عنه في الأصول والفروع جميعاً»<sup>(٢)</sup>، وأعتقد الآن أن «شدة الاتباع» تلك التي وُصف بها الإمام الماتريدي رحمه الله لم تقف عند حدود الجانِب الفكري أو العقلي وإنما تعدته إلى أبعاد الروح وأغوار النفس!

#### ٤- نزعة صوفية وكرامات.

يقرر الإمام الماتريدي أن «الأرض لا تخلو من نبي أو ولي»<sup>(٣)</sup>.

ويقول أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣ هـ) في (أصول الدين) متحدثاً عن الإمام الماتريدي: «وكان من رؤساء أهل السنة والجماعة صاحب كرامات، حكى لي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عن جده الشيخ الإمام الزاهد عبد الكريم بن موسى رحمه الله كراماته»<sup>(٤)</sup>.

وهذه الكرامات جعلته بوصف بعدد من الصفات:

أ- فوصف بأنه رُزق علم الحقيقة، فأبو الحسن علي بن سعيد الرُستَمَقَني يحكى ما

- (١) أعلام وعلماء، الشيخ محمد أبو زهرة، مقالات جمعها: مجد مكي، ص ٤٤، دار الفتح، الأردن، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- (٢) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ت: د. جيب الله حسن، ص ١٥٦، ١٥٧، دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٦ م.
- (٣) البقرة: ٢١٣-١٥٨، وبعد أن قرر ذلك معتقداً صحته قال: «وهو قول الحسن، وكذلك قول أبي حنيفة رضي الله عنه» أ. هـ.
- (٤) أصول الدين، البزدوي، ص ١٤.

أورده السمعاني في (الأنساب): «أن رجلاً من الصالحين رأى أبا نصر العياضي في منامه كأن بين يديه طبقاً من الورد، وطبقاً آخر من الفانيد»<sup>(١)</sup> فدفع طبق الورد إلى أبي القاسم الحكيم، وطبق الفانيد إلى أبي منصور الماتريدي، وكان من تلامذته، فُرُزق أبو منصور علم الحقيقة، ورُزق أبو القاسم الحكيم الحكمة»<sup>(٢)</sup>.

ب- كما وصف بأنه شيخ الفريقين، أي: أهل الحقيقة وأهل الشريعة، وقد ذكر هذا اللقب للإمام الماتريدي عند ترجمة أبي الفتح صالح بن محمد الصوفي المقرئ، فقال: «ودفن بجوار قدوة الفريقين أبي منصور الماتريدي بجاكرديزة»<sup>(٣)</sup>.

ج- كما وصف بأنه مهدي هذه الأمة في زمانه، فقد قال الزبيدي متحدثاً عن الماتريدي: «ووجدت في كلام بعض الأجلة من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة في وقته»<sup>(٤)</sup>.

- من كراماته:

ومن كراماته ما جاء في (القند)، في ترجمة الخضر عليه السلام حيث يقول:

«ذَكَرَ الله تعالى في كتابه.. ظهر بسمرقند مرات في مساجد ومزارات، وممن رآه بها: الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله، رآه في رباط (دشت) وسأله أن يدعو له فدعا له»<sup>(٥)</sup>.

ومنها ما ذكره - إن صح - محمد منير الدمشقي في (شرح الاتحافات السنية) حين يقول: «حكى: أن الأمير نوحاً لما وضع الخراج على أهل سمرقند، بعث بريداً إلى أميرها، فأحضر الأئمة، والمشايخ، وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي

- (١) في تاج العروس في مادة فند: «فند: (الفانيد).. قال الأزهري.. هو (ضرب من الخدواء)، معرُوف، فارسي (مُعَرَّب بَازِيد)، بالبدال المهملة، وقد مرّ أنهم يقولون فَايِيد، وسمي الجلال كِتَابَةً: (الفانيد في حلاوة الأسنيد)» أ. هـ.
- (٢) الأنساب، ٦٢/٣، والقند، ص ٢٩٣.
- (٣) القند، ص ١٤٣.
- (٤) اتحاف السادة، ٥/٢.
- (٥) القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٣٢، ترجمة رقم: ٢٣، باختصار.

[قال شيخنا]: هذا يتفق مع مقولات المتصوفة، وأما الحقيقة فيعلمها الله.

للبريد: قد أدبت رسالة الأمير، فاردد إليه الجواب، وقل له: زدنا ظلمًا حتى نزيد في دعاء الليل، ثم تفرقوا فلم تذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلاً وفي بطنه زج<sup>(١)</sup> رمح مكتوب:

بغى والبغي سهامٌ تنتظر أنته من أيدي المنايا والقدر

سهامٌ أيدي القاتلات في السحر يرمين عن قوس لها الليل وتر<sup>(٢)</sup>

والذي يبدو أن الماتريدي رحمه الله لم يكن إماماً في التصوف كما كان إماماً في التفسير والفقه والكلام؛ لأن تلميذه الحكيم السمرقندي وهو أشهر تلاميذه قد «صحب أبو بكر الوراق ومشايخ بلخ في زمانه وأخذ عنهم التصوف»<sup>(٣)</sup>، ولم يذكروا إلا أنه «أخذ عن الماتريدي الفقه والكلام»<sup>(٤)</sup>، ولو كان الإمام الماتريدي رأساً في التصوف لأخذ منه تلميذه الحكيم.

وبعد، فأعتقد أن قولي: إن الزهد هو «مفتاح شخصية» الإمام الماتريدي، هو قول لم أكن فيه مبالغاً؛ فالزهد هو الذي جعل موقفه من السلطان حاسماً، إذ لا يطمع منه في مغنم، والزهد هو الذي جعله لا يعلم بأجر، والزهد هو الذي انقلب معه من حال إلى مقام، فأكرم بالكرامات، وكان زهده من قبل قد جعل له سمّاً يدخله في عداد العلماء الربانيين.

وأخيراً: فإنه لا يسعنا إلا أن نؤكد أن تصوف أبا منصور لا بد أنه تصوف من وصف بأنه إمام من أئمة أهل السنة؛ فهو تصوف سني لا بدعة فيه، غلبت فيه النزعة العقلية على ما سواها؛ إذ لم يعد الإمام الماتريدي - مثلاً - الإلهام والرؤى والكشف من مصادر المعرفة التي يعتمد عليها في بناء العلوم أو إصدار الأحكام<sup>(٥)</sup>، وإلا لما استحق الإمام هذه المكانة العالية وتلك الألقاب التي أطلقت عليه.

(١) جاء في المعجم الوسيط (باب الزاي، مادة «زج» ٣٩٨/١، مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة): «زجا

عداء، وفلاناً طعنه بالزج ويقال زجه بالرمح والرمح: جعل له زجاً، وبالشئ من يده رمى به» أ.هـ.

(٢) شرح الانحافات السنية للمناوي، المسمى النفحات السلفية، محمد منير الدمشقي الأزهرى، ص ٤٥.

(٣) الفوائد البهية، ص ٤٤.

(٤) الطبقات السنية، ص ١٦٨.

(٥) ينظر: التوحيد، ص ٧٤ وما بعدها، فقرة: ردود أخرى على منكري أسباب المعرفة.

ينظر: فصل (الإطار المعرفي للمنهج في الجزء الثاني من سلسلة المدرسة الماتريدية (نظرية المعرفة عند أهل السنة)

ولو كان له شذوذ ولو في جانب السلوك لما عدّ من أئمة أهل السنة، أو لذكر عنه ذلك، وهو ما لم يحدث والحمد لله.

فعلّم أن تصوفه رحمه الله هو تصوف «كبراء الملة»، كما وصفه النسفي رحمه الله.

\*\*\*

## المطلب الخامس

### شيوخه وتلاميذه

- شيوخه:

أخذ الإمام الماتريدي العلم عن عدد من المشايخ، نعرف منهم:

#### ١ - محمد بن مقاتل الرازي (ت: ٨٤٢هـ):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: البيضاوي<sup>(١)</sup>، ونقل منه الزبيدي فقال: «ومن مشايخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الريّ ترجمه الذهبي في (الميزان)»<sup>(٢)</sup>.

ومحمد بن مقاتل هذا قد ضعفه أهل الحديث من قبل الرأي<sup>(٣)</sup>، قال ابن حجر في (لسان الميزان): «محمد بن مقاتل الرازي لا المروزي حدث عن وكيع وطبقته، تكلم فيه ولم يترك انتهى، روى عنه محمد بن جرير الطبري وغيره وسمع منه البخاري ولم يحدث عنه، فروى الخليلي في (الإرشاد) من طريق مهيب بن سليم قال سمعت البخاري يقول: حدثنا محمد بن مقاتل، فقليل له: الرازي؟ فقال: لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أروي عن محمد بن مقاتل. وأظن ذلك من قبل الرأي، وقد ذكره ابن القيم في (إغاثة اللهفان) وذكر له ترجمة فغلط فيه، فإنه ذكر أن البخاري روى عنه وليس كذلك، وإنما روى عن محمد بن مقاتل المروزي، وأما هذا فذكره أبو الحسن بن بابويه في (تاريخ الري): فقال كان إمام

(١) إشارات المرام، ص ٢٣.

(٢) تحاف السادة ٥/٢. وهو كذلك مصدر الدكنوي.

(٣) لأنهم لا يستحسنون الخوض في علم الكلام، كما هو موقف الإمام أحمد ابن حنبل ومدرسته بخلاف مدرسة الرأي التي رأت الدفاع عن الدين واستحسنات الخوض في علم الكلام مع ما يستلزمه من كثرة إيرادات الحجج العقلية لمن لا يؤمن بالنصوص التقليدية وهو ما كانت تتخرج منه مدرسة الحديث وإن أقرت بحسن كلامهم وصنيعهم دون إعلان، كما حدث مع استحسان الإمام أحمد لكلام المحاسبي حين سمعه يتحدث في الأحوال بما لا يوجد في الكتاب والسنة صراحة ولفظاً! فنصح بعدم متابعتة!!

أصحاب الرأي بالري، ومات بها وكان مقدماً في الفقه... مات سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل في التي بعدها»<sup>(١)</sup>.

وقد أخذ العلم عن أبي مطيع البلخي، وأبي مقاتل حفص السمرقندي، ومحمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة<sup>(٢)</sup>. ومن مؤلفاته: كتاب «المدعي والمدعى عليه»<sup>(٣)</sup>.

#### ٢ - نصير بن يحيى البلخي (ت: ٨٦٢هـ):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: البيضاوي<sup>(٤)</sup>، ونقله عنه الزبيدي وقال: «ومن مشايخ الماتريدي نصير بن يحيى البلخي ويقال نصر (مكبراً)، مات سنة ثمان وستين ومائتين»<sup>(٥)</sup>.

تفقه على أبي سليمان الجوزجاني عن محمد وأبي يوسف عن الإمام أبي حنيفة.. كما تفقه على أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي<sup>(٦)</sup>، روى نصير رسالة أبي حنيفة عن محمد بن سباعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة<sup>(٧)</sup>.

#### ٣ - أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني (ت: ؟؟):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: أبو المعين النسفي، والزبيدي والبيضاوي<sup>(٨)</sup>.

قال عنه في تبصرة الأدلة: «الشيخ أبي بكر أحمد بن بن صبيح الجوزجاني رحمه الله تعالى صاحب أبي سليمان الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن رحمه الله عليهم، وكان في أنواع العلوم

(١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٥١٨/٧، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢م.

(٢) إشارات المرام، ص ٢٣، تحاف السادة ٥/٢.

(٣) هدية العارفين ١٣/٢، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م.

(٤) إشارات المرام، ص ٢٣.

(٥) تحاف السادة المتقين، ٥/٢، والفوائد البهية، ص ٢٢١، والجواهر المضية، ٥٤٦/٣.

(٦) تحاف السادة ٥/٢، والفوائد البهية، ص ٢٢١.

(٧) من مقدمة الكوثري لإشارات المرام، ص ٦.

(٨) إشارات المرام، ص ٢٣.



على الخصوص والعموم في الذروة العليا والرتبة السامية، ومن رأى تصانيفه ككتاب (الفرق والتمييز) وكتاب (التوبة) وغيرهما؛ يعرف جلالة قدره إلى زماننا هذا، ومن كان صاحب تلميذ محمد بن الحسن رحمه الله كيف يكون ناشئاً؟<sup>(١)</sup>

قال في الفوائد البهية - وقريب منه في الطبقات السنية<sup>(٢)</sup> - : «أخذ عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد وكان عالماً جامعاً بين الفروع والأصول.. والجوزجاني نسبة إلى جوزجان بلدة مما يلي بلخ»<sup>(٣)</sup>. قيل: توفي سنة ٢٠٠ هـ<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - أبو نصر أحمد بن العياضي (ت قبل ١٠٣ هـ)<sup>(٥)</sup>:

ذكره أبو المعين والزبيدي، وهو أجل شيوخ الماتريدي، وقد ذكر النسفي شيئاً من أخباره العطرة، في معرض ذكره للقائلين بصفة التكوين، فقال: «أبو نصر أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى بن قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري رحمه الله سيد الخرج كان على هذا الرأي - يعنى القول بصفة التكوين - وهو

(١) تبصرة الأدلة، ص ٤٦٩. وإشارات المرام، ص ٦. وإتحاف السادة، ٥/٢.

(٢) الطبقات السنية في تراجم الخنفية، ص ٨١.

(٣) الفوائد البهية ص ١٤، ص ١٩٥ باختصار.

(٤) هدية العارفين ١/٤٦ ط استانبول دار إحياء التراث العربي.

[قال شيخنا]: «فلذا صح هذا، فإنه لا يكون شيخاً للماتريدي المولود في العقد الرابع من هذا القرن، بحسب اقتراحنا، لكنه مخالف لكل من ترجم له وذكر شيوخه.

(٥) تاريخ وفاته لم يذكره أحد وإنما استنبطه من كلام أبي المعين؛ لأنه ذكر أنه استشهد في أيام نصر الكبير وهو بدوره توفي سنة ٣٠١ هـ فيكون توفي قبل هذا التاريخ. وله أخ اسمه: أبو بكر العياضي، قال فيه أبو المعين (ص ٤٧):

«وكذا أخوه أبو بكر كان يدانيه في أنواع العلوم وأسباب الشرف والفضل، وهو الذي أوصى أهل سمرقند عند انقضاء أجله أن يتمسكوا بمذهب السنة والجماعة ويتجنبوا الأهواء والبدع، خصوصاً الاعتزال. وجمع المسائل العشر التي هي أصول المسائل الخلافية بيننا وبين المعتزلة، وهي المعروفة بالمسائل العشر العياضية» أ.هـ.

وهذا يدل على كونه من أسرة علمية، وأن مذهب أهل السنة كان موجوداً يُنارَع في تلك المنطقة!

الذي استشهد في ديار الترك في أيام نصر بن أحمد الكبير (ت: ٣٠١ هـ) إذ كان يداوم على جهاد أعداء الله الكفرة، وكان من أشجع أهل زمانه وأربطهم جأشاً وأشدّهم شكيمة، وكان في العلم بحراً لا يدرك قعره إماماً في الفروع والأصول لا يدانيه غيره، ومن نظر في كتابه المصنف في مسألة الصفات وما أتى به فيه من الدلائل على صحة قول أهل الحق وبطلان قول المعتزلة والنجارية<sup>(١)</sup> يعرف تبعه في ذلك. وحكي عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي أنه قال: ما أتى أباً نصر العياضي أحد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراء في الدين بآية من القرآن يحتج بها عليه لمذهبه إلا تلقاه مبتدئاً بها يفحمه ويقطعه.

وحكى أن رئاسة العلماء والدرس كانا إليه وهو أبناء عشرين سنة، وحكى أنه لما استشهد خلف أربعين رجلاً من أصحابه كانوا من أقران الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمهم الله...

وقد قال الشيخ أبو حفص العجلي البخاري حافداً<sup>(٢)</sup> الشيخ أبي حفص الكبير رحمه الله، وهو كان صدر فقهاء ما وراء النهر وخراسان: الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة أن أباً أحمد العياضي يعتقد مذهبه، وهو ما كان ليعتقد مذهباً باطلاً. وروى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم أنه قال: ما خرجت خراسان ولا ما وراء النهر منذ مائة سنة مثل الفقيه أبي أحمد العياضي رحمه الله علماً وفقهاً ولساناً ويدا وبياناً ونزاهة وعفة وتقاً، فقيل له: يرحمك الله، وكان يضاهيه قبل

(١) قال في الفرق بين الفرق (عبد القاهر بن محمد البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ص ٢٠٧) فيما بعدها، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥ م): «هؤلاء أتباع الحسين بن محمد النجار، وقد وافقوا أصحابنا في أصول، ووافقوا القدرية في أصول، وانفردوا بأصول لهم... وأما الذي وافقوا فيه القدرية فنفي علم الله تعالى وقدرته وحياته وسائر صفاته الأزلية وإحالة رؤيته بالأبصار والقول بحدوث كلام الله تعالى، وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية. والذي يجمع النجارية في الإيمان قوهم بأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله وفرائضه التي أجمع عليها المسلمون والخضوع له والإقرار باللسان، فمن جهل شيئاً من ذلك بعد قيام الحجة به عليه أو عرفه ولم يقر به فقد كفر، وقلوا: إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وزعم النجار: أن كلام الله تعالى عرض إذا قرئ وجسم إذا كتب» أ.هـ. مختصراً.

(٢) قال في مختار الصحاح (مادة حفد، محمد بن عبد القادر الرازي، ص ١٦٧، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥ م، ت: محمود خاطر): «والحفدة بفتح الحاء والأعوان والخدم وقيل الأحتان وقيل الأصهار وقيل ولد الولد واحدهم حافداً» أ.هـ.

هذه المائة سنة فجعل يذكر طبقات العلماء والفقهاء والبلغاء والفصحاء بها إلى يومه فلم يجد في كافتهم ممن يقرن به فيما ثلله أو يقاس به فيعادل<sup>(١)</sup>.

## ٥ - أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهجيمي النحوي الأعرابي (٩)

قال صاحب القند: «دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب<sup>(٢)</sup>، كان أستاذا للشيخ أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه سيحان بن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

وأبو عوسجة من تلاميذ الأصمعي<sup>(٥)</sup>، وبهذا يتصل سند الإمام الماتريدي في اللغة والأدب إلى أبي عبيدة والأصمعي.

(١) تبصرة الأدلة، ص ٤٦٩، ٤٧٠.

(٢) ومذهب أبي عبيدة في مجال الأدب هو ما أشار إليه الأستاذ فؤاد سزكين في مقدمته التي صدر بها تحقيقه له (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ص ١٩) من أنه لم يكن يلتزم أي من المدارس النحوية من بصرية وكوفية، حيث كون لنفسه شخصية مستقلة تنظر في قضايا النحو العربي بعيداً عن التقيد بأي مدرسة أو رأي سابق.

وينظر: فقرة (المذهب النحوي للماتريدي) في فصل: تفسير القرآن بالرأي، في الأصل الأول من أصول منهج الإمام الماتريدي في كتابنا (الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير).

(٣) قال في الأنساب ١/ ٢٦٥ «الأشتاب ديزكي: - بضم لآلف وسكون الشين المعجمة وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وسكون الباء المنقوطة بواحدة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الزاي والكاف هذه النسبة إلى أشتابديزة: محلة متصلة بباب دستان، وهي محلة كبيرة من حائط سمرقند، منها أبو محمد سيحان بن الحسين بن حازم المؤدب السمرقندي الأشتاب ديزكي، يروي عن أبي عوسجة توبة بن قتيبة الأعرابي» أ.هـ.

(٤) ينظر: القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي، تحقيق يوسف الهادي، ص ١١٥، ١١٦، مركز نشر التراث المخطوط، إيران ط ١، ١٩٩٩ م.

(٥) السابق نفسه.

والأصمعي (ت: ٢١٦هـ) هو «عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمعي الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمعي. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه: شيطان الشعر.. وتصانيفه كثيرة» أ.هـ. مختصراً عن (الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٢).

- تلاميذه:

كان الإمام الماتريدي رئيس أهل السنة بسمرقند، فلا ريب أن يكون له تلامذة لا يحصون قد تلقوا عنه علومه، وقد ذكر أبو اليسر البزدوي ذلك، فقال «وأنَّ جدنا كان قد أخذ معاني كتب أصحابنا وكتاب (التوحيد) وكتاب (التأويلات) في خلق عن الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمه الله<sup>(١)</sup>، إلا أن كتب التراجم قد اقتصرت - فيما يبدو - على أبرزهم وأشهرهم، وهم:

## ١ - الحكيم السمرقندي (ت: ٢٤٣هـ):

جاء في (الطبقات السنية) أنه «أخذ عن الماتريدي الفقه والكلام<sup>(٢)</sup>».

وهو «إسحاق بن محمد أبو القاسم الحكيم السمرقندي أخذ الفقه عن أبي منصور محمد الماتريدي ولقب بالحكيم لكثرة حكمته وموعظته، وصحب أبي بكر الوراق ومشايخ بلخ في زمانه وأخذ عنهم التصوف.. وكان من عباد الله الصالحين ومن يضرب به المثل في الحكمة وحسن العشرة، تولى قضاء سمرقند أياماً طويلة، وكانت سيرته محمودة، قد انتشر ذكره في الشرق والغرب... توفي في المحرم يوم عاشوراء سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة<sup>(٣)</sup>».

يقول عنه أبو المعين: «وهو من ارتضاه الأمة بأسرها وأطبقت الألسنة على الثناء عليه، واتفقت الأئمة على التعظيم والإجلال له، وقد كان جمع إلى ما كان تبحر فيه من الكلام والفقه ومعرفة تأويل القرآن علوم المعرفة والمعاملة، وبلغ في ذلك مبلغاً سار بذكره الركبان قرباً وبعداً وغوراً ونجداً، وآثاره في الدين مشهورة ومشاهدة معروفة مذكورة، ومساغره عند أولى العقل والدين مشكورة<sup>(٤)</sup>».

وللحكيم عدة مؤلفات كلها في علم الكلام، منها: (الحكمة النبوية) و(مختصر الحكمة

(١) أصول الدين، البزدوي، ص ١٤.

(٢) الطبقات السنية، ص ١٦٨.

(٣) الفوائد البهية، ص ٤٤.

(٤) تبصرة الأدلة ص ٤٧٣، ٤٧٤.

النبوية) وهو شرح للفقهاء الأكبر للإمام أبي حنيفة<sup>(١)</sup>، وله: (السواد الأعظم) وهو مطبوع وعليه شروح<sup>(٢)</sup>، ويسمى: (الرد على أصحاب الهوى)<sup>(٣)</sup>، وله: (عقيدة الإمام)<sup>(٤)</sup>، و(الصحائف الإلهية)<sup>(٥)</sup>، و(رسالة في بيان أن الإيمان جزء من العمل)<sup>(٦)</sup> (كذا!).

## ٢ - عبد الكريم البزدوي (ت: ٣٩٠هـ):

هو أبو محمد «عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي، نسبة إلى بزدة، قلعة حصينة على ستة فراسخ من نيسف، جد فخر الإسلام البزدوي، أخذ العلم عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان عن محمد مات سنة تسعين وثلاثمائة»<sup>(٧)</sup>.

وقال الذهبي: «سمع من منصور بن أبي طلحة البزدوي صاحب البخاري، وبالبصرة من أبي علي اللؤلؤي، كان زاهداً مفتياً، تفقه على أبي منصور الماتريدي، روى عنه أهل سمرقند»<sup>(٨)</sup>.

(١) كشف الظنون ٢/ ١٢٨٧، قال: «الفقه الأكبر في الكلام للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت... واعتنى به جماعة من العلماء فشرحه غير واحد من الفضلاء... ومن شروحه: (الحكمة النبوية) وله مختصر ذلك الشرح قال في مختصره: وقد كتبت قبل ذلك كتاب مفصلاً في تبين مسائله متمسكاً بالشرعية المصطفوية لا بالعقل والروية سميت الحكمة النبوية ثم استخرجت منه هذا المختصر وسميته بمختصر الحكمة النبوية، وهو للحكيم إسحق» أ.هـ.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٠٠٨، قال: «السواد الأعظم في علم الكلام، مؤلف لطيف مختصر، مبنى على اثنتين وستين مسألة»، وطبع الكتاب عدة مرات بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٣هـ.

(٣) تاريخ التراث العربي، سزكين ٤/ ٤٤. وذكر مخطوطاته.

(٤) كشف الظنون ٢/ ١١٥٧، قال: «فارسي أوله: الحمد لله الكبير المتعال... ولا نعلم المراد بالإمام هنا: إلا أن الذي يغلب على الظن أنه الإمام الأعظم، وذلك لميل بعض الأحناف إلى الاعتزال فيبدو أن الحكيم أراد أن يردهم إلى عقيدة إمامهم الذي قدوه في الفقه» أ.هـ.

(٥) ذكره الزركلي في الأعلام: ٢٩٦/ ١.

(٦) ذكره سزكين: ٤/ ٤٤. وقال إنه طبع في استنبول ١٢٨٨هـ.

(٧) الفوائد البهية، ص ١٠١. وينظر ص ١٢٥. وكذا في: الجواهر المضية: ٤٥٨/ ٢.

(٨) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٧/ ٢٠٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، تحقيق: عمر تدمري، سنة ١٩٨٧م.

وقد ترك نسلاً صالحاً، فأولاده وأحفاده من أهل العلم، وخدموا المذهب الحنفي والماتريدي معاً؛ فهو جد فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) وهو «الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، إمام الدنيا في الفروع والأصول، له تصانيف كثيرة معتبرة منها (المبسوط)<sup>(١)</sup>، وأخوه هو «أبو اليسر محمد بن محمد المعروف بالقاضي الصدر»<sup>(٢)</sup> صاحب (أصول الدين) على مذهب الماتريدي<sup>(٣)</sup>. رحمهم الله جميعاً.

## ٣ - الإمام ابن أبي الليث البخاري (ت: ٤٩٩):

ذكر اللكنوي أنه «أبرع صمعة بن أبي الليث البخاري من أقران القاضي إسحاق الحكيم السمرقندي أخذ عن أبي منصور الماتريدي»<sup>(٤)</sup>، وذكر في (الجواهر المضية) أنه «أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري، صاحب أبي القاسم إسحاق بن محمد المعروف بالحكيم ومن أقرانه، أستاذهما أبو منصور الماتريدي، وعنه أخذ علم الكلام والفقه»<sup>(٥)</sup>. ولا يعرف عنه أكثر من هذا.

## ٤ - علي الرُّسْتُغْنِي (ت: ٣٥٠هـ تقريباً)<sup>(٦)</sup>:

قال في (الجواهر المضية): «علي بن سعيد أبو الحسن الرُّسْتُغْنِي من كبار مشايخ سمرقند. له كتاب (إرشاد المهتدي) وكتاب (الزوايد والفوائد) في أنواع العلوم وهو من أصحاب الماتريدي الكبار. له ذكر في الفقه والأصول في كتب الأصحاب. والخلاف بينه

(١) الفوائد البهية، ص ١٢٤.

(٢) الفوائد البهية، ص ١٢٥.

(٣) ينظر مقدمة المستشرق: هانز لكتاب (أصول الدين) حيث لم يعرف عن حياته الكثير ومنها تاريخ وفاته، مرجع سابق.

(٤) الفوائد البهية، ص ١١٦.

(٥) الجواهر المضية: ٤/ ٦٥.

(٦) الرُّسْتُغْنِي: «بضم الراء وسكون المهملة وضم التاء ثالث الحروف وسكون الغين المعجمة وفي آخرها النون بعد الفاء، نسبة إلى قرية من قرى سمرقند» كذا في الجواهر المضية، ٥٧١/ ٢.

(٧) ينظر: أصول الفقه، اللامشي، ص ٢٢٢.



وبين الماتريدي في مسألة المجتهد إذا أخطأ في إصابة الحق يكون مخطئاً في الاجتهاد عند أبي منصور، وعند أبي الحسن مصيب في الاجتهاد على كل حال، أصاب الحق أو لم يصب»<sup>(١)</sup>.

والأقرب في فهم عبارة «من أصحاب الماتريدي الكبار» أن تحمل لا على صحة الطبقة الواحدة، وهو ما نص عليه أبو المعين حين قال متحدثاً عن الماتريدي: «وهو الذي تخرج عليه الفقيه أبو أحمد العياض في أنواع العلوم والشيخ أبو الحسن الرستغني رحمه الله تعالى وغيرهما من العلماء المتبحرين في العلوم المالية»<sup>(٢)</sup> وسياق كلام أبي المعين يساعد على هذا الفهم أيضاً؛ إذ ذكر طبقة بعد طبقة أقران الماتريدي، وعليه فهو من تلامذته لا من أقرانه.

من مؤلفاته: (إرشاد المهتدي) و(الزوائد والفوائد) السابق ذكرهما، وله كذلك: كتاب (في الفتاوى)، وكتاب آخر في (الخلاف)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

## المطلب السادس

### ثقافته وعلمه

لا أعتقد أنني في حاجة للتأكيد على كون الإمام الماتريدي من كبار المتكلمين والمفسرين والفقهاء والأصوليين الأحناف، لكن ما أود الوقوف عليه هنا هو استكشاف مدى موسوعية الماتريدي، أو لنقل: الوقوف على مدى رحابة الفكر واتساع الأفق لديه؛ لنعطى عن الرجل صورة أخرى إضافية، نتعرف من خلالها على الأبعاد المختلفة لهذه الشخصية؛ إذ إن ثقافة الماتريدي لم تقتصر على علوم الشريعة بل امتدت لتأخذ بنصيب من علوم أخرى.

ولا ريب أنه بقدر اتساع ثقافة المفسر ثم علمه بواقعه المعيش بقدر ما يكون أثرهما في صناعة رأيه وكيفية تناوله للآيات وتوجيهها وجهة معينة بغرض تنزيل هداية القرآن على واقعه<sup>(١)</sup>، ومن هنا قيل: إن التفسير «علم لا نضج ولا احتراق»؛ لأن كل جيل يبحث في القرآن عن معالجة قضايا ومشكلاته من خلال ذلك الكتاب، ولا يقوم بذلك إلا المفسر<sup>(٢)</sup>.

وقد كتب الأستاذ محمد أبو موسى في هذا السياق ما أراه ينطبق أشد الانطباق على إمام الهدى، إذ يقول: «وكان مؤسسو هذا التراث أنشط منا في متابعة الفكر الإنساني في كل مظانه، وأقدر على فقه الثقافات الأجنبية، وتمثلها، والصبر على البحث والدرس، وكانوا يفرزون هذه العصارات المختلفة عريية الشكل والجوهر، حتى يخيل إليك أنهم لم يقرأوا غير التراث العربي، وهذه وظيفة الرواد القوامين على ثقافات الأمم وحضارتها، والحراس المحافظين على ملاحمها وأصالتها»<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر المدخل الذي صدرت به فصل (التفسير بالرأي) وفقرة (أثر سعة الثقافة وفقه الواقع في صناعة الرأي) فإن الكلام هناك يتأخي مع ما ذكرته هنا في هذا المبحث.

(٢) إن البحث في دراسة أثر الواقع على كل تفسير من تفاسير القرآن تحتاج لدراسات عديدة تربط بين الواقع الفكري والثقافي والسياسي الذي كان يحياه المفسر وكيفية تناوله للآيات، أو لآيات معينة في تفسيره.

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد أبو موسى، ص ١٢، ط دار الفكر العربي.

(١) الجواهر المضية ٢/ ٥٧٠، ٥٧١. وينظر: تاج التراجم، ص ٣٠.

(٢) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٧١.

(٣) ينظر: كشف الظنون ١/ ٧٠، ٢/ ١٢٢٣.

## - علمه بالتاريخ العربي والإسلامي:

جاء في تفسير الماتريدي ما نستطيع أن نستشف منه عنايته بعلم التاريخ، ففي سورة الجمعة - مثلاً - بين السر في قبول العرب المباهلة دون اليهود والنصارى عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حيث يقول: «فلم يباهله اليهود والنصارى؛ لأنه يجوز أن قد كان في كتابهم هذا أن المباهلة من غاية المحاجة وأن من باهل نزل عليه العذاب واللعنة إن لم يكن محققاً؛ فلذلك امتنعوا من المباهلة، وأما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا»<sup>(١)</sup>.

ولا نبحث هنا صحة هذا التعليل من عدمه، وإنما نبحث في أثر هذا العلم في توجيه الآية أو كتابة رأي معين فيها.

ويدخل في ذلك: علمه بتاريخ الأمم السابقة مما يعين على تفسير آيات القصص وهو ما يدخل في عداد الإسرائيليات، وهي قليلة في تفسيره.

ويدخل في ذلك: العلم بعادات العرب في الجاهلية ففي سورة يوسف عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ أَفَرَكْنَا﴾، يقول إن: «تَأَلَّوْا» قسم قد اعتادوه في فحوى كلامهم؛ على غير إرادة يمين بذلك؛ هكذا عادة العرب؛ وإلا كان يعلم يوسف أن الله قد آثره عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وفي سورة الحشر: عند قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ الآية، ذكر «أنه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم في النسب أو القبيلة»<sup>(٣)</sup>.

ويدخل في هذا: العلم بالسيرة النبوية مما يشمل أحوال الرسول وأحوال صحابته مما يعد أعم من أسباب النزول أو التفسير بالمأثور، ففي سورة الأنفال، عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، يقول: «ذكر في بعض القصة أن عير قريش حين أقبلت من

(١) الجمعة: ٦-٥/١٢٩. وينظر: الدخان: ٨-٤/٤٥٦.

(٢) يوسف: ٩١-٦/٢٨٣. ط العلمية.

(٣) الحشر: ١٢-٩/٥٩٣. ط العلمية.

الشام، خرج أصحاب رسول الله نحوهم على ما يخرج إلى العير غير متأهبين للحرب، وخرجت قريش من مكة تغيث عيرها فهي الطائفة الأخرى، ووعد لهم أن إحدى الطائفتين لهم إما العير وإما العسكر أنهم ينصرون عليهم ﴿وَقَدْ ذُوبَتْ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: التي ليس فيها حرب، ثم يكون لكم العير وهي أهون شوكة وأعظم غنيمة، كانوا يودون ذلك»<sup>(١)</sup>.

- علمه بالفارسية<sup>(٢)</sup>:

(١) الأنفال: ٧-٢/٣٣٣.

(٢) لم تكن الفارسية التي يتكلمها الإمام الماتريدي هي فارسية الساسانيين الذين قضى الإسلام على لغتهم ودياناتهم؛ ذلك أن العرب قد فتحوا «بلاد فارس وهم يتكلمون البهلوية، وهي لغة المرحلة الوسطى بين لغتهم القديمة قبل فتح الإسكندر لبلادهم وبين لغتهم الحديثة التي نشأت في منتصف القرن الثالث الهجري، فلما احتكت اللغة العربية بالهلوية صارعتها فصرتها في الإنتاج العلمي والأدبي... إلى أن بعثوا اللغة الفارسية الحديثة محاكية للعربية، ثم زاحمتها شيئا فشيئا حتى استقلت. لكنها بعد استقلالها مازالت مصبوغة بألوان شتى من آثار العربية وآدابها». «وقد بلغت الألفاظ العربية في بعض الكتب الفارسية من خمسين إلى ثمانين في المائة حتى كادت الكلمات تكون عربية مرتبة على قواعد النحو الفارسي». «على أن النحو الفارسي لم يسلم من التأثر بالنحو العربي كحذف الفعل من بعض الجمل الفارسية، أو تقديمه محاكاة للنحو العربي، أو صوغ فعل مبني للمجهول على الطريقة العربية، أو استعمال الحار كما هو في النحو العربي».

ينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفارس، ص ٢٨١ فما بعدها؛ ليعلم مدى تأثير الفارسية الحديثة بالعربية في فنون الأدب والنحو والعروض والكتابة بالحروف العربية والبلاغة. حتى إننا نستطيع القول: إن الفارسية الحديثة إنها هي عربية محرفة لم تستطع العودة إلى الفارسية القديمة الأصلية، ولا استطاعت أن تبقى عربية خالصة!

ويلاحظ الدكتور عبد الرحمن بدوي ذلك - وكان يجيد الفارسية وعاش في إيران ابتداء من ديسمبر ١٩٧٣م أستاذا للفلسفة في كلية الإلهيات والعلوم الإسلامية (إلهيات وعلوم إسلامي) في جامعة طهران - حيث يقول في مذكراته ٢/٢٤٥: «وتكونت اللغة الفارسية الجديدة التي ستصير لغة الكتابة ابتداء من القرن الرابع الهجري عند من يكتبون بالفارسية في إيران من لغة فارس ومن تطعيمها بعناصر عربية تزايدت مع الزمن حتى صارت الألفاظ العربية تُكوِّن ثمانين في المائة من معجم اللغة الفارسية» أ.هـ.

ينظر: سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٠م.

قلت: لعل تشرب الفارسية التي أعيد إحياؤها في عهد السامانيين فصاحة العربية: بلاغة ونحوا وعروضا ومفردات، حتى قاربت العربية جدا هو الذي دفع الإمام أبا حنيفة رحمه الله فيما نقل عنه الإمام الماتريدي في تفسيره «أنه إذا قرأ المرء بالفارسية في صلاته تجوز صلاته» [فصلت: ٤٤-٤/٣٨٣]، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب كشف الأسرار (١/٢٥) أنه: «قيل الخلاف في الفارسية؛ لأنّها قرئت من العربية في الفصاحة فأما القراءة بغيرها فلا يجوز بالاتفاق» أ.هـ.

أ- كثيرا ما يورد الإمام الماتريدي في تفسيره كلمات فارسية، أو كلمات عربية ثم يقوم بترجمتها للفارسية؛ زيادة في الإيضاح لطلاب يبدو أنهم من أصول فارسية، في عصر اهتم فيه أمراء السامانيين بإحياء الثقافة الفارسية<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما جاء في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَتَبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّزِيدٍ﴾، يقول: «قيل: فعيل بمعنى فاعل.... والمارد بالفارسية: ستنبه»<sup>(٢)</sup>، وفي سورة الكهف، إذ يقول: «قال أبو عوسجة: ﴿سَرِيًّا﴾ أي دخل في البحر كما يدخل في السَّرب، والسَّرب هو داخل الأرض، يقال بالفارسية: سَمَهَجَّ»<sup>(٣)</sup>، وفي سورة الفرقان يقول: «ويقال ﴿مَهْجُورًا﴾ أي كاهليان، والمهجر الاسم»<sup>(٤)</sup>، يقال: فلان يهجر في منامه أي يهذي، وهو بالفارسية: بلا به كفتي»<sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر فعل الماتريدي هذا على تفسيره بل كان يعبر هو عن نفسه، ويبين عن أفكاره بكلمات فارسية لعله لا يرى في العربية ما يقابلها، مثل تعبيره عن الذات الثابتة بلفظ «المستية»<sup>(٦)</sup>.

ب- هذا عدا ما يورده من كلمات معربة في القرآن، يقول إن أصلها فارسي<sup>(٧)</sup>.

(١) تبدو المنطقة في تلك الفترة مختلفة اللغات والأعراق ويتنازعها اللسانان العربي والفارسي، بعد الفتح والتركى والفارسي قبله!

(٢) الحج: ٣-٣٥٦.

(٣) الكهف: ٦١-٢٤١/٣.

(٤) [قال شيخنا]: يعنى اسم المصدر (هجر يهجر هجرا) أما المصدر فهو الحجر بالفتح.

(٥) الفرقان: ٣٠-٥٠٢/٣. وينظر كذلك: القمر: ٨-٦٢١/٤، والواقعة: ٣٧-٢٧/٥، والرحمن: ٧٦-٢٠/٥.

(٦) يقول أبو المعين في التبصرة (١/٢١١): «... فون الشيخ أبا منصور الماتريدي رحمه الله ذكر في كتاب المقالات فقال بعد كلام ذكره: ثم لزم تعاليه عن جميع معاني غيره وسبحانيته عن أن يكون له مثال في الحوادث، فذلك هو القول بالمائة عند من يقول لا غير، وهو أن ينفى عنه معنى هستية غيره إذا لم تكن المائة عند القوم إلا هستيته خلاف هستية غيره، وإذا كان الأمر كذلك دل أن القائل بالمائة لا يريد به إثبات المجانسة بل يريد به نفيها»، ثم يقول أبو المعين بعدها: «ومن دأب الشيخ رحمه الله أن يذكر لفظة المستية وإن كانت فارسية، لما أن لفظة الوجود مشتركة بين فعل الواجد وبين ثبوت الذات». ولعل في هذا ما يكون دليلا آخر على الأصل الفارسي للماتريدي.

(٧) ينظر مثلاً: الزمر: ٦٣-٣٢٠/٤، والتكوير: ١-٣٨٩/٥، والفيل: ٤-٥٢١/٥.

## - اطلاع على أقوال الفلاسفة:

شملت ثقافة الماتريدي كل ما يدور في عصره من أفكار، ومنها: مقولات الفلاسفة التي يقول عنها المقرئ: «كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شُغِفَ بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم من عَرَب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجَرَّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم... واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره»<sup>(١)</sup>.

ولانتشار هذه الكتب في أيدي الناس وعظم البلاء بها لم ير أهل السنة - ومنهم الماتريدي - بداً من النظر فيها، مع الحذر بل والتحذير مما فيها من أباطيل تخالف الكتاب أو السنة.

أ- فمن إيراد الماتريدي لأقوال الفلاسفة في تفسيره، ما جاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا لِكُم بِآلِيلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾؛ حيث يقول، عارضا قول الفلاسفة: «قالت الفلاسفة: الخواص هي التي تدرك صور الأشياء بطبيعتها»<sup>(٢)</sup>.

وفي سورة الأعراف عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال «قيل العالم هو جوهر الكل، وهو قول الفلاسفة»<sup>(٣)</sup>.

ب- ومع ذلك فإن الماتريدي كان يرى عدم إباحة النظر في هذه الكتب إلا للعرض على كتاب الله فيؤخذ ما يوافقه ويترك ما يخالفه.

(١) المواعظ والاعتبار، المقرئ، ٣/٤٢٢ فما بعدها باختصار.

(٢) الأنعام: ٦٠-١٢٥/٢.

(٣) الأعراف: ١٠٤-٢٦٨/٢.



ففى سورة الكهف - مثلاً - يقول: «وفى قوله: ﴿وَلَا تَسْتَقْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ دلالة أنه لا يسع النظر فى كتب الفلاسفة إلا على جهة العرض لما فيها على كتاب الله فيأخذ بما يوافقه ويترك الباقي»<sup>(١)</sup>.

### - اطلاعه على كتب أهل الكتاب

كان الإمام الماتريدي فى تفسيره يستشهد أحياناً بكتب أهل الكتاب فى مواطن متعددة مما يدل على أن ثقافته شملت هذا الجانب، ومن هذه المواضع ما جاء فى سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ﴾ الآية، حيث يقول:

«يحتمل أن يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعاً ولكن ما كان من أحد الفريقين هذا، ومن الفريق الآخر غيره... ويحتمل: أن كان من النصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ لما ذكر فى بعض القصة أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال لقومه: أذهبوا إلى أبي وأبيكم الذى فى السماء»<sup>(٢)</sup> فقالوا عند ذلك ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ وكان من اليهود قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾»<sup>(٣)</sup>.

### - نظرات فى علم الأغذية:

يرى الإمام الماتريدي أن الطعام الطيب اللين أنفع للعقول، حيث يقول فى سورة الكهف:

«وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أطيب وأجود لأن الطيب أزيد للعقول وأصلح للأنفس وأنفع، ولذلك جعل الله أرزاق البشر ما هو أطيب وألين لما يزد ذلك فى العقول والفهوم، وجعل لغيرهم من الدواب كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكهف: ٢٢ - ٢٢٢/٣.

(٢) لم أجد هذا النص وأقرب ما وجدته (متى ٩/٢٣): ﴿وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبَا عَلَى الْأَرْضِ، لَأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ﴾.

(٣) المائدة: ١٨ - ٢٥/٢.

(٤) (الكهف: ١٩ - ٢١٩/٣).

### - نظرات فى علم الأرض:

يُرَدُّ الإمام الماتريدي على بعض الناس فى مسألة طبيعية تتعلق بعلم الأرض أو علم (الجيوولوجيا)، حيث يقول:

«وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ هذا يدل أن الأرض لم يكن من طبعها فى الأصل التَّسْفُلُ والتسرب فى الماء على ما قال بعض الناس، لأنه لو كان طبعها التَّسْفُلُ والتسرب لكانت الجبال تريد التَّسْفُلُ فى الماء والتسرب. فإن لم يكن دَلٌّ أن طبعها كان الاضطراب والزوال والتحريك والميد بأصله فى التَّسْفُلُ والتسرب. ولكن على ما ذكرنا، فأثبتها بالجبال وإن كنا نشاهد بعض أجزائها تَسْفُلُ وتُسْرُبُ».

### - رأي فى علم النجوم

يرى الإمام الماتريدي أن استخراج المعاني والدلالات من النجوم جائز ما لم يشهد الفلكي على الله أو يقطع بقوله ويشبهه بعمل المجتهد الذى يستخرج من النصوص، ففي سورة المائدة، عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَفْهِمُوا بِالْأَزْكَرِ﴾، يقول:

«قال أبو بكر الكيساني: إن فى النهى عن العمل بالأزلام دليل النهى عن العمل بالنجوم، فإذا نُهي عن العمل بقول المستقسمين يُنهى أيضاً عن العمل بقول المنجمة؛ لأنهم يقولون حينما يقول أولئك ويعملون به. لكن المنجمة ليسوا يقولون إن نجم كذا يأمرهم كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان يفعل أولئك، ويجوز أن يكون الله عز وجل قد جعل فى النجوم أعلاماً ومعاني يدركون بها ويستخرجون أشياء تحتل ذلك وتكون على ما يستخرج أهل الاجتهاد بالاجتهاد أشياء من معنى النصوص، وأحكاماً لم تذكر فى النصوص. فعلى ذلك المنجمة يجوز أن يستخرجوا أشياء من النجوم بدلائل معان تكون فى النجوم، ولا عيب

(١) يقول صاعد (طبقات الأمم، ص ١٦): «ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها فى العالم السفلي وكانت لهم أرساد للكواكب قديمة ومذاهب فى حركاتها مختلفة.. وللفرس كتب جليلة فى أحكام النجوم» أهـ باختصار، ولعل فى هذا ما يؤكد الأصل الفارسي للماتريدي كما رجحته.

عليهم في ذلك ولا لائمة وإنما اللائمة عليهم في ما يحكمون على الله ويشهدون عليه<sup>(١)</sup>.

وقد سبق في سياق الحديث عن أصل الماتريدي رأيه في علم القائفة، وعلم الأنساب وأنه لا يعتد بهذه العلوم!

ولا نستطيع الجزم هنا بـ «مدى» اطلاع الماتريدي على هذه العلوم، سواء منها ما رفض أو قبل، ولكن المؤكد أن الماتريدي كي يحكم هذه الأحكام أو يستشهد بهذه الاستشهادات لا بد وأنه اطلع على طرف منها يُمكنه من ذلك، وهذا هو معنى الثقافة: أن تعرف شيئاً عن كل شيء.

\*\*\*

## المطلب السابع مؤلفاته وآثاره العلمية

لقد أثمرت تلك الثقافة الموسوعية عدداً من المؤلفات كان أغلبها في علوم الشرع من كلام وأصول وتفسير، إلا أنه - بطبيعة الحال - قد وظف كافة معارفه في مؤلفاته كما لحظناه في تفسيره.

وهذه المؤلفات قد استفاد منها تلاميذه وأنصار مذهبه في الأجيال اللاحقة، إلا أنه - وأسفاه - لم يصل لنا إلا النذر اليسير منها، لكننا علمنا بها من أقدم كتاب ترجم للإمام الماتريدي فيما وصل إلينا، وهو كتاب (تبصرة الأدلة) الذي ذكر منها ثلاثة عشر مؤلفاً في سياق مدحها قائلاً: إنه من «وقف على بعض ما فيها من الدقائق، وغرائب المعاني، وإثارة الدلائل عن مكامنها، واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام، وحافظ على آداب المجادلة الموضوعية، لَفَسَخَ عقائد المغترين بأفهامهم، وقرَنَ كل مسألة من البرهان الموضوع لإفادة ثلج الصدر وبرد اليقين»<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر غير النسفي كتباً أخرى سأذكرها ضمن التصنيف الذي يمكن أن نضع فيه هذه المؤلفات، كالآتي:

### - مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

١- تفسيره الكبير المسمى (تأويلات القرآن)<sup>(٣)</sup> أو (تأويلات أهل السنة)، وسيأتي حديث مفصل بشأنه إن شاء الله تعالى.

٢- كتاب (أوقاف الكفر) أو (رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن).

لم يذكره أبو المعين، وإنما ذكره لبيب السعيد في كتابه (التغني بالقرآن) حيث قال: «في

(١) تبصرة الأدلة، ص ٣٧٣، ٣٧٤ باختصار. والكتب التي ذكرها للماتريدي ذكرها في هذا الموضع نفسه الذي لن أحيل إليه بعد ذلك مكتفياً باسم الكتاب.

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة، ص ٣٩٨، وص ٤٧٣.

كتاب (أوقاف الكفر) لأبي منصور الماتريدي بيان مفصل لوقوف غير جائزة، بل قد تفضى إلى كفر من يقرأ بها عامداً<sup>(١)</sup>، ولعل هذا (الكتاب) هو بعينه (الرسالة) التي ذكرها فؤاد سزكين بعنوان (رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن)<sup>(٢)</sup>، وذكر أماكن وجودها.

وهو مخطوط لم يطبع من ورقة واحدة رقم ٣٥٤ مجاميع، بدار الكتب المصرية، و برقم ٩٤٠ مجموع طلعت، وله نسخ أخرى في مكتبات العالم<sup>(٣)</sup>.

— مؤلفاته في العقائد والمذاهب:

١ - كتاب (التوحيد)<sup>(٤)</sup>.

وهو كتاب مشهور قد يسمى (التوحيد وإثبات الصفات)<sup>(٥)</sup> وهو المصدر الأول في معرفة آراء الماتريدي العقدية، وقد عرف الكتاب بصعوبة عباراته مما جعل البزدوي في مقدمة كتابه (أصول الدين) يقول عنه: «إلا أن في كتاب (التوحيد) الذي صنّفه الشيخ أبو منصور قليل انغلاق وتطويل، وفي ترتيبه نوع تعسير ولولا ذلك لاكتفيناه»<sup>(٦)</sup>، والكتاب محقق مطبوع<sup>(٧)</sup>.

٢ - كتاب (المقالات):

ذكره أبو المعين، ونقل منه نصوصاً في كتابه<sup>(٨)</sup>، كما ذكره حاجي خليفة<sup>(٩)</sup>، وهو كتاب

(١) التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي)، بقلم ليبب السعيد، ص ٨٥، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠ م.

(٢) تاريخ التراث العربي: ٤٢/١.

(٣) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، ص ٢٣.

(٤) نقل منه أبو المعين في مواضع، ينظر مثلاً: ص ١٣٠، ٢١٠، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٦٩.

(٥) كشف الظنون: ١٤٠٦/٢، هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٦) أصول الدين، البزدوي، ص ١٤.

(٧) قام بتحقيق نصوصه الدكتور فتح الله خليف (عام ١٩٧٠ م)، كما طبعته دار صادر (عام ٢٠٠٤ م)، بتحقيق الدكتور بكر أوغلو، والدكتور محمد آرويشي، وهي الأفضل؛ إذ بها شروح لبعض ما غمض من العبارات، مع مقدمة ضافية.

(٨) انظر مثلاً: ص ٧٢، ص ٢١١.

(٩) كشف الظنون: ١٧٨٢/٢.

مستقل عن كتاب (التوحيد) كما يظهر لأول وهلة من صنيح النسفي وغيره<sup>(١)</sup> بخلاف ما يوهمه صنيح بروكلمان كأنه هو هو كتاب (التوحيد) حين قال (كتاب التوحيد أو المقالات)<sup>(٢)</sup>.

٣ - كتاب (بيان وهم المعتزلة):

ذكره أبو المعين النسفي، وصاحب (هدية العارفين)<sup>(٣)</sup>، وصاحب (تاريخ الأدب العربي)<sup>(٤)</sup>.

و(أوهام) بالجمع في بعض نسخ (الجواهر المضية)<sup>(٥)</sup>

٤ - كتاب (رد تهذيب الجدل للكعبي)

ذكره النسفي في (التبصرة)، وسماه في (هدية العارفين): (الرد على تهذيب الكعبي في الجدل)<sup>(٦)</sup>، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين.

٥ - كتاب (رد أوائل الأدلة للكعبي):

ذكره النسفي، و بروكلمان<sup>(٧)</sup>.

٦ - كتاب (رد كتاب الكعبي في وعيد الفساق):

كذا اسمه في (التبصرة) للنسفي، وفي كتب الطبقات: (رد وعيد الفساق للكعبي) ولم يذكره سزكين ولا بروكلمان.

٧ - كتاب (رد الأصول الخمسة لأبي عمرو الباهلي):

ذكره أبو المعين النسفي، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين، ولا يُعرف من هو الباهلي المقصود، ويبدو أنه من المعتزلة وفقاً لعنوان الكتاب.

(١) وحكى محقق كتاب (التوحيد) الدكتور بكر طوبال عن بعضهم: وجود نسخة مخطوطة منه في بعض المكتبات إلا أنه بعد تدقيق تبين أن هذا غير صحيح. ينظر: (ص ١٨، ١٩).

(٢) تاريخ الأدب العربي: ٤٢/١.

(٣) هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٤) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٤٣/٣.

(٥) الجواهر المضية: ٣٦٠/٣.

(٦) هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٧) بروكلمان: ٤٣/٣.



## ٨ - كتاب (رد كتاب الإمامة لبعض الروافض):

ذكره النسفي، ولا يعلم من هم هؤلاء البعض الذين يرد عليهم إلا أن الدكتور أيوب على، ذكر أنه يرد على أحمد بن أبي الحسين الراوندي الملحد<sup>(١)</sup>، لكن لا يعرف من مؤلفات ابن الراوندي كتاب في الإمامة، ولعل كلامه فيها أتى في خلال انتصاره للرافضة في بعض ما ألف<sup>(٢)</sup>

## ٩ - كتاب في الرد على القرامطة في أصول مذهبهم.

## ١٠ - كتاب في الرد على القرامطة في فروع مذهبهم.

الكتابان ذكرهما النسفي، ولم يذكرهما غيره، ولا نعلم هل هذا هو اسم الكتابين أم أنه مجرد وصف لما يحتويانه؟ والذي يبدو أن النسفي قد ذكر محتوى الكتابين؛ وعليه فلا ندري اسمهما.

## ١١ - رسالة في الإبان!

لم يذكرها أبو المعين في (تبصرة الأدلة) وإنما ذكرها في (التمهيد لقواعد التوحيد)، إذ بعد ذكره لأدلة القائلين بأن الإيمان هو التصديق ومناقشة القائلين بأن الأعمال من الإيمان يقول: «وفي المسألة دلائل ذكرها الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله في تصنيف له مفرد في هذه المسألة»<sup>(٣)</sup> ولا يعلم على وجه اليقين أن هذا هو اسم الرسالة، وإنما أخذ الاسم من عبارته، ويترجح لدى الباحث أن تكون رسالة مفردة في الإبان كما نص هنا، إذ لو كانت هي بعينها كتاب (التوحيد) لذكر ذلك أبو المعين ولم يَحْتَجْ للقول (تصنيف له مفرد)، وهو خلاف ما ذهب إليه محقق كتاب (التوحيد) الدكتور بكر طوبال<sup>(٤)</sup>.

(١) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، ص ١٨٧، نقلا عن مقدمة كتاب التوحيد، ص ٢١.

(٢) المعروف أنه ألف (فضيحة المعتزلة) نقدا لمذهبهم من وجهة نظر شيعية رافضية ردا على (فضيلة المعتزلة) للجاحظ، ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، ص ٩١. وينظر: بروكليمان ٢٨/٣ و ٢٩.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ت: د. جيب الله حسن، ص ٣٨٣، دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٦ م.

(٤) ينظر مقدمته لكتاب التوحيد، ص ٢٩.

وهذه الكتب من الثاني إلى الحادي العاشر جميعا لا نعلم عنها شيئا ولم تصلنا.

## - مؤلفاته في الفقه والأصول:

## ١ - كتاب (مأخذ الشرائع):

ذكره النسفي، وهو كتاب في أصول الفقه، نقل منه اللامشي الماتريدي<sup>(١)</sup> في كتابه في أصول الفقه، كما نقل منه علاء الدين السمرقندي في كتابه (ميزان الأصول)<sup>(٢)</sup>.

وأستبعد ما ذكره الدكتور أحمد الريسوني حين عد الماتريدي ممن ألف في المقاصد قبل الشاطبي<sup>(٣)</sup> مستدلا باسم كتابه (مأخذ)، إذ مأخذ الشيء هو وجهه أو جهته التي أخذ منها<sup>(٤)</sup>، ولم يذكر أي سبب وجيه آخر، مع تصريحه بفقدان الكتاب!

كما أستبعد ما ذكره الدكتور بكر أبو زيد في تقديمه لتحقيق الشيخ مشهور حسن سليمان لكتاب (الموافقات) أن كتاب (مأخذ الشرائع) من كتب المقاصد، وذلك عند دراسته لكتاب الشاطبي فقال: «واستظهر آخرون مقاصد التشريع، وعنوا بالكشف عن حكمة الشريعة وغاياتها، وأسرارها، وعللها في جنس التشريع العام، أو في نوعه، أو في جزئية منه، بمؤلفات مستقلة منهم: .. أبو منصور الماتريدي في كتابه: مأخذ الشرائع»<sup>(٥)</sup>.

(١) هو أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي، من علماء ما وراء النهر، عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس، ولا يعلم عنه ولا عن حياته الكثير، وكتابه في الأصول طبع باسم (كتاب في أصول الفقه) حققه: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٥ م. واستشهاده بالكتاب كان في موضوع الاستصحاب وذكر رأي الماتريدي فيه، في المطلب ٣٧٩، ص ١٨٧.

(٢) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، علاء الدين السمرقندي، حققه الدكتور: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة، سنة ١٩٨٤ م، ١٤٠٤ هـ.

ينظر: ص ٢، ١٠٢، ٩٩٤، ١٠٤٩، ١١٢٠. منه.

(٣) ينظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، ص ٤٣، ط المعهد العالمي لفكر الإسلام، ١٩٩٥ م.

(٤) المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي المقرئ، ت: يوسف الشيخ، ص ٣٣٥، مادة: وج هـ المكتبة العصرية.

(٥) الموافقات، الشاطبي، تحقيق ودراسة: مشهور حسن سليمان، صفحة (ج) من تقديم الشيخ بكر أبو زيد للكتاب، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

ولعل ما دفعه إلى ذلك هو اسم الكتاب كذلك، بل النص المنقول في كتاب اللامثي ونُقُول السمرقندي عنه في (ميزان العقول) تنفى هذا تماماً.

ويبدو أن الماتريدي قد تكلم في بعض مسائل أصول الدين في هذا الكتاب مما جعل النسفي في (تبصرة الأدلة) ينقل منه قول الماتريدي: إن الجوهران يتماثلان بمعنى يقوم بهما<sup>(١)</sup>.

## ٢- كتاب (الجدل) في أصول الفقه:

ولولا أن أبا المعين ذكر أنه في أصول الفقه لظُن أن الكتاب في المنطق أو علم الكلام.

نقل منه السمرقندي في (ميزان الأصول)<sup>(٢)</sup>، وهو والذي قبله في (كشف الظنون)<sup>(٣)</sup>.

وهذان الكتابان مدحهما علاء الدين الحنفي السمرقندي بقوله إن تصانيف أصحابه من الحنفية في علم الأصول قسيان: «قسم وقع في غاية الإحكام والإتقان لصدوره ممن جمع الفروع والأصول وتبحر في علوم المشروع والمعقول مثل الكتاب الموسوم بـ (مأخذ الشرائع) والموسوم بـ (كتاب الجدل) للشيخ الإمام الزاهد رئيس أهل السنة أبي منصور الماتريدي السمرقندي رحمه الله ونحوهما من تصنيف أستاذه وأصحابه رحمهم الله»<sup>(٤)</sup>.

## - مؤلف في الوعظ والرقائق:

### ١- (وصايا ومناجاة) أو (فوائد) أو (مقتطفات في الوعظ) !.

ذكر سزكين العنوانين الأولين<sup>(٥)</sup>، وذكر بروكلمان الثالث<sup>(٦)</sup> وجميعها مؤلف واحد إذ رقم المخطوط الوارد في كتابيهما واحد (فاتح ٥٤٢٦)، وهو بالفارسية فإن صحت نسبته إلى الماتريدي فإنه يتسق مع ما ذكرناه من معرفة الإمام بالفارسية، والجزم بذلك صعب قبل

(١) تبصرة الأدلة: ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) ينظر: ميزان الأصول، ص ٢، ١٠٢.

(٣) كشف الظنون: ٢/١٤٠٨، ١٥٧٣.

(٤) ميزان الأصول، ص ٣، ٢ من النص المحقق.

(٥) تاريخ التراث، سزكين: مع ١، ٤/٤٢.

(٦) تاريخ الأدب: ٤/٤٢.

الاطلاع على الكتاب وقد طبع في إيران<sup>(١)</sup> ولم أطلع عليه!

## - مؤلفات أخرى في نسبتها للماتريدي مقال...!

أشار النسفي بأن للماتريدي كتباً أخرى غير ما ذكره حين قال: «إلى غير ذلك من الكتب»، إلا أنه قد نُسب إليه بعض ما ظهر أنه لا يصح نسبته إليه، أو ما يصعب تحقيق نسبته إليه، ومن أهم ما نُسب إلى الماتريدي.

### ١- كتاب (أصول الدين):

لم يذكره أبو المعين النسفي وذكره بروكلمان باسم (كتاب الأصول) وذكر أماكن وجوده<sup>(٢)</sup> وذكر في (هدية العارفين) باسم (الدرر في أصول الدين)<sup>(٣)</sup> إلا أن سزكين في (تاريخ التراث) قال: «لقد نسب بروكلمان إلى هذا المؤلف - أي: الماتريدي - خطأ كتاب الأصول»<sup>(٤)</sup>.

### ٢- كتاب (شرح الفقه الأكبر):

نُسب للماتريدي خطأ، ونص على ذلك بروكلمان<sup>(٥)</sup> ولا تصح نسبته؛ لأن فيه ذكر للأشعري ونُقِد لأقواله، والمذهب الأشعري لم يشتهر إلا بعد وفاة الإمام الأشعري وبعد وفاة الماتريدي، أو على حد قول المقرئ في (الخطط): «انتشر مذهب الأشعري في العراق من سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلى الشام»<sup>(٦)</sup>.

والصحيح نسبته لأبي الليث السمرقندي كما أشار العلامة الكوثري، وتبعه الشيخ محمد أبوزهرة، رحمهما الله تعالى<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر مقدمة كتاب التوحيد للدكتور بكر طويال، ص ٣٠.

(٢) بروكلمان: ٤٢/٣.

(٣) هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٤) هامش المجلد الأول: ج ٤/٤٢.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ٤/٤٣.

(٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)،

١٩٢/٤ دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٧) ينظر: مقدمة الكوثري لكتاب العالم والمتعلم، ص ٤. وينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٦٦ =

## ٣ - كتاب (شرح كتاب الإبانة للأشعري).

ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة) حيث يقول: «وله - أي الماتريدي - شرح لكتاب أبي الحسن الأشعري في علم الكلام المسمى (الإبانة عن أصول الديانة)»<sup>(١)</sup>.

لكن الاتصال بين الأشعري والماتريدي غير ثابت، فضلا عن أن يكون الماتريدي قد اطلع على كتب الأشعري أو يكون شارحا لها؛ لأن الماتريدي قد سبق الأشعري في نصرته السنة، والأشعري من طبقة تلامذته كما سيأتي، كما أن كتاب (الإبانة) لا يُعرف أن أحدا قام بشرحه<sup>(٢)</sup>.

## ٤ - كتاب (حُصَصُ الْأَتْقِيَاءَ):

نسبه الألويسي في تفسيره للماتريدي ونقل منه في مواضع<sup>(٣)</sup>، منها قوله:

«وذكر الشيخ أبو منصور الماتريدي في كتاب (حُصَصُ الْأَتْقِيَاءَ) الصواب أن قوله: تلك الغرائيق العلا من جملة إحياء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه»<sup>(٤)</sup>.

ولم يذكر ذلك غير الألويسي، ومن المستبعد أن يكون للماتريدي ما لا يعلمه إلا العلامة الألويسي رحمه الله!

## ٥ - كتاب أو رسالة (العقيدة):

ذكره كارل بروكلمان<sup>(٥)</sup> وفؤاد سزكين باسم (العقيدة)<sup>(٦)</sup>، وسماه في (كشف الظنون)

= وعبارته: «وقد نسب إليه بعض العلماء أنه وضع شرحا لكتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة رضي الله عنه، ولكن بالتحقيق العلمي ثبت أن ذلك الشرح لأبي الليث السمرقندي الفقيه الحنفي المعروف أ.هـ.

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د. مصطفى عبد الرازق، ص ٢٩٨، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠ م.

(٢) ينظر: سزكين مج ١، ج ٤/٣٨، ٣٩، وبروكلمان: ٤٠/٤.

(٣) ينظر مثلا: تفسير الألويسي: ١٣/١٠٠.

(٤) تفسير الألويسي: ١٧/١٧٧.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ١/٤٢.

(٦) تاريخ التراث العربي المجلد الأول: ج ٤/٤٢.

باسم (عقيدة أبي منصور) وعليه شرح لتاج الدين السبكي باسم (السيف المشهور في شرح عقيد أبي منصور)<sup>(١)</sup>، وصاحب (هدية العارفين) يسميه (العقيدة الماتريديّة)<sup>(٢)</sup>، وقد نقل عن هذا الكتاب عدد من العلماء، منهم القرطبي في تفسيره؛ إذ يقول: «قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لهُم رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾ قال أبو منصور في عقيدته: الرزق ما وقع الاغتذاء به»<sup>(٣)</sup>.

والكتاب لا تصح أيضًا نسبته للماتريدي لعين الأسباب المذكورة في نسبة كتاب (شرح الفقه الأكبر) إليه حيث ذكر الأشعرية ورد عليهم<sup>(٤)</sup>، كما أنه بالاطلاع على نُسخ الكتاب وُجد أنه في أحد المواطن يرجع قولاً لأبي منصور! كما أن التاج السبكي شارحه لا يرى صحة النسبة للإمام الماتريدي<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) كشف الظنون: ٢/١٠١٩، ثم ١١٥٧.

(٢) هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، ١٠/١٤٨، إعادة لطبعه دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٤) ينظر: إمام أهل السنة للمغربي ص ٢٨، ٢٩. وينظر: الماتريديّة دراسة وتقوية للحري، ص ١١٢.

(٥) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، للدكتور بكر طوبال، ص ٢٨، ٢٩.



## المطلب الثامن مكاته وأثره

نستطيع التعرف على مكانة هذا الإمام الكبير من خلال: ما أطلق عليه من ألقاب، وما خلفه من آثار علمية، وقد سبقا.

وكذلك من خلال: ثناء العلماء على علمه، مما يمثل جانباً نظرياً في تبين هذه المكانة. ومن خلال: النظر فيما خلفه من أثر فكري في الأجيال اللاحقة، مما يمثل جانباً واقعياً، ينطق بهذه المكانة:

أولاً: ثناء العلماء على الإمام الماتريدي:

- أبو المعين النسفي (ت: ٨٠٥هـ):

يقول متحدثاً عن أتباع أبي حنيفة السائرين على قوله في العقائد: «ولو لم يكن فيهم إلا الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله الذي غاص في بحور العلوم فاستخرج دررها، وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغازاة علومه وجودة قريحته غررها.. ومن رأى تصانيفه.. ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني واثارة الدلائل عن مكانتها واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام وحافظ من آداب المجادلة الموضوعية، لفسخ عقائد المغترين بأفهامهم، وقرن كل مسألة من البرهان من الموضوع لأفادة تلجج الصدر ببرد اليقين، ولعرف أنه المخصوص بكرامات ومواهب من الله تعالى، المؤيد بمواد التوفيق ولطائف الإرشاد والتسديد من الغني الحميد.

وإن ما اجتمع عنده وحده من أنواع العلوم المالية والحكمية لن يجتمع في العادات الجارية في كثير من المبرزين المحصلين؛ ولهذا كان أستاذه الشيخ أبو نصر العياضي رحمه الله تعالى لا يتكلم في مجالسه ما لم يحضر الشيخ أبو منصور رحمه الله، وكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب وقال: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ».

وكتابه المصنف في (تأويلات القرآن) كتاب لا يوازيه في فنه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وما أحسن ما قال بعض البلغاء في وصفه رحمه الله تعالى في كتاب فقال: كان من كبراء الأئمة وأوتاد الملة، وكتابه في تفسير القرآن فتق عن المشكل أحكامه وقشع عن المشتبه غمامه، وأبان بأبلغ الوصف وأتقن الرصف أحكامه وحلاله وحرامه، لقاءه الله تحيته وسلامه»<sup>(١)</sup>.

- العلامة المؤرخ طاش كبرى زادة (ت: ٨٦٩هـ):

يقول: «إن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلاً، أحدهما: حنفي، والآخر: شافعي، أما الحنفي: فهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام الهدى... وأما الآخر الشافعي: فهو شيخ السنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين أبو الحسن الأشعري البصري»<sup>(٢)</sup>.

- أبو البقاء الكفوي (ت: ٤٩٠١هـ):

يقول: «وأهل الحق هم: الذين يعترفون بالأحكام المطابقة للواقع، والأقوال الصادقة، والعقائد السليمة، والأديان الصحيحة، والمذاهب المتينة، والمشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة، أصحاب أبي الحسن الأشعري... وفي ديار ما وراء النهر والروم أصحاب أبي منصور الماتريدي»<sup>(٣)</sup>.

- العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت: ٥٠٢١هـ):

يقول: «كان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدين موطداً لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وخصمهم في محاورتهم حتى أسكتهم، تخرج بالإمام أبي نصر

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، ١/ ٤٦٧-٤٧٥، تحقيق حسين آتاي، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣.

(٢) مفتاح السعادة: ٢/ ١٣٣، فما بعدها باختصار.

(٣) الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ص ٢١٠، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٨م.

العياضي وكان يقال له إمام الهدى<sup>(١)</sup>. ثم نقل عن الأئمة ما يدل على مكانته؛ فقال: «إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية، قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وأكثر الاقطار في ديار ما وراء النهر يطلق بذلك على الماتريدية، أصحاب الإمام أبي منصور. أ.هـ»<sup>(٢)</sup>.

### العلامة محمد زاهد الكوثري (ت: ١٧٣١ هـ) أحد أنجب أتباعه المتأخرين:

يقول: «ولا يوجد من يوازن الأشعري بين المتكلمين بالنظر لما قام به من العمل العظيم، ومع ذلك لا تخلو آراؤه من بعض ما يؤخذ عليه كنوع ابتعاد عن العقل مرة، وعن النقل أخرى في حساب الناظر في كلامه في مسائل نظرية معدودة، كقوله في التحسين والتقيح، والتعليل، وما يفيد الدليل النقلي ونحو ذلك؛ لأن من طال جداله مع أصناف المعتزلة والحشوية مثله لا بد وأن يحصل في كلامه شيء من هذا القبيل. وإنما لم يقع مثل ذلك في معاصره إمام الهدى أبي منصور الماتريدي شيخ السنة بما وراء النهر لتغلب السنة هناك على أصناف المبتدعة تغلباً تاماً لا تظهر مشاغباتهم معه، فتمكن من الجري التام على الاعتدال التام في أنظاره فأعطى النقل حقه والعقل حكمه.. فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدلنا كله على مكانة الإمام الماتريدي العالية، وقدمه الراسخة في العلم، وذويع شهرته بين أهل العلم الذين اطمئنوا لعلمه وفهمه، والأقوال الدالة على ذلك كثيرة اقتصرنا على بعضها.

### ثانياً: مدرسته الفكرية:

انتسب لهذا الإمام الكبير مدرسة فكرية، تشعبت في فروع المعرفة؛ فقد كانت له

(١) التحاف السادة: ٥/٢.

(٢) التحاف السادة: ٧/٦، ٧.

(٣) تبين كذب المفتري، ص ٢٧، من مقدمة العلامة الكوثري رحمه الله.

مدرسة في الأصول لم يكتب لها الاستمرار<sup>(١)</sup>، وله مدرسة تفسيرية وأصولية سميكت اللثام عن معالمها، وله مدرسة عقدية هي أوضح آثاره وأبقاها، امتدت من عصره حتى يوم الناس هذا. يدينون بها دون من عقائد ويعرفون أصول الدين بناء على ما أصله هذه الإمام، فله فضل كبير على من جاء بعده حتى انتسب الناس إليه، وإن كان في حقيقة الأمر لم يبتدع رأياً ولم يخترع قولاً، وإنما هو مقرر لعقائد السلف، وإنما انتسب الناس إليه لانصراف همته لهذا العلم، حتى صار صنواً لأبي حنيفة في الانتساب إليه: فكل حنفي منتسب لأبي حنيفة في الفروع يقال هو ماتريدي في الأصول، وإن كانت أصوله هي أصول الإمام الأعظم نفسه، لكنه هذب آرائه وشرحها وقررها فنسبت إليه. وهو صنو للأشعري؛ فأهل السنة هم المنتسبون إليهما. والمنتسبون لأبي منصور يسمون: (الماتريدية)، وعامة من يعبد الله وفق مذهب أبي حنيفة في الفروع في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا غالبهم (ماتريدية) في العقائد أو الأصول. وفي هذا ما يشي بمكانة هذا الإمام، فرحمه الله ورضي عنه!

\*\*\*

(١) وقع اختيار الأحناف في أصول الفقه على آراء مدرسة بغداد وتركوا مدرسة سمرقند التي كان رئيسها الماتريدي، ينظر كتابنا الذي نعهده لكشف اللثام عن هذه المدرسة الأصولية والذي نسأل الله أن ييسر نشره قريباً بعنوان: (مدرسة سمرقند الحنفية وما انفردت به من الآراء الأصولية)، ضمن سلسلة (المدرسة الماتريدية).



## الفصل الثالث

### أسلاف الإمام الماتريدي، وجذور منهجه الفكري



«وليعلم أن كلا الإمامين أبي الحسن وأبي منصور رضي الله عنهما، وجزاهما عن الإسلام خيراً، لم يبتدعا من عندهما رأياً، ولم يشتقا مذهباً، وإنما هما مقرران لمذاهب السلف، مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فأحدهما: قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي، وما دلت عليه. والثاني: قام بنصرة مذهب أبي حنيفة، وما دلت عليه... فالانتساب إليهما إنما هو باعتبار أن كلا منهما عقد على طريق السلف نطاقاً، وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به في تلك المسائل والدلائل يسمى: أشعرياً، أو ماتريدياً»<sup>(١)</sup>.

(١) الإمام الزبيدي في: إتحاف السادة المتقين، ٦/٢، ٧.



## تمهيد

أستطيع أن أحدد أسلاف الإمام الماتريدي في مناهجه العلمية أو ذلك المعين الذي يستقي منه أصول منهجه وقواعده، أو طريقة فهمه للنصوص وتقريرها أصولاً وفروعاً، بمدرسة إسلامية أصيلة الجذور، يانعة الثمرات، تميزت بأصول للفهم وقواعد للاستنباط، إنها مدرسة (أهل الرأي) الممتدة الجذور، والتي ظهرت في أكبر وأوضح تجل لها في (مدرسة الأحناف).

والإمام الماتريدي هو واسطة عقد هذه المدرسة بما وراء النهر ووريثها الذي تجمعت لديه رؤى وقواعد تلك المدرسة في بابي الأصول والفروع والسلوك جميعاً، فقرر مسائلها وحرر قواعدها، وزاد من فهمه عليها بما من الله عليه وبما فتح له من مغاليق، دون خروج منه عما أصلوه أو نكران لما حرروه، فكُون مدرسة أصيلة بدياره امتدت آثارها بعد ذلك إلى أرجاء العالم الإسلامي، خدمت العلوم الإسلامية في كافة مناحيها وفروعها، وما زال لها أتباع وأشباع إلى يوم الناس هذا.

وهنا تقرير ما ذكرته أعلاه، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الإمام الأعظم: أسلافه، وورثة علمه.

المبحث الثاني: ظهور هذه الوراثة في تفسير الإمام الماتريدي.

المبحث الثالث: هل كان الإمام الماتريدي من الكلائية أو الأشعرية؟

\*\*\*

---

المبحث الأول  
الإمام الأعظم: أسلافه وورثته عليه

---

## المطلب الأول

### مدرسة الإمام الأعظم وأسلافه

مدرسة الأحناف فنن من أفنان دوحة أهل الرأي السامقة، استقامة نهج ونصاعة فكر وذوق نظر، فهي امتدادها في الفقه وأصوله، والاعتقاد ومسائله. فإنه «إذا كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تخرج على حماد بن أبي سليمان (ت: ١٢٠هـ)<sup>(١)</sup> مع الأخذ عن الآخرين، وحماد هذا تفقه على إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ)<sup>(٢)</sup> إلى جانب التلقي عن غيره أيضًا، وأكبر

(١) هو «حماد بن أبي سليمان مسلم الكوفي، العلامة، الإمام، فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي، مولى الأشعرين، أصله من أصبهان. روى عن: أنس بن مالك. وتفقه: بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه وأفقههم، وأقيسهم، وأبصرهم بالمناظرة والرأي. وحدث أيضًا عن: أبي وائل، وزيد بن وهب، وسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وجماعة. وليس هو بالكثير من الرواية؛ لأنه مات قبل أوان الرواية. وأكبر شيخ له: أنس بن مالك، فهو في عداد صغار التابعين. روى عنه: تلميذه؛ الإمام أبو حنيفة، وابنه؛ إسماعيل بن حماد، والحكم بن عتيبة - وهو أكبر منه - والأعمش، وزيد بن أبي أنيسة، ومغيرة، وهشام الدستوائي، ومحمد بن أبان الجعفي، وحمزة الزيات، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وأبو بكر النهشلي، وخلق. وكان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة ونجس» أ.هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قتيبة الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ٢٣١/٥، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

(٢) قال الذهبي (السير ٥٢٠/٤) هو: «إبراهيم النخعي أبو عمران بن يزيد بن قيس، الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، البياضي، ثم الكوفي، أحد الأعلام. وهو ابن مليكة؛ أخت الأسود بن يزيد. روى عن: خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وأبي زرعة الهجلي، وخيشمة بن عبد الرحمن، والربيع بن خثيم، وأبي الشعثاء المحاربي، وسالم ابن متجانب، وسويد بن غفلة، والقاضي شريح، وشريح بن أوطاة، وأبي معمر عبد الله بن سخرية، وعبيد بن نضيلة، وعمارة بن عمير، وأبي عبيدة بن عبد الله، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخاله؛ عبد الرحمن بن يزيد، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين. ولم نجد له سماعاً من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة» أ.هـ.



شيوخ إبراهيم الذين أكثر عنهم علقمة بن قيس النخعي (ت: ٦٢ هـ)<sup>(١)</sup> وارث علم عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ)، وأبطن الناس به وأشبههم بهديه فإن ذلك يعنى أن المعين الرئيس لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله هو فقه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومروياته، فمنه تبدأ جذور مذهبه وإليه تعود أصوله. ولا يخفى أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تلقى إلى جانب ذلك بهذا السند (حماد عن إبراهيم عن علقمة) وأسانيده أخرى علم آخرين من فقهاء الصحابة أيضاً، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

تلقى الإمام علم هؤلاء الصحابة الأجلاء عن طريق شيخه حماد عن إبراهيم كما جاء فيما رواه الصيمري والخطيب البغدادي بسنديهما عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله قال: «دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال: يا أبا حنيفة، عنم أخذت العلم؟ قلت: عن حماد عن إبراهيم عن أصحاب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس<sup>(٣)</sup>».

فهؤلاء هم أئمة أهل الرأي من الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) قال الذهبي (السير ٥٣/٤) هو: «علقمة بن قيس بن عبد الله أبو شبل النخعي، فقيه الكوفة، وعالمها، ومقرئها، الإمام، الحافظ، المجود، المجتهد الكبير، أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهيل.. عم الأسود بن يزيد، وأخيه عبد الرحمن، وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي. ولد: في أيام الرسالة المحمدية، وعاداه في المخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته. حدث عن: عمر، وعثمان، وعلي، وسليمان، وأبي الدرداء، وخالد بن الوليد، وحذيفة، وخباب، وعائشة، وسعد، وعمر، وأبي مسعود البصري، وأبي موسى، ومعقل بن سنان، وسلمة بن يزيد الجعفي، وشريح بن أرطاة، وقيس بن مروان، وطائفة سواهم. وجود القرآن على: ابن مسعود. تلا عليه: يحيى بن وثاب، وعبيد بن نضيلة، وأبو إسحاق السبيعي. وتفقه به أئمة: كبراهيم، والشعبي. وتصدى للإمامة والفتيا بعد علي، وابن مسعود. وكان يشبه بابن مسعود في هديه ودله وسمته. وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون<sup>(٤)</sup>».

(٢) المذهب الحنفي مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته، تأليف: أحمد بن محمد النقيب، ٨٧/١، مكتبة الرشد، الرياض، دون طبعة ولا تاريخ.

(٣) أخبار أبي حنيفة، الصيمري ص ٥٨، ٥٩، وينظر: المذهب الحنفي مراحل وطبقاته ٨٩/١، مصدر سابق.

تنتسب مدرسة الأحناف إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠ هـ)، حيث استقرت علوم أو مذاهب (أهل الرأي) عند أبي حنيفة، كما قرره ابن خلدون في قوله: «وأما أهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جلده وخصوصاً مالك والشافعي<sup>(١)</sup>».

والتعبير بالمذاهب جمعاً يشمل: الأصول والفروع، وهو ما أكده غير واحد من الأئمة، يقول أبو العسر البزدوي (ت: ٤٨٢ هـ)<sup>(٢)</sup> في (كنز الوصول إلى معرفة الأصول):

«العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرايع والأحكام، والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا وكان على ذلك سلفنا أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد وعامة أصحابهم رحمهم الله، وقد صنف أبو حنيفة رضي الله عنه في ذلك كتاب (الفقه الأكبر) وذكر فيه إثبات الصفات، وإثبات تقدير الخير والشر من الله، وأن ذلك كله بمشيئته، وأثبت الاستطاعة مع الفعل، وأن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى إياها كلها، ورد القول بالأصلح، وصنف كتاب (العالم والمتعلم) وكتاب (الرسالة) وقال فيه لا يكفر أحد بذنوب ولا يخرج به من الإيمان ويترحم له، وكان في علم الأصول إماماً صادقاً وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيه ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر<sup>(٣)</sup>، وصح هذا القول عن محمد رحمه الله. ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في (المبسوط) وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء، وأنهم قالوا بحقية رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الآخرة، وبحقية

(١) المقدمة، ص ٤٩٦، ط التوفيقية.

(٢) أبو العسر، وأبو اليسر: أخوان من فقهاء الحنفية! فأبو العسر البزدوي: هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي، ويكنى بأبي العسر، لأن تصانيفه دقيقة متعسرة الفهم على كثير من الناس، توفي سنة ٤٨٢ هـ. وأما أبو اليسر البزدوي: فهو محمد بن محمد بن عبد الكريم بن موسى بن صدر الإسلام البزدوي، يكنى بأبي اليسر ليسر تصانيفه، توفي سنة ٤٩٣ هـ. [ترجمة الأخوين على الترتيب في: الفوائد البهية، اللكوي، ص ١٢٤ ثم ص ١٨٨].

(٣) [قال شيخنا]: يعنى بالقرآن خصوص الصفة القدائمة به تعالى لا الألفاظ المكتوبة في اللوح المحفوظ وغيره المنطوقة بالألسنة.

عذاب القبر لمن شاء، وحقية خلق الجنة والنار اليوم، حتى قال أبو حنيفة لجهم: اخرج عني يا كافر، وقالوا بحقية سائر أحكام الآخرة على ما نطق به الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

ويعد الإمام الأعظم هو أول متكلمي الفقهاء كما يقول عبد القاهر، وإن لم يكن أول متكلم في الأمة! فالإمام وريث منهج السلف في الدفاع عن العقيدة والمنافحة عنها وعدم التحرج من المناظرة والجدال في القضايا المختلفة التي تتعلق بالعقيدة أو التي يتمسك بها المشبهون<sup>(٢)</sup>.

والدراسون لتاريخ علم الكلام والفرق مجمعون على أن الإمام الأعظم قد اشتغل بعلم الكلام شطرا من حياته قبل أن يتفرغ للفقهاء ومسائله في بيئة العراق، حيث مزدحم الفرق والأديان، وناظر سنين<sup>(٣)</sup>. يقول المكي: «قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام، فمضى دهر فيه أتردد، وبه أخاصم وعنه أناضل، وكان أصحاب الخصومات والجدل أكثرهم بالبصرة، فدخلت البصرة نيفا وعشرين مرة)»<sup>(٤)</sup>.

(١) كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي (ت ٤٨٢ هـ) مع كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (ت ٧٣٠ هـ)، ت: عبد الله محمود عمر، ١/ ١٥، فم بعدها باختصار، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م.

(٢) يقول عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق، ص ٣٦٧): «قد وثقت أئمة أصول الدين وعلما الكلام من أهل السنة، فأول متكلميهم من الصحابة على بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، ونظر القدرية في المشيئة والاستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنه حيث تبرأ من معبد الجهنى في نفيه القدر، وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة في الرد على القدرية، ثم الحسن البصري ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدرية معروف، ثم الشعبي وكان أشد الناس في القدرية، ثم الزهري وهو الذي أفتى عبد الملك بدماء القدرية. ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب في الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الغلاة من الروافض. وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة والشافعي فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر وله رسالة أملاها في نصرة قول أهل السنة أن الاستطاعة مع الفعل، ولكنه قال إنها تصلح للضدين وعلى هذا قوم من أصحابنا، وللشافعي كتابان في الكلام...» أ. هـ.

(٣) ينظر: أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين محمد عبد اللطيف، ص ٢١ فم بعدها، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام ١٩٩٩، وأبو حنيفة لأبي زهرة، ص ١٦٤.

(٤) مناقب أبي حنيفة، موفق المكي ص ٥٤ ط دار الكتاب العربي.

ويقول ابن النديم: «وله من الكتب كتاب (الفقه الأكبر)، وكتاب (رسالة إلى البستي)، وكتاب (العالم والمتعلم) رواه عنه مقاتل، وكتاب (الرد على القدرية)، والعلم برأ وبحراً، وشرقا وغربا، بعدا وقربا تدوينه رضي الله عنه»<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣ هـ) في مقدمة كتابه (أصول الدين): «وأبو حنيفة رحمة الله عليه تعلم هذا العلم وكان يناظر فيه مع المعتزلة ومع جميع أهل البدع، وكان يعلم أصحابه في الابتداء، وقد صنف فيها كتباً وقع بعضها إلينا، وعامتها محامها وغسلها أهل البدع والزيف، ومما وقع إلينا كتاب (العالم والمتعلم) وكتاب (الفقه الأكبر)، وقد نص في كتاب (العالم والمتعلم) أنه لا بأس بتعلم هذا العلم... ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا وقدوتنا في الأصول والفروع»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام كمال الدين البياضي الحنفي<sup>(٣)</sup> في أول (الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة) الذي قام فيه بجمع مسائل الاعتقاد المنسوبة إلى الإمام الأعظم وشرحها وفقا لتقارير الماتريدي والماتريدي: «فهذا ما سئلت جمعه وترتيبه وتهذيبه عن المكررات وتقريبه من الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، جمعتها من نصوص كتبه التي أملاها على أصحابه من (الفقه الأكبر) و(الرسالة) و(الفقه الأبسط) وكتاب (العالم) و(الوصية) برواية الأئمة حماد بن أبي حنيفة، وأبي يوسف الأنصاري، وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) الفهرست، ابن النديم ص ٢٥٦، تحقيق رضا تجمدد، ط. طهران.

(٢) أصول الدين، البزدوي، ص ١٥، ١٦ باختصار.

(٣) هو «العلامة كمال الدين أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضي الرومي الحنفي قاضي العسكر واحد صدور الدولة العثمانية من أجلاء علماء الروم» أ. هـ. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت: ١١١١ هـ)، ١: ١٨١، دار صادر - بيروت.

(٤) الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، ص ٧، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغل، المكتبة الأزهرية للتراث.

## المطلب الثاني

## الإمام الماتريدي وريثا لمنهج الإمام الأعظم

أولاً: في الفقه الأكبر:

إن أصحاب أبي حنيفة الذين تابعوا طريقته في الكلام مع الاشتغال بالفقه قد استفادوا من هذه الرسائل التي ألفها وفرعوا عليها، إلى أن جاء الإمام الماتريدي الذي روى عن الطبقة الثانية، أعني: نصير بن يحيى، ومحمد بن مقاتل الرازي، وحقق تلك الأصول في كتبه بقواطع الأدلة، وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية.

كما فعل ذلك صنوه الحنفي ومعاصره الإمام أبو الطحايي المصري، يقول الطحايي في أول عقيدته المشهورة: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

وعقيدة الإمامين الماتريدي السمرقندي، والطحايي المصري متفقة؛ لأن المنهج الذي اعتمدا عليه واحد، والمصدر الذي استقيا منه واحد، حتى إن أكثر شراح العقيدة الطحاوية يقررون مسائلها وفقاً لفرعه الماتريدي وقرره<sup>(٢)</sup>.

فليس الأحناف متابعين للماتريدي في العقائد بقدر ما يكون الماتريدي وأصحابه هم

(١) متن العقيدة الطحاوية، ص ٣.

(٢) وعقيدة الطحاوي تلقتها الأمة بالقبول، حتى قال فيها تاج الدين السبكي (معيد النعم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ص ٢٢، ٢٣، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٣م): «وهذه المذاهب الأربعة - والله الحمد - في العقائد يد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم. ولا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تفقها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول» أ.هـ.

الأخذون عن أبي حنيفة مع تفريع وزيادة بيان على ما أصله الإمام، وهو ما عبر عنه ابن حجر في الفتح حين نسب الماتريدي إلى الحنفية في مسألة كلامية فيقول: «وقالت الكلائية: الكلام صفة واحدة قديمة العين لازمة لذات الله كالحياة وإنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته وتكليمه لمن كلمه إنما هو خلق إدراك له يسمع به الكلام ونداؤه لموسى لم يزل لكنه أسمع ذلك النداء حين ناجاه ويحكي عن أبي منصور الماتريدي من الحنفية نحوه لكن قال: خلق صوتاً حين ناداه فأسمعه كلامه»<sup>(١)</sup>.

وهو ما لاحظته المقرئ أيضاً، حيث يقول: «هذا وبين الأشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدوا الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي، ومحمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم، من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه»<sup>(٢)</sup>.

فالماتريدي تلقى الأصول عن الإمام الأعظم بواسطة مشايخه ثم فرع عليها فنسب الأحناف إليه بعد ذلك، فعلماء العقائد يسمونهم: الأحناف، بملاحظة المنبع والمصدر، ويسمونهم: الماتريدية، بملاحظة التقرير والتفريع.

وقال العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري، حتى قالوا: إن قول أبي جعفر الطحاوي (له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق) إشارة إلى هذا وفسروه بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود»<sup>(٣)</sup>.

ويقول أبو اليسر البزدوى متحدثاً عن صفة التكوين وأن التكوين غير المكوّن والإيجاد غير الموجود: «وقد ذكر هذه المسألة الشيخ أبو منصور الماتريدي مع المعتزلة، وصحح هذا

(١) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ١٣/٤٥٥، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

(٢) المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشراوي، ٣/٤٢٦، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٨م.

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، ٤/١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.



المذهب الذي عليه أهل السنة والجماعة، أن الإيجاد غير الموجود، وأن الإيجاد ليس بحادث بل هو أزلي، وهو أقدم من الأشعري ومذهب أبي حنيفة وأصحابه هذا هو<sup>(١)</sup>.

والنفسى في تبصرة الأدلة يعرض قول من يقول إن الله مائة<sup>(٢)</sup> لا يعلمها إلا هو، فيقول: «إن هذه الرواية عن أبي حنيفة غير صحيحة لم يروها عنه أحد من أصحابه الناقلين لعلمه العارفين بحقائق مذاهبه ولا ذكر في كتاب من كتبه. والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى مع كونه من أعرف الناس بمذاهب أبي حنيفة لم ينسب هذا القول إليه، لا في كتاب (التوحيد) ولا في كتاب (المقالات) وإن كان اشتغل ببيان مراد من قال بهذه المقالة»<sup>(٣)</sup>.

فمذهب الإمام معلوم لأصحابه وهم حريصون على التزامه.

ويقول أبو المعين في معرض تأييده لصفة التكوين في (تبصرة الأدلة): «أما ما زعموا أن هذا قول حادث لا أصل له في السلف ولا قائل به من الأئمة فقول باطل صدر عن جهل بمذاهب السلف.. ثم إن أئمة أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى السالكين طريقته في الفروع والأصول الناكبين عن الاعتزال في جميع ديار ما وراء النهر وخراسان من مرو وبلخ وغيرهما في قديم الزمان كانوا على هذا المذهب، وأئمتنا بسمرقند الجامعون بين علم الأصول والفروع الذابون عن حريم الدين المناضلون عنه، الذين طهر الله تعالى - بسبب غزارة علومهم وتبحرهم في علم الكلام وصلابتهم في الدين وتشددهم على أهل البدع والضلال - هذه الديار عن أوضار أهل الزيغ والبدع عامة كانوا على هذا الرأي.. ولو لم يكن فيهم - أى المعتقدين هذا الرأي - إلا الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله الذى غاص في بحور العلوم فاستخرج دررها، وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه وجودة قريحته غررها.. لكان كافياً»<sup>(٤)</sup>.

(١) أصول الدين، أبو اليسر البزدوى، تحقيق: هانز بيتر لنس، ص ٧٧.

(٢) [قال شيخنا]: المقصود منها الماهية حيث يقال (مهو) قرن وقعت النسبة لـ (ما) الاستفهامية قيل (مائة)، وإن وقعت النسبة إلى (هو) المسؤول عنه قيل (ماهية).

(٣) تبصرة الأدلة ص ٢١٠ ومن نسب هذه المقالة لأبي حنيفة هو أبو القاسم الكعبي وسفيان بن سختان وهما من متكلمي الخنفية، ينظر: التبصرة، ص ٢٠٩ و ٢١٠.

(٤) تبصرة الأدلة، أبو المعين النفسى، تحقيق د. حسين اتاي، باختصار ١/ ٤٦٨، ٤٧٣.

وسار على هذا التقرير عدد من المعاصرين:

فالطاهر بن عاشور في تفسيره في سورة الشورى عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] يؤكد أن الإمام الماتريدي تابع في الأصول لأبي حنيفة وذلك عند عرضه لصفة الكلام إذ يقول: «وأما أبو منصور الماتريدي فنقل الفخر عنه كلاماً مزيحاً من كلام الأشعري وكلام المعتزلة، والبعض نقل عنه مثل قول السلف. وسبب اختلاف النقل عنه هو أن الماتريدي تابع في أصول الدين أبا حنيفة. وقد اضطرب أتباعه في فهم عبارته الواقعة في العقيدة المنسوبة إليه المسماة: الفقه الأكبر إن صح عزوها إليه؛ إذ كانت عبارة يلوح عليها التضارب ولعله مقصود. وتأويلها بما يوافق كلام الأشعري هو التحقيق»<sup>(١)</sup>.

ويقول النشار متحدثاً عن الإمام الأعظم: «أما عن أثره الكلامى فقد أثر أكبر التأثير في إمام الهدى أبي منصور الماتريدي المتوفى عام (٣٣٣هـ - ٩٤٤م) كما أثر في الإمام أبي جعفر الطحاوى صاحب عقيدة الطحاوى المشهورة»<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فإن مذهب الأحناف إذا كان قد استقر في أصول الفقه على آراء مدرسة العراق «المعتزلية عقيدة»، فإن مدرسة سمرقند هى التى استقرت عليها آراؤهم في أصول العقائد «السنية عقيدة»، يقول أبو بكر بن العربي: «وما رئي قط بخراسان، ولا بالعراق حنفي إلا معتزلياً أو كرامياً خلا ما وراء النهر ببلخ إلى منقطع المعمور سنية على أوفى طريق في الحق»<sup>(٣)</sup>. - شبهة وردتها:

فإن قيل: إن الإمام الماتريدي منتسب للإمام أبي حنيفة كانتساب من انتسب له من المعتزلة، مثل: بشر المريسي (ت: ٢٢٨هـ)، وتلميذه محمد بن شجاع البلخي (ت: ٢٦٦هـ)،

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ٢٥/ ٢٠٠، ٢٠١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١/ ٢٧٠، ط. دار السلام.

(٣) العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: عمار الطالبي، ص ٢١٢، ٢١٣، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، سنة ١٩٩٢م.

وابن أبي داود (ت: ٢٤٠هـ)، والجباثيان: أبو علي (ت: ٣٠٣هـ)، وأبو هاشم (ت: ٣٢١هـ) وغيرهم، فلم خصصنا الماتريدي بأبي حنيفة وجعلناه وحده وريثاً لمنهجه دون سواه<sup>(١)</sup>.

أقول: نعم إن مجرد ادعاء الانتساب للإمام أبي حنيفة لا يعد دليلاً على صحة هذا الانتساب، والذي جعل العلماء قديماً وحديثاً يقررون أن الإمام الماتريدي هو وريث منهج الإمام الأعظم، دون من يدعي هذه النسبة من المعتزلة: أمور، أستطيع تلخيصها في نقاط، منها:

### ١ - اشتغال الإمام الأعظم بعلم الكلام، فضلاً عما ألفه فيه من كتب:

فإنه إذا ثبت أن للإمام آراء في علم العقائد أو الفقه الأكبر - كما أسماه - فإن جعل آرائه هذه معياراً للانتساب يصبح سهلاً، يقول صاحب مفتاح السعادة:

«إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله نفسه قد تكلم في علم الكلام، مثل كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلم)، إذ صرح فيها بأكثر مباحث علم الكلام، وما قيل إنها ليسا له، بل لأبي حنيفة البخاري فمن اختراعات المعتزلة؛ زعماً منهم أن أبا حنيفة على مذهبهم. وقد ذكر العلامة حافظ الدين البزازي في كتابه (مناقب أبي حنيفة): «إني رأيت بخط العلامة مولانا شمس الدين الكروري البراتقيني العمادي هذين الكتابين وكتب فيهما أنها لأبي حنيفة، وقد تواطأ أيضاً على ذلك جماعة كثيرة من المشايخ مثل فخر الإسلام البزدوي ذكرهما في (أصوله)،

(١) ينظر في تردد هذه الشبهة: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص ٥٧٥ فما بعدها، دار الصميعي، ط ١، ١٩٩٦ م.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المؤلف الفاضل قد استقى آراء الإمام الأعظم من كتاب العقيدة الطحاوية - بفهمه هو أو بفهم ابن أبي العز الحنفي حصراً دون غيره من الأحناف! - ثم إنه يعتمد إلى ما يوافق هذا الفهم في الكتب التي تسب للإمام، وما يسمى (الأصول المسندة) من كتب العقائد - وهي كتب في الأحاديث والآثار روت القول والقولين عن أئمة السلف - فينقل منها ما يؤكد فهمه وفهم ابن أبي العز، فإذا وجد ما يخالف هذا الفهم لديه أو لدى ابن أبي العز الحنفي أو ما في كتب الآثار هذه، رده لتعارضه مع العقيدة الطحاوية، كما يقول!! وبناء عليه قرر أن الماتريدية الذين هم أتباع أبي حنيفة على الحقيقة ليسوا على عقيدة الإمام الأعظم! وهو منهج عجيب في البحث، شبيه بمن يدخل إلى البحث بمقرر فكري مسبق يريد إيجاد ما يوافقه!

ومثل عبد العزيز البخاري ذكرهما في (شرح أصول فخر الإسلام) ثم قال حافظ الدين البزازي: والحاصل أن الإمام بين العلماء مثل إبراهيم بين الأنبياء عليهم السلام؛ لأن كل ملة تدعي أن الخليل كان على ذلك الدين، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ كذلك ما كان الإمام معتزلياً ولا قدرياً، وإنما كان سنيا حنيفياً ومتبعوه كانوا حنفيين. هذا كلامه<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - الموازنة بين آراء الإمام في كتبه وما انتهى إليه الماتريدي:

الإمام الماتريدي هو من حقق الأصول التي أصلها الإمام أبو حنيفة وفرع عليها، وفي هذا يقول البيضاوي في (إشارات المرام) متحدثاً عن الماتريدي: «وحقق الأصول في كتبه بقواطع الأدلة، وأتقن التفاريع بلوامع البراهين البقينية»<sup>(٣)</sup>.

وقد عبر عن هذا العلامة محمد زاهد الكوثري فقال: «إلى أن جاء إمام أهل السنة فيما وراء النهر أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي المعروف بإمام الهدى، فتفرغ لتحقيق مسائلها وتدقيق دلائلها، فأرضى بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ولقد قرر الكثير من علماء الحنفية أن النتائج التي وصل إليها - أي الماتريدي - تتفق تمام الاتفاق مع ما قرره أبو حنيفة رضي الله عنه في العقائد»<sup>(٥)</sup>.

كما يقول: «وقد تبين من الموازنات العلمية بين هذه الآراء التي أُثِّرت عن الإمام أبي حنيفة شيخ فقهاء العراق والآراء التي قررها أبو منصور الماتريدي في كتبه أنها متلاقية في جملة أصولها، ولذلك قرر العلماء أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت منه آراء الماتريدي، وإذا كان علماء العراق ومن قاربهم قد عنوا بالتفريع على آراء أبي حنيفة الفقهية ولم يعنوا بدراسة آرائه في العقيدة، اكتفاء بما نشر بينهم من آراء الفقهاء والمحدثين أولاً ثم الأشاعرة آخراً، فإن علماء ما وراء النهر كانت لهم العناية بالتفريع الفقهي وعناية

(١) مفتاح السعادة ٢/ ١٤١.

(٢) إشارات المرام، ص ٢٣.

(٣) إشارات المرام، ص ٦، ٧.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٦٤.

خاصة بدراسة آراء أبي حنيفة في العقيدة والتعليق عليها وتوضيحها وتأييدها بالأدلة العقلية والأقيسة المنطقية<sup>(١)</sup>.

### ٣- أئمة المذهب لم يميلوا لشيء من الاعتزال:

إن حملة هذا المذهب وأئمة منذ أسسه الإمام وإلى يوم الناس هذا كانوا في الأغلب على مذهب أهل السنة، وأما من لحق منهم بالاعتزال فإنهم قد نعموا عليه، وكانوا أول الرادين عليه، يقول الإمام علي بن محمد البزدوي: «ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في (المبسوط) وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء»<sup>(٢)</sup>.

إن القول بانتساب المعتزلة إلى الإمام الأعظم يقوله من لا يفرق بين قول المعتزلة وقول من يرد عليهم، وأقل ما يقال فيه: إنه من الاغترار بكلام المدعين الذي حذر منه الإمام الأسفراييني، حيث يقول: «وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض<sup>(٣)</sup> مقلدا فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترا به، فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه، فإن أبا حنيفة بريئ منهم ومما نسبوه إليه، والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة»<sup>(٤)</sup>.

### ٤- اتصال علم الماتريدي بالإمام الأعظم:

إن اتصال سند الماتريدي بالإمام الأعظم هو من أكبر الأدلة على صحة هذا الانتساب<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق، ص ١٥٦ و ١٦٦.

(٢) الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن علي بن حجاج السغناقي (ت ٧١٤هـ)، تحقيق ودراسة: فخر الدين سيد محمد قانت، ١/ ١٥٠ فما بعدها، مكتبة الرشد الرياض، ط ١، ٢٠٠١م.

(٣) القدرية: هم المعتزلة، سمو بذلك لإنتكارهم القدر وقوهم إن الإنسان هو خالق أفعاله الاختيارية، أم الروافض فهم الذين رفضوا إمامة الشيخين وكفروهم، وهم الشيعة الإثنا عشرية، وسيأتي تفصيل بشأنها.

(٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني، ت: كمال الحوت، ص ١٨٥، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ. ومثله في إشارات المرام، ص ٢٣.

(٥) فمثلا كتاب (العالم والمتعلم) يرويه الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن محمد بن مقاتل الرازي عن أبي مقاتل عن أبي حنيفة، وقد نقل العلامة الكوثري أسانيد الكتب المروية عن أبي حنيفة عن النسخ الخطية الموجودة =

قال الزبيدي في الإتحاف: «فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحيى فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان بن موسى الجوزجاني، وهو على الإمامين أبي يوسف (ت ١٨٢هـ) ومحمد بن الحسن (١٨٩هـ)، وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحيى أيضًا على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي (١٩٩هـ) وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي (ت ٢٠٨هـ)، وأخذ محمد بن مقاتل أيضًا عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ)»<sup>(١)</sup>.

ويقول البيضاوي في (إشارات المرام): «وقد رواها - يعني رسائل أبي حنيفة الخمسة في علم الكلام: (الفقه الأكبر)، و(الأبسط)، و(الرسالة)، و(العالم والمتعلم)، و(الوصية) - الإمام أبو منصور الماتريدي عن الإمامين أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، وأبي نصر أحمد بن العياضي عن أبي سليمان موسى الجوزجاني عن الإمامين أبي يوسف ومحمد، وروى

= في دار الكتب المصرية وغيرها، وفيها مشايخ الماتريدي، قال في تقديم (إشارات المرام): «ومن الكتب المتوارثة عن أبي حنيفة، كتاب (الفقه الأكبر) رواية علي بن أحمد الفارسي، عن نصير بن يحيى، عن أبي مقاتل حفص بن سالم، وعن عصام بن يوسف، عن حماد بن أبي حنيفة، عن أبيه، وتمام السند في النسخة المحفوظة ضمن المجموعة الرقم (٢٢٦) بمكتبة شيخ الإسلام بمدينة المنورة ونصير بن يحيى أحد مشايخ الماتريدي. ومن هذه الكتب (الفقه الأبسط) رواية أبي زكريا يحيى بن مطرف بطريق نصير بن يحيى عن أبي مطيع، عن أبي حنيفة، وتمام السند في المجموعتين (٢٤ و ٢١٥ م) بدار الكتب المصرية. ومنها: (العالم والمتعلم) رواية أبي الفضل أحمد بن علي البيكندي الحافظ، عن حاتم بن عقيل، عن الفتح بن أبي علوان، ومحمد بن يزيد، عن الحسن بن صالح، عن أبي مقاتل حفص بن سالم السمرقندي، عن أبي حنيفة، ويرويه أبو منصور الماتريدي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني عن محمد بن مقاتل الرازي، عن أبي مقاتل، عنه، وتمام الأسانيد في مناقب الموفق والتأنيب (٧٣ و ٨٥). ومن تلك الرسائل (رسالة أبي حنيفة إلى البتي)، رواية نصير بن يحيى، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، وبهذا السند رواية (الوصية) أيضًا، وتمام الأسانيد في نسخ دار الكتب المصرية: أ.هـ.

ثم قال: «فبنور تلك الرسائل سعى أصحاب أبي حنيفة وأصحاب أصحابه في إبانة الحق في المعتقد... إلى أن جاء إمام السنة في ما وراء النهر، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي المعروف بـ (إمام الهدى) فتفرغ لتحقيق مسائلها، وتدقيق دلائلها، فأرضى بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد: أ.هـ. ثم ذكر مؤلفاته.

(١) إتحاف السادة: ٥/ ٢.



عن الإمامين نصير بن يحيى، ومحمد بن مقاتل الرازي عن أبي مطيع وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي عن إمام الإثمة، وحقق -يعنى الماتريدي- تلك الأصول في كتبه بقواطع الأدلة وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية، فليس الماتريدي من أتباع الإمام الأشعري، لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن، وما قيل: إن معظم خلافه من الخلافات اللفظية وهم، بل معنوي، لكنه في التفاريع التي لا يجري في خلافها تبديع، ولأن الماتريدي مفصل لمذهب الإمام وأصحابه المظهرين قبل الأشعري لمذهب أهل السنة، فلم يخل زمان من القائمين بنصرة الدين»<sup>(١)</sup>.

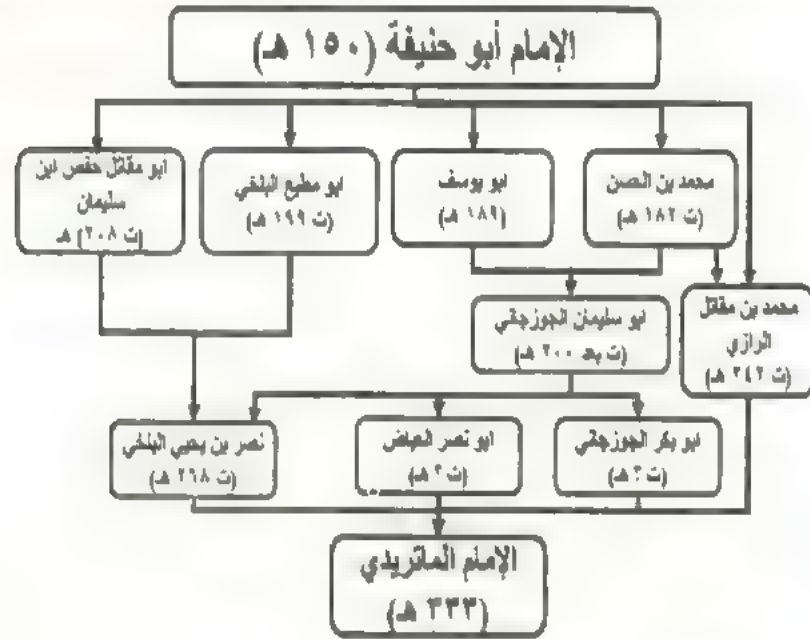
فدور الإمام الماتريدي كما رأينا هو أنه المفصل لمذهب الإمام أبي حنيفة، والمقرر له، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإن الماتريدي لا يتركنا نتحرى ونبحث في مقدار الصلة بين آرائه وآراء أبي حنيفة، بل إنه يصرح بروايته لكتب أبي حنيفة: (الفقه الأيسر) و(رسالته إلى البتي) و(العالم والمتعلم) و(وصيته ليوسف بن خالد) فيذكر أنه روى هذه الكتب عن شيخه أبي نصر أحمد بن أحمد بن العباس وأحمد بن إسحاق الجوزجاني، ونصر بن يحيى البلخي وهؤلاء رووا عن أبي سليمان موسى الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني، وهذا روى عن شيخه محمد رضي الله عنه. ويقول صاحب (إشارات المرام) في ختام هذا الإسناد: وحقق الماتريدي تلك الأصول في كتبه بقواطع الأدلة وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية»<sup>(٢)</sup>.

أخيراً: فإنه إذا كان للإمام آراء منقولة في الكلام والعقائد، وإذا كانت كتب الإمام وآراءه موافقة لما ذهب إليه الماتريدي، وإذا كان الإمام الماتريدي يروى هذه الكتب ويرجع إليها، وإذا كان حملة المذهب في الأغلب لم يميلوا لشيء من الاعتزال، فهل يصح بعد ذلك الارتكان لهذه الشبهة؟!.

وهذه خارطة توضح اتصال أسانيد الإمام الماتريدي عن طريق مشايخه بالإمام الأعظم رضي الله عنهم أجمعين.

(١) إشارات المرام، ص ٢٣. باختصار.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٥٦ و ١٦٦.



- منبع هذه الشبهة:

إنني لا أرى في ركون البعض إلى هذه الشبهة التي قادت إلى حملة على الإمام الماتريدي؛ إرادة سلبه من أسلافه الأحناف الذين أجمعت الأمة على فضلهم وعلمهم إلا جزء من الحملة القديمة على أهل الرأي يرددها البعض وينخرط فيها دون سند أو تحقيق.

فأهل الحديث كانوا «يرون العلم كل العلم رواية الحديث سنداً ومتناً لا بحثاً وفقهاً، ويرون إعمال الرأي في فهم الأثر خروجاً عليه، فإذا بلغهم عن فقيه أنه تكلم في مسألة باحثاً مجتهداً أو عن متكلم في صفة من صفات الله تعالى قولاً، أو عن مُدَّكِّر تحدث عن حال النفس كاشفاً منقبا، أو عن مُحدِّث روى شعراً، ثارت لذلك حفيظتهم، ونقموا عليه ما صنع»<sup>(١)</sup>.

وقد فهم الشافعي هذه الطبيعة فيهم فقد جاء عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: «قرأ عليّ الشافعي أشعار هذيل حفظاً، ثم قال لي: لا تُعلم بهذا أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا»<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للعلامة أبو الحسنات اللكنوي، العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو

غدة رحمه الله، ص ٨٧، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، =

كما فهم ذلك فيهم الإمام الشعبي الذي قال: «والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة، وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة وتركوا التسعة والتسعين»<sup>(١)</sup>.

لذلك فإنهم تكلموا في بعض الأفاضل كالحارث المحاسبي الذي قال بشأنه الإمام الذهبي: «المحاسبي العارف صاحب التأليف، صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه»<sup>(٢)</sup> ولعل هذه النقمة التي تحدث عنها الذهبي هي ما فعله الإمام أحمد فقد جاء في تاريخ بغداد أن «أبا القاسم النصر آبادي يقول: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاخترني في دار ببغداد، ومات فيها ولم يصل عليه إلا أربعة نفر ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين»<sup>(٣)</sup>، وهذه حكاية منقطعة كما قال الذهبي<sup>(٤)</sup> إلا أن واقع الحال يؤيدها، يقول ابن حجر: «وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبي فقال لبعض أصحابه: ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل، ولا أرى لك صحبتهم»<sup>(٥)</sup>.

وكنا قد ذكرنا أن من شيوخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي الذي ضَعُف؛ لأنه من أهل الرأي مع علمه وفضله وجلالته<sup>(٦)</sup>.

= ت: مح الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري: ٢٩٨/٥١، دار الفكر، بيروت، دون رقم طبعة، ١٩٩٥ م.  
(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ٣٢١/٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ. وكذا في: تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي: ٨٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، دون تاريخ.

(٢) ميزان الاعتدال: ١/١٩٩.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢١٥/٨، ط دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٤) ميزان الاعتدال، ١/٤٣٠ تحقيق على البجاوي، دار المعرفة بيروت.

(٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١١/٨ ط دائرة المعارف النظامية.

قال ابن حجر معلقاً بعد كلامه مباشرة: «قلت: إنما نهى عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فإنه في مقام ضيق لا يسلكه كل واحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه» أ.هـ. ولا أراه!

(٦) ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٥١٨/٧.

ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإمام الكوثري وغيره لا يعتد بالجرح القائم على اختلاف المعتقد أو المذهب: ينظر: المقدمة التي صدر بها الدكتور محمد سالم أبو عاصي كتاب العلامة الكوثري: (فقه أهل العراق وحديثهم)، ص ٩، ط. دار البصائر.

## ثانياً: في الفقه والأصول:

إن ما ذكرناه من كون مدرسة الرأي هي المعين الأول الذي يرجع إليه عقْد الإمام الماتريدي قد تمثل في هذه المدرسة أوضح ما يكون عند الإمام الأعظم نقره كذلك بالقدر نفسه في مجال الفقه والأصول. فإذا كان الإمام الماتريدي قد ارتضى أن يستقى عقيدته وأصول دينه من منهج الرأي الذي تمثل في المدرسة الحنفية؛ فإنه كذلك قد ارتضى أن يكون في أصول فقهه وأسس استنباطه حنفياً. فأسلافه هم الأحناف عقيدة وفقها، أصولاً وفروعاً.

وقد أورد الصيمري باباً بعنوان «ما روي عن أبي حنيفة في الأصول التي بنى عليها مذهبه»<sup>(١)</sup> ذكر فيه أصول أبي حنيفة في الفقه والتي هي بعينها أصول الماتريدي كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

إن كون الإمام الماتريدي تابع لأبي حنيفة في الفروع أو في الفقه وأصوله مما لا ينازع فيه أحد، لذا فلن نطيل فيه.

## وأخيراً:

فلعل في صنيع الإمام الماتريدي في تفسيره من ذكره لمن يسميهم (أصحابنا) لدى عرضه لمسائل الاعتقاد وذكره لأرائهم بل واختلافه معهم أحياناً<sup>(٢)</sup> ما يؤكد ما أقوله هنا من أن هذه الفرقة لم تبدأ بالإمام الماتريدي، بل الإمام الماتريدي ما هو إلا محقق ومفرع لما قرره أبو حنيفة كغيره من تلاميذ الإمام وأصحابه إلا أنه كان - فيما يبدو - أحدهم ذهنًا وأقواهم قريحة؛ لذا بقيت أعماله ونسبوا إليه.

\*\*\*

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، القاضي أبو عبد الله حسين بن علي الصيمري، ص ٢٤ فيما بعدها، ط عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

(٢) ينظر: المائدة (٤٨-٤٥). والصفات (٩٦-٢٣٧). والجاثية (٢١-٤٧٥).



---

المبحث الثاني  
ظهور هذه الوراثة في تفسيره

---





## تمهيد

عما يدل على كون مدرسة النعمان هي معين أبي منصور: تلك العناية الفائقة التي يوليها للنقل عنهم في مسائل العقائد والفقه على السواء، وسأذكر هنا جملة مما أورده الإمام الماتريدي في تفسيره عن الإمام أبي حنيفة ومدرسته؛ ليكون كالدليل على ما قلناه، أو تطبيقاً لما نَظَرْنَاهُ.

\*\*\*

## المطلب الأول في العقيدة

غالبًا ما يكون نقل الإمام الماتريدي في حكاية قوله الذي تلقاه عن شيوخه دون عزو لمصدر معين، ونادرًا ما يذكر مصدرا معينًا ينقل منه، كما في نقله عن كتاب (العالم والمتعلم).

أ- فأما النقل عن كتاب (العالم والمتعلم)، فقد جاء في موطن واحد من تفسيره كله وذلك في سورة المزمل، حيث يقول: «فإن قال قائل: إن أبا حنيفة رحمه الله ذكر في كتاب (العالم والمتعلم): أن إيمان الملائكة وإيمان الرسل وإيماننا واحد، ثم قال: فإذا استوتينا نحن والرسل في الإيمان، فكيف صار الثواب لهم أكمل، وخوفهم من الله أشد؟ فأجاب عن هذا السؤال بأجوبة، وقال في جملة ما أجاب: إنهم لو ارتكبوا الزلات يحل بهم العقاب عقيب الزل؛ فصار خوفهم بالله تعالى ألزم من هذه الجهة»<sup>(١)</sup>.

ب- وأما حكاية قول الإمام دون عزو إلى كتاب معين من كتبه، فهو الغالب، ومن ذلك:

### ١- حكاية قول أبي حنيفة في زيادة الإيمان:

وذلك في سورة الفتح حيث يقول: «ثم قوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الآية: ٤]، يخرج على وجوه: أحدها- ما قال أبو حنيفة رحمه الله ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا﴾ بالتفسير على إيمانهم بالجملة»<sup>(٢)</sup>.

### ٢- حكاية رأي أبي حنيفة في أولاد المسلمين والمشركون:

وذلك في سورة مريم حيث يقول مستدلًا لرأيه ومؤيدًا. «وفي قوله: ﴿وَأَنبَتْنَا الْخَلْكَ صَبِيحًا﴾ [الآية: ٢١]، استدلال لأبي حنيفة رحمه الله حين وقف في أولاد المسلمين والمشركون،

(١) المزمل: ١٠-٥-٢٩٦.

(٢) الفتح: ٤-٤-٥١٩.

فقال: لا علم لي بهم، ولم يقطع فيهم القول لما يجوز أن يجعل الله لهم من المعرفة والتميز والفهم في حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومنشأهم، على ما أعطى يحيى وعيسى في حال صباهما الحكم والفهم والمعرفة»<sup>(١)</sup>.

### ٣- حكاية الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه في: هل للجن ثواب كالإنس أو لا؟

فالإمام يرى أنه لا ثواب، وعليهم العقاب إذا عصوا، أما أبو يوسف ومحمد فيرون أن لهم ثوابًا كالإنس تمامًا، ولا يظهر للماتريدي ميل لرأي معين من هذه الآراء والذي يبدو أنه يتوقف كأبي حنيفة، ففي سورة الفرقان يذكر ما قد يكون حجة لأبي حنيفة ثم يتوقف فيقول: «ثم قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ جائز أن يراد به الإنس والجن. ثم ذكر النذارة فيه، ولم يذكر البشارة، فإن كان على هذا فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله أن ليس للجن ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب، ولهم عقاب بالإجرام، لأن الله تعالى، لم يذكر لهم الثواب في الكتاب، وذكر لهم العقاب بالعصيان حين قال: ﴿يَقُومَنَّ أَجْيُودًا يَدْعَى إِلَهُهُ وَإِيمَانُهُ يَفُوزَ لَكُمْ﴾ [الأحقاف: ١٣]، جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب أليم»<sup>(٢)</sup>.

وفي سورة الرحمن، عند قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الآية: ٦٠]، فيقول: «واستدل أبو يوسف ومحمد - رحمهما الله تعالى - بهذه الآية على أن للجن ثوابًا كما للإنس؛ فإنه جرى الخطاب من أول السورة إلى آخرها للجن والإنس كقوله تعالى: للجن ﴿يَتَمَشَّحُونَ بِالْإِنْسِ﴾ [الآية: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَطْمَئِنُّنَ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الآية: ٦٥]، فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد. لكن أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - يقول: لا ثواب للجن في ذلك»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) مريم (١٥-٣/٢٦١).

وينظر: فصلت: ٢٢-٤/٣٧٢، ٣٧٣. حيث ذكر هناك سبب توقف الإمام في هذه المسألة.

(٢) الفرقان (١-٣/٤٨٩).

(٣) الرحمن (٦٠-٥/١٩).

## المطلب الثاني في الفقه

أما اهتمام الماتريدي بنقل مسائل الفقه الحنفي ونصرتها في تفسيره فغالبا ما يكون انتصارا لما عُرف من آرائهم دون عزو أو نقل من كتاب، ونادرا ما يعزو نقله إلى كتاب من كتب أئمة المذهب.

أ- فأما النقل عن كتاب من كتب المذهب، فقد جاء في موطن واحد من تفسيره كله حيث نقل عن كتاب (الزيادات) للإمام محمد بن الحسن الشيباني، وذلك في سورة المائدة حيث يقول:

«وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ جَوْلَاجَ﴾... قيل: سميت: جوارح؛ لما يكتسب بها، والجوارح: هن الكواسب؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قيل: اكتسبوا، وجرح: كسب. وقال أبو عبيد: سميت: جوارح؛ لأنها صوائد، وهو ما ذكرنا من الكسب، يقال: فلان جارج أهله، أي: كاسبهم. وقال غيره: سميت: جوارح؛ لأنها تجرح، وهو من الجراحة، فإذا لم يجرح، لم يحل صيده. واحتج محمد رحمه الله بهذا المعنى في صيد الكلب إذا قُتل، ولم يجرح، في مسألة من كتاب الزيارات<sup>(١)</sup>.

ب- أما الانتصار لاجتهادات أئمة المذهب الحنفي ونقل آرائهم في تفسيره وتضعيف آراء غيرهم فقد كان من أبرز الآثار المترتبة على كون الإمام الماتريدي في أصول الفقه والاستنباط وفهم النصوص حنفيا أن كانت اختياراته الفقهية في مسائل الفروع المبنية على تلك الأصول متوافقة تمام الموافقة مع أصوله ومذهبه، بحيث لا ينقض فرع منها أصل، ويتسق فيها الأصل مع الفرع تمام الاتساق، فكان أن رأينا الإمام الماتريدي لا يكاد يخرج عن مذهب الأحناف في تفسيره قيد أنملة، بل لقد قام بتوظيف تفسيره لخدمة هذا المذهب

(١) المائة: ٤-٣/٤٥٧. ط العلمية.

والانتصار لأدلته؛ فلم يترك آية فيها ما قد يُستدل بها لمذهب الحنفي، أو ترد على خصوم مذهب، أو يمكن أن يستنبط منها ما يوافق مذهب إلا قام بذلك لدرجة الاستطراد الطويل الذي يجعله في أحيان يدخل في نقاش فقهي مع خصوم مذهب مستعرضا أدلتهم من أحاديث وآثار ثم يكر عليها نقدا ونقضا، أو يناقش قضايا لا يوجد في الآية محل التفسير ما يدل عليها، بل يذكرها من باب تنمة الكلام؛ فصار تفسيره مشحونا بالآراء الفقهية، بحيث لو أردنا أن نُجَرِّد من تفسيره كتابا في (تفسير آيات الأحكام) لفعلنا!

وسوف أعرض هنا ما يسمح به مقام البحث<sup>(١)</sup>، وذلك من خلال عرض أهم المحاور والملاح التي ميزت إيراد المسائل الفقهية في تفسير الماتريدي، والتي لا تخرج عن أربعة محاور رئيسة، تترجم هذا الأثر في تفسير الإمام الماتريدي، وهي كالآتي:

### المحور الأول: الاستدلال الفقهي.

١- يهتم الإمام الماتريدي في تفسيره بالاستدلال لصحة مذهب الحنفي، والانتصار له، والغالب عليه أنه يستنبط من الآيات ما يدل على صحة مذهب، ومنه ما جاء في سورة النجم، حيث يقول:

«وقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾. يحتمل قوله: ﴿أَغْنَىٰ﴾، أي: وسع عليهم ﴿وَأَقْنَىٰ﴾، أي: صيرهم ممن يقتنون الخدم وغيرها؛ فيكون الإغناء هو التوسيع بأنواع الأموال، والإقناء هو إعطاء القنية من الخادم وما يحتاج إليه للمهنة؛ فيكون في جعل الخدم له فضل حاجة، لا غنى، وذلك دليل على صحة مذهبنا في استجازتهم دفع الزكاة إلى من له الخدم<sup>(٢)</sup>.

٢- وفي أحيان يستدل لأئمة المذهب بأسمائهم.

أ. فمن استدلاله لأبي حنيفة ما جاء في سورة القصص، حيث يقول:

(١) وإن كان الأمر يحتاج لدراسة مستقلة تبحث (الإمام الماتريدي فقيها) للكشف عن مكانة هذا الإمام في علم الفقه، وتقارن بين آرائه وآراء غيره، وتسليط الضوء على إسهاماته في المذهب الحنفي.

(٢) النجم: ٤٨-٤٩/٦١٤. وينظر: الطلاق: ٦-٥/١٦٦.



«وقوله تعالى ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ الآية. وفيه دلالة جواز الاستدلال لقول أبي حنيفة حين قال: من قتل آخر بحجر عظيم أو بخشبة عظيمة مما لا ينجو من مثله فإنه لا يقتل به، ولا يجب القصاص فيه؛ لأن موسى لما وكز ذلك القبطي فمات، وكان له قوة أربعين رجلا - لم ير القصاص به واجبا حيث قل له ذلك الرجل: ﴿إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ﴾ <sup>(١)</sup> فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين، ولو كان القصاص واجبا كان أولئك لم يكونوا ظلمة في قتله، بل يكون هو الظالم فيه. ولا يحتمل أن يكون القصاص واجبا - أيضا - وموسى يفر من ذلك ويهرب وفي ذلك إبطال حقهم دل أنه لم يجب. ولا شك أن وكزة من له قوة أربعين رجلا إلى الهلاك أسرع وأقرب وأعمل من الضرب بالحجر العظيم أو الخشبة العظيمة، فإذا لم يجب في هذا لم يجب في ذاك، والله أعلم» <sup>(٢)</sup>.

ب. ومن استدلاله لمحمد بن الحسن، ما جاء في سورة التوبة، حيث قال:

«وفي قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ دلالة أن الصدقة إذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن أربابها، وإن لم تقع في أيدي الفقراء ولم تصل إليهم؛ لأن النبي ﷺ كان لا يحل له الصدقة، ثم أخبر أنه إذا أخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية. وفيه استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف؛ أن الوقف إذا وقف وأخرجه من يده وجعله في يد آخر ممن لا حق له في ذلك كان جائزا، وكان وقفا صحيحا» <sup>(٣)</sup>.

ج- وفي أحيان يجمع بين محمد وأبي حنيفة إذا اتفقا، فيحتج لهما، ومنه ما جاء في سورة النور، حيث يقول:

«وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾. جائز أن يكون ﴿تَوَّابٌ﴾: يقبل التوبة إذا تاب وأكذب نفسه؛ فيرفع اللعن عنها بالتوبة؛ فإذا رفع اللعن جاز لها الانتفاع والاجتماع بينهما؛

(١) (٢) القصص: ١٦-٣/٥٨٩.

وينظر: الإمراء: ٢٣-٣/١٤٨. والامراء: ٣٣-٣/١٥٤، وفي ط العنمية: ٤١/٧. وطه: ٤٠-

٣/٢٩٢. والمؤمنون: ١٩-٣/٣٩٨. والأحقاف: ١٥-٤/٤٨٩. الرحمن: ٦٨-٥/١٩، ٢٠. والمتحنة:

١١-٥/١١٣، ١١٤.

(٢) (٣) التوبة: ١٠٣-٢/٤٤٥. وينظر: يونس: ٨٩-٢/٤٩٨.

ففيه حجة لقول أبي حنيفة ومحمد - رحمهما الله - في جواز نكاحها إذا أكذب نفسه» <sup>(١)</sup>.

١. ومن استدلاله لأقوال أبي يوسف، ومحمد معا، ما جاء في سورة يوسف، حيث يقول:

«وفي قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ فِيمَنَّا فَدِّمْنَا مِنْ قَبْلِ﴾ فهو كذا ﴿وَلِنْ كَانَ فِيمِنَّا فُتِّنًا مِنْ دُبُرٍ﴾ فهو من كذا - دلائل يستدل بها لمسائل لأصحابنا؛ من ذلك قولهم في حانوت فيه لؤلؤ وإهاب تنازع فيه دباع ولؤلئي، فإنه يقضي باليد لكل واحد منهما في ذلك اللؤلؤي باللؤلؤ وللدباع بالإهاب باليد؛ يستدل بغالب الأمر وظاهر اليد؛ على ما قضى عليها بالمرادة بتمزق القميص من دبر، وأمثال هذا مسائل يكثر عددها يقضى فيها بالدلالة الغالبة، وإن كان يجوز في الحقيقة على خلاف الظاهر... وفي الآية دلائل لقول أصحابنا في المتاع يختلف فيه الزوجان: فإن كان من متاع الرجال فهو في يد الرجل، وإن كان من متاع النساء فهو في يد المرأة في قول أبي يوسف ومحمد» <sup>(٢)</sup>.

٣- وفي بعض الأحيان يستدل لمن يسميهم «أصحابنا»، ومنه ما جاء عند قوله تعالى:

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾، حيث قال:

«اختلف فيه: قال بعضهم: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾، أي: على الإثم العظيم، وهو الشرك. وقيل: الحنث العظيم: الحنث هو الكبائر، والعظيم هو الإصرار والإدانة عليها... ويحتمل أن يكون قسمهم ما ذكر: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ <sup>(١)</sup> [الأنعام: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونَ أَهْدَى مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، وقد جاءهم النذير، فلم يكونوا أهدى، وجاءتهم الآيات، فلم يؤمنوا بها، فحثوا فيها. فإن كان قسمهم بأنهم لا يبعثون حثوا حين فراغهم من اليمين؛ لأنهم أيسوا عن ذلك. وفيه دلالة لصحة مذهب أصحابنا: أن من حلف: يلمس الساء، أنه يحنث عند فراغه من اليمين؛ لأنه آيس من ذلك» <sup>(٢)</sup>.

(١) (١) النور: ١٠-٣/٤٤١.

(٢) (٢) يوسف: ٢٨-٢/٥٧٦، ٥٧٧. باختصار.

(٣) الواقعة: ٤٦-٥/٢٨. باختصار.

وينظر: المائة: ٢-٢/٨. والمائدة: ٥-٢/١٦. والمائدة: ٩٦-٢/٨١، ٨٢. والأنفال: ٧٥-٢/٣٧٧. والحج:

٣٦-٣/٣٧٢. والشعراء: ١٦٦-٣/٥٣٨. والصفاء: ١٠-٤/٢٢٠.

## المحور الثاني: النقاش الفقهي:

لا يكتفي الإمام الماتريدي بالاستدلال لمذهب أصحابه الأحناف في تفسيره للآيات بل قد يقوم بعرض أقوال خصوم هذا المذهب، وربما عرض أدلتهم ورد عليها، وهو حين يعرض الآراء أو يرد على أصحابها، فإنه يعرضها عرض العارف بمواطن الاتفاق<sup>(١)</sup> ومواطن الخلاف، والأمثلة كثيرة أكتفي منها بما جاء في سورة الفتح عند قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمَّا تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ﴾، حيث يقول:

«أي: تقتلوهم وتهلكوهم ﴿فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: لولا ما فيها - أعني: في مكة - من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات، لأتم لكم الظفر بهم، ودخلتم عليهم، لكن منعكم عن دخولكم مكة؛ لما ذكر... ثم المخالف لنا تعلق بهذه الآية في مسألتين: إحداهما: فيمن أسلم ولم يهاجر إلينا: أنه تجب الدية في قتله؛ لقوله - تعالى -: ﴿فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهي غرم الدية.

والثانية: هل يباح الرمي على حصون المشركين إذا كان فيها أسارى المسلمين وأطفال المسلمين، وإحراق الحصون أو الرمي على الكفار الذين تترسوا بأطفال المسلمين؟

قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري: لا بأس برمي حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم، ولا بأس بأن يحرقوا الحصن ويقصدوا به المشركين دون المسلمين، وكذلك إحراق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.

وقال مالك: لا يحرق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.

وقال الأوزاعي: إذا تترس الكفار بأطفال المسلمين، لم يرموا، ولا يحرق الحصن، ولكن لا بأس بأن يرمى الحصن بالمنجنيق، ونحو ذلك.

وقال الشافعي: لا بأس بأن يرمى الحصن وفيه أسارى وأطفال المسلمين، ولو تترسوا بهم فله قولان.

(١) ينظر قوله (النحل: ٦٧-٩٧/٣، ٩٨) مثلاً: «وليس بين فقهاء الأمصار في تحريم السكر وفضيخ البسر ونقيع الزبيب إذا أسكر كثيرها ولم يطبخ؛ اختلاف أنها حرام.

واحجج هؤلاء بأن من عادتهم أنهم كانوا يعبدون ما يهون ومالت إليهم أنفسهم من الأصنام والأوثان وغيرها، وينصرون من عبدوها، ويدفعون عنهم فيذبون عنها، فجائز أن يكون الذي حملهم على ذلك هو نصرهم أولئك الأصنام وعبادها، والذب عنهم حمية الجاهلية، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وهو في مواطن غير قليلة من تفسيره يرد على الشافعي<sup>(٢)</sup> ومن يسميهم أصحاب الظواهر<sup>(٣)</sup> أو بعض التابعين من غير أصحاب المذاهب كرده على الحسن والأصم<sup>(٤)</sup> وفي مواطن كثيرة يرد على غير معين<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) الفتح: ٢٥-٤/٥٢٩، ٥٣٠ وينظر ط العلمية: ٣٠٩/٩ فما بعدها.

(٢) ينظر مثلاً: الحج: ٣٤-٣/٣٧١. حيث اتهم الشافعي بأنه «لم يفهم ما فهم الناس والأمم» أ.هـ.

وكذا في الأحزاب: ٣١-٤/١١٤. ويقر أن ظاهر الآية حجة للشافعي ويرد عليه في الطلاق: ٢-٥/١٥٨، ١٥٩.

وينظر في الانتصار للمذهب الحنفي في رد شهادة القاذف خلافاً للشافعي وبقية المذاهب مع طول نفس في التقرير ورد رأيهم في النور: ٤، ٥-٣/٤٣٣ إلى ٤٤٦.

وقد يلزم الشافعي بمخالفة أصوله، كما في المجادلة: ٣-٥/٦٩.

(٣) ينظر مثلاً: المائدة: ٩٩-٢/٨١.

(٤) في الرد على الحسن وحده في الفقه ينظر: الأنعام: ١١٩-٢/١٦٨. وفي الرد عليها ينظر: المائدة: ٤-٢/١٣.

(٥) ينظر مثلاً: والإسراء: ٧٨-٣/١٨٥. والنور: ٣-٣/٤٣٠. والشورى: ٤٠-٤/٤١٣. الطور: ٢١-٤/٥٩٥.

والجمعة: ٩-٥/١٣٠، ١٣١. وينظر في رده على القراء في نهيهم عن النظر إلى السماء في الحجر: ١٦-٣/٤٣.



### المبحث الثالث

هل كان الإمام الماتريدي من الكلائية أو الأشعرية؟





### تمهيد

هذا المبحث يعد تأكيداً لأصالة المنهج الماتريدي، وتتممة لما سبق، كما يعد من جهة أخرى: ردّاً على سؤال قد يثار مفاده: إذا كان الإمام الماتريدي هو وريث منهج الإمام الأعظم الذي ورث علم أهل الرأي فنصّر عقائد أهل السنة، فما العلاقة بين الماتريدي والأشعري، وما العلاقة بينه وبين «الصفاتية الأوائل» وكلهم ممن نصر عقائد السلف بالعقل كالماتريدي؟ والإجابة عن هذا السؤال تتضح من خلال المبحثين الآتيين:

\*\*\*

## المطلب الأول

### العلاقة بين الإمام الماتريدي والصفاتية أو الكلاية

عرف تاريخ علم الكلام ما سُمِّي بـ «المتكلمين الأوائل» أو «الصفاتية» كما يسميهم الشهرستاني<sup>(١)</sup> أو «أهل السنة الأوائل» كما يسميهم الدكتور النشار<sup>(٢)</sup>، وكان من أبرزهم: عبد الله بن سعيد الكلابي (ت بعد: ٢٤٠ هـ)، وأبو العباس القلانسي (١٩)، والحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)<sup>(٣)</sup>.

ويحلو لبعض دارسي علم الكلام جعل الماتريدي من جملة أتباع عبد الله بن سعيد الكلابي فيجعلون فرقتي أهل السنة-الماتريدية مع الأشاعرة- (كلاية)، وغالبا ما يكون هؤلاء ممن ينتقد هؤلاء الأئمة جميعا ويعيب عليهم الخوض في علم الكلام، أو يصفهم بالابتداع والبعد عن منهج السلف!

أما الرد على هؤلاء في جملة آرائهم فإنه ليس من شأننا هنا، وإنما أحب هنا فقط أن أبين واحدا من المجازفات العلمية التي ينطوي عليها علم هؤلاء، والهووى الذي يجر إلى كراهة نسبة الإمام الماتريدي إلى الإمام الأعظم؛ إذ ما نعلمه يقينا أن نسبة الإمام الماتريدي إلى الكلاية غير ثابتة ولا موثقة، والذي يجعلنا نقول ذلك عدة أمور:

١- لم ينتسب الماتريدية أبدا إلى الكلابي بل دائما ما يذكرون نسبتهم إلى الإمام الأعظم:

وقد سبق بيان انتساب الماتريدية إلى الإمام الأعظم، وما لم نذكره قبل ذلك ما نص عليه أبو المعين النسفى أثناء حديثه عن صفة التكوين ورده اتهام بعض خصومه بأنه قول

(١) الملل والنحل، ص ١٠٤.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. على سامي النشار، ٢٩٥/١، دار السلام القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.

(٣) ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق أمير مهنا وعلى حسن

فعود، ص ٤٤ ثم ص ١٠٤، دار المعرفة بيروت، ط ٣، ١٩٩٣ م.. وينظر: إتخاف السادة، ٦/٥، طبعة

مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٩٩٤ م.

مأخوذ عن الكلاية؛ إذ يقول: «ثم إن الخصوم يشنعون علينا في هذه المسألة من وجهين: أحدهما هذا قول أحدثتم لم يكن به قائل من السلف حتى قال بعضهم: إن هذا القول لم يأت من العراق وإنما جاء من الأعلى يعنى بذلك سمرقند، وزعم بعض الأشعرية أن هذا قول أحدثته طائفة من الناس يقال لهم الزابراشائية أصحاب رجل يعرف بأبي عاصم الزابراشائي. وذكر عبد الله بن محمد بن هيصم الساتر.. هذا القول ونسبه إلى المتسبين إلى ابن كلاب من أهل مرو وسمرقند، عنى بذلك عبد الله بن سعيد القطان وإنما نسبهم إليه لأن أهل السنة والجماعة كانوا يُنسبون إليه وإن كان أصحابنا نصرهم الله أخذوا المذهب عن أبي حنيفة رحمه الله وأظن أن هؤلاء قد انقرضوا»<sup>(١)</sup>؛ فهذا نص في أنه ليس للأحناف علاقة بالكلابي ولا الكلاية وإن اتفقوا معهم في مسائل، وإن كانوا من أهل السنة أيضًا، لكن حديثنا هنا عن التلقى والتأثر، وهل يعد ابن كلاب من أسلاف الماتريدي أو لا؟

٢- النص من قبل علماء الفرق على انتقال سمة الصفاتية إلى الأشعرية لا الماتريدية:

فقد نص الشهرستاني على أن سمة الصفاتية قد انتقلت إلى الأشعرية دون الماتريدية، حيث يقول: «حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف، إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية. وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فأيد مقالاتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن الماتريدية يردون على عبد الله بن سعيد ويخالفونه.

يقول البزدوى الماتريدي في مقدمة (أصول الدين): «وقد صنف أبو محمد عبد الله بن

سعيد بن كلاب القطان كتباً كثيرة في هذا النوع من العلم وهو أقدم من أبي الحسن الأشعري

(١) تبصرة الأدلة، ص ٤٠٥.

(٢) الملل والنحل، ص ١٠٥، ١٠٦.

فلم يقع في يدي شيء من كتبه، وعامة أقاويله توافق أقاويل أهل السنة والجماعة إلا مسائل قلائل لا تبلغ عشر مسائل؛ فإنه خالف فيها أهل السنة والجماعة، وقد أخطأ فيها على ما نبين.. ولا بأس في إمساك كتبه والنظر فيها لمن وقف على ما أخطأ فيه من المسائل»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل:

قد نص العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها فقال: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، وهم ينسبونه إلى قدمائهم»<sup>(٢)</sup> فلم لا يكون ابن كلاب واحدا من هؤلاء القدماء؟

قلت: لا يصح أن يكون عبد الله بن سعيد من هؤلاء القدماء، لأسباب، منها:

١ - أن هؤلاء القدماء معروفون، قد ذكرهم أبو المعين النسفي في معرض حديثه عن صفة التكوين والرد على من نسب القائلين بها إلى الابتداع، ولم يذكر منهم عبد الله بن سعيد ولا واحدا من أصحابه وتلامذته.

٢ - قد ذكرهم أبو المعين في معرض ذكره القائلين بصفة التكوين وعبد الله بن سعيد الكلابي لم يقل بصفة التكوين أو لم يعرف عنه القول بها<sup>(٣)</sup>، بل قد نص أبو المعين في موطن آخر على اختلاف مدرسته مع الكلابية في هذه المسألة بالذات، فقال: «ذهب عامة المعتزلة بأسرهم والنجارية وجميع متكلمي أهل الحديث كالكلابية والقلانسية والأشعرية إلى أن

(١) أصول الدين، ص ١٤، ثم إنه عدد هذه المسائل في كتابه ذلك تحت عنوان (ما خالف فيه ابن كلاب عامة أهل السنة) ص ٢٥٣ فيما بعدها، كما ذكر قبله (ما خالف فيه أبو الحسن الأشعري عامة أهل السنة والجماعة) ص ٢٥٢، وذكر بعد ذلك (ما خالف فيه المحدثون أهل السنة والجماعة) ص ٢٥٤.

ومراده بمصطلح (أهل السنة) خصوص أصحابه الماتريدية، كما هي عادته في كتابه، حيث يقول (ص ١٤) «لأن أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأوا أبا الحسن الأشعري في بعض المسائل.. وقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا ونظروا فيها الذين هم رؤساء أهل السنة» أ.هـ.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، ٤/١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.

(٣) ينظر أئمة المذهب القائلين بصفة التكوين قبل الماتريدي في: تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، ١/٤٦٧-٤٧٥.

التكوين ليس بمعنى غير المكوّن بل هو عين المكوّن»<sup>(١)</sup> والماتريدية يقولون: بل هو غير المكوّن. والخلاصة: أن انتقال سماتهم إلى الماتريدي أو تلقى الماتريدي عن عبد الله بن سعيد أو الكلابية، لم تثبت بل الذي ثبت هو أن الماتريدي تابع لأبي حنيفة لا غير.

ثم هو وإن اتفق مع هؤلاء الصفاتية في أشياء<sup>(٢)</sup> فلاحتمال كون الكلابية ممن أخذ عن الإمام أبي حنيفة أيضًا؛ فالمنبع واحد إذ الإمام كما سبق النقل هو أول متكلم من الفقهاء كما عبر الشهرستاني، و«الفيلسوف الأول للإسلام» كما وصفه الدكتور النشار رحمه الله<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) تبصرة الأدلة، ص ٤٠٠.

(٢) كالقول بأولية التكوين على ما نقله أبو المعين عن محمد بن الهيصم مع ما يُشَم من تشكك من أبي المعين في صحة هذه النسبة مع إنكاره - إن صحت - أن يكون الماتريدية قد أخذوا هذا القول من ابن كلاب بل من أبي حنيفة!

ينظر: تبصرة الأدلة، ص ٤٠٥.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي: ١/٢٥٨.



## المطلب الثاني العلاقة بين الماتريدي والأشعري

ولد الإمام الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ كما يقول السبكي<sup>(١)</sup>، أو ولد سنة ٢٧٠ هـ وقد ذكر القولين ابن خلكان<sup>(٢)</sup>، وابن عساكر<sup>(٣)</sup>. ثم إن المؤرخين مجمعون على أنه قضى في مذهب الاعتزال تلميذا لأبي على الجبائي - زوج أمه - أربعين عاما أو إلى سن الأربعين.

فإذا أخذنا بأحسن الفروض وقلنا إن ولادته كانت سنة ٢٦٠ هـ وأنه مكث إلى سن الأربعين لا أربعين سنة من وقت تلقيه العلم، فمعنى هذا: أنه لم يبدأ في التحول إلى مذهب أهل السنة إلا بعد العام ٣٠٠ هـ. أما إن قلنا إنه ولد ٢٧٠ هـ وأنه ظل على الاعتزال إلى سن الأربعين فمعنى هذا أنه لم يتحول إلى مذهب أهل السنة إلا في العام ٣١٠ هـ تقريبا.

أما إذا قلنا إنه ظل أربعين سنة على مذهب الاعتزال، فإن سنة تحوله ستأخر عن هذا التاريخ بعد إضافة سنوات تلقيه للعلم، وحتى يصح القول إنه قد اعتنق مذهباً، وعندها فسيصبح التاريخ دائراً حول ٣٢٠ هـ أي قبل وفاته بقليل!

ومن جهة أخرى، فإنه لم يُذكر عن الإمام الماتريدي مع طول عمره أنه كان على غير مذهب أهل السنة، وإذا قلنا - تنزلاً - إن الإمام الماتريدي بدأ التصنيف بعد سن الأربعين مع الإشارة إلى أن شيخه محمد بن مقاتل الرازي قد توفي سنة ٢٤٨ هـ وأنه كي يتلقى عليه العلم لا بد أن يكون قد وُلد قبلها بخمسة عشر عاماً على الأقل أي حول سنة ٢٣٣ هـ، فإن الأمر يكون قد اتضح لنا على النحو الآتي:

إن الإمام الماتريدي كان يتألف عن مذهب أهل السنة في الوقت الذي كان الإمام الأشعري على مذهب الاعتزال سنوات عديدة لا تقل عن أربعين عاماً أيضاً!

(١) طبقات الشافعية: ٣/ ٣٤٧.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٤.

(٣) تبين كذب المفترى: ص ٣٤.

فالحق أن مذهب الأحناف المتمثل في العقيدة الماتريديّة والمدونة أيضاً في متن الطحاوية سابق على مذهب الأشعري، بل لا نبعد إن قلنا: إن الأشعري يعد من طبقة تلاميذ الإمام الماتريدي.

وهذا الذي أثبتته هو عين ما قرره العلماء القدامى والمحدثون؛ فقد صرح بهذه الأسبقية الإمام أبو اليسر البزدوي في (أصول الدين)، فقال أثناء حديثه عن صفة التكوين:

«وقد ذكر هذه المسألة الشيخ أبو منصور الماتريدي مع المعتزلة، وصحح هذا المذهب الذي عليه أهل السنة والجماعة.. وهو أقدم من الأشعري»<sup>(١)</sup>.

ويقول الزبيدي في (شرح الإحياء): «قال ابن البياضي من علمائنا: وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن؛ لأن الماتريدي مفصل لمذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه المظهرين قبل الأشعري مذهب أهل السنة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول صاحب النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب الوزاني عند كلامه عن الماتريدي: «وكان معاصراً للأشعري، وسبقه إلى نصرته أهل السنة»<sup>(٣)</sup>.

وقال العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري، حتى قالوا - إن قول أبي جعفر الطحاوي (له الربوبية ولا مريبوب والخالفية ولا مخلوق) إشارة إلى هذا وفسروه بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الدكتور عبد الفتاح المغربي: «والماتريدي يعتبر مؤسس علم الكلام السني، أي

(١) أصول الدين، أبو اليسر البزدوي، ص ٧٧.

(٢) انحاء السادة المتقين ٢/ ٥.

(٣) ينظر الفواكه الدواني ٢/ ١٠٣ وحاشية الجمل على المنهج ٥/ ٣٨٧. نقلاً عن مقدمة الدكتور مجدى باسلوم للتفسير ١/ ٩١.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ)، ٤/ ١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.

الذي يقوم على نصرته عقيدة أهل السنة عن طريق العقل، وهو وإن كان معاصراً للأشعري الذي قام بنفس المحاولة إلا أنه لم يثبت وجود صلات بينهما أو معرفة أحدهما الآخر<sup>(١)</sup>.

بل لو عكسنا القضية وقلنا إن الأشاعرة هم من تأثر بالماتريدي لكان أوفق وأقرب، وهذه النتيجة هي التي وصل إليها الدكتور بكر طوبال في مقدمة تحقيقه لكتاب (التوحيد)، حيث قال: «إن المصادر المتعلقة بتاريخ علم الكلام تشير إلى أن أبا الحسن الأشعري هو المؤسس الأول للكلام السني، غير أن الانطلاق من المؤلفات التي وصلت إلى يومنا الحاضر يؤدي بنا إلى القول بأن المؤسس الحقيقي لهذا النوع من الكلام هو الإمام أبو منصور الماتريدي»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد عدم وجود صلة بين الماتريدي وآراء الأشعري ما ذكره المقرئ في الخطوط إذ يقول: «انتشر مذهب الأشعري في العراق من سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلى الشام»<sup>(٣)</sup>؛ أي بعد وفاة الماتريدي بنحو خمسين سنة.

### - أصحاب الإمام الماتريدي في نصرته السنة ببلاد ما وراء النهر:

إن وجود أصحاب للإمام الماتريدي في نصرته السنة، بل وجود اختلاف بينهم في بعض الفروع أحياناً ليؤكد ما نقوله هنا من أن هذه الفرقة لم تبدأ بالإمام الماتريدي وأن الإمام الماتريدي ما هو إلا محقق ومفرع لما قرره أبو حنيفة كما فعل غيره من الأحناف إلا أنه كان فيما يبدو أحدهم ذهنًا وأقواهم قريحة؛ لذا بقيت أعماله ونسبوا إليه، يقول أبو المعين النسفي متحدثاً عن قدماء أصحابه القائلين بصفة التكوين: «ولو استقصيت في ذكر من كان على هذا المذهب من أئمة بخارى وجميع ديار ما وراء النهر إلى أقصى ثغور الترك وأئمة مرو وبلخ وأبنت عن جلالة أقدارهم وتبحرهم في أصناف العلوم لطال الكتاب وقصرت عن بلوغ المراد»<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الإمام الماتريدي أثناء تفسيره كلاماً لمن يسميهم (أصحابنا) مما يدل على أن

(١) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراءه الكلامية، ص ٦.

(٢) التوحيد، ص ٣٠ من دراسة الدكتور بكر في صدر الكتاب.

(٣) خطط المقرئ، ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥ نقلاً عن تمهيد لتاريخ الفلسفة، مصطفى عبد الرازق.

(٤) تبصرة الأدلة ص ٤٧٤.

مدرسة الأحناف العقدية لم يبدأها الإمام الماتريدي وإنما كان له أسلاف وأصحاب، وإن كان الماتريدي أبرزهم وأغرزهم تأليفاً وأدقهم كلاماً وأشدهم عناية، حتى نسب تلاميذ تلك المدرسة إليه، والدين لا يقوم إلا بالأئمة كما يقول الإمام الماتريدي.

فعند قوله تعالى: ﴿قُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِرُونَ الْآخِرَ﴾ [التوبة: ٢٩]، يقول:

«وجه آخر أنهم قوم ليس لهم أساس ولا أئمة في الدين، إليهم يرجعون في التأسيس. ومعلوم أن لا قوام في العقول لأمر الدين إلا بالأئمة كالسياسات كلها والأمور؛ فيها القوام من الملك وغيره. بل إنما كانوا جروا على عادتهم، وقتلوه عن القبائل، فلا يرجعون في الحقيقة إلا إلى عادة خارجة عن التدبير. وغيرهم يرجعون إلى مذاهب أسست مما أسس أمر الديانات؛ فقد تعلقوا بضرب من ذلك؛ فتركوا إذا خضعوا لا دفعوا، وإذا عنوا لهم بحق التبع، يتركون رجاء أن يتأملوا؛ إذ لكل مذهب نظر، وليس لأولئك سوى العادة وتقليد الآباء. ومن ذلك وصفه؛ لا ينظر، فيمهل النظر، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

فأئمة الدين المنافعون عنه لا بد من وجودهم في كل زمان ومكان وهم كذلك بفضل الله تعالى وكان الإمام الماتريدي وأصحابه ورثت مذاهب السلف التي لم تندثر في الأمة.

### ٢ - وفي سورة المائدة يذكر قول أصحابه، فيقول:

«وقيل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: ٤٨]، أي على دين واحد، وهو دين الإسلام، لم يجعل كافراً ولا مشركاً، ولكن امتحنكم بأديان مختلفة على ما تختارون، وتؤثرون. ثم اختلف في المشيئة: قالت المعتزلة: هي مشيئة الجبر والقسر. وقال أصحابنا: المشيئة مشيئة الاختيار، وقد ذكرناها في غير موضع»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وأحياناً يذكر ما قد يكون من اختلاف بينه وبين أصحابه، ومن ذلك اختلافه معهم في مسألة: هل الكافر منع عليه أم لا؟ ويبدو أن أصحابه كانوا يقولون كما قال الأشعري بعد ذلك، فيقول في سورة الجاثية:

(١) التوبة (٢٩-٢/٤٠٣).

(٢) المائدة (٤٨-٢/٤٥).

«ثم اختلف أهل الكلام في ما يعطي الولي والعدو في هذه الدنيا من الصحة والسلامة على قول أكثر المعتزلة: إن الله لا يعطي أحداً في الدنيا من كافر أو مؤمن شيئاً إلا وهو أصلح له في الدين. ثم على قولهم: لا يظهر عفو الله تعالى في الآخرة لأنهم يقولون: إنما يستوجبون الثواب والجنة بأعمالهم لا برحمة الله تعالى. فإذا عفا عن المسيء فلا يعلم أنه كان مستحقاً لذلك، أو كان العفو منه فضلاً. وعندنا أن ما أعطاهم إنما يعطيهم إفضالاً منه ورحمة، فيعرفون فضله وإحسانه وعفوه.

وأكثر أصحابنا يقولون: إن جميع ما أعطى الكافر في الدنيا فهو شر له كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدُوا إِسْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقوله عز وجل ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سُلُوحٌ لَهُمْ فِي الْحَيَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ و٥٦]، ونحو ذلك ما يُجبر أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شراً لهم، وما أعطى المؤمنين يكون خيراً لهم.

ولكن عندنا ليس هذا على الإطلاق والإرسال، ولكن ما كان توفيقاً منه على الخيرات في نفسها فهو خير له وما كان خذلاً فهو شر له، وليس على الله حفظ الأصلح لهم على ما يقوله المعتزلة، ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة وعدل كما يفعل ما هو إحسان وفضل، والله الموفق»<sup>(١)</sup>.

٤ - كما قد يختلف معهم في كيفية إلزام المعتزلة فيذكر احتجاجهم ثم يورد بعد ذلك احتجاجه هو، ففي سورة الصافات عند قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: ٩٦]، يقول: «ثم من أصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الآية في خلق أفعال العباد؛ يقولون: أخبر عليه السلام عن خلق أنفسهم وعن خلق أعمالهم حين قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ لكنهم يقولون: ليس فيه دلالة خلق أفعالهم. ألا ترى أنه قال عليه السلام: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الآية: ٩٥]، وهم لا يعبدون النحت، إنما يعبدون ذلك المنحوت. فعلى ذلك لم يخلق أفعالهم وأعمالهم، ولكن خلق المعمول نفسه، والله أعلم. لكن الاحتجاج عليهم من وجه

آخر في ذلك كأنه أقرب وأولى، وهو أن صير ذلك المعمول خلقاً لنفسه حين أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي معمول لكم لأنهم إنما يعبدون ذلك المعمول: خلق الله. دل أن عملهم الذي عملوا به مخلوق. لذلك قلنا: إن فيه دلالة خلق أعمالهم، والله أعلم. وهو كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إنما صار الثواب والمتطهر محبوب الله لحبه التوبة والتطهر، وصار المعتدي غير محبوب لحبه الاعتداء. فعلى ذلك: المعمول صار مخلوقاً بخلقه عمله، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة: أن أسلاف الإمام الماتريدي الأبعدين هم أهل الرأي من الصحابة والتابعين والذين يتفق معهم الماتريدي في المنهج الفكري، والذي تجلى أبرز ما تجلى في مدرسة الأحناف، فورث الإمام الماتريدي عن أبي حنيفة الأصول والفروع والأخلاق. أما علاقته بابن كلاب ومدرسته فلم تثبت، وعلاقته بالأشعري أبعد ما تكون.

فلسف الماتريدي عن شيوخه هو الإمام الأعظم الذي استقرت عنده مذاهب أهل العراق كما يقول العلامة ابن خلدون<sup>(٣)</sup>.

ولا علاقة للإمام بالكلابي ولا الأشعري ولا الجهمية ولا المعتزلة ولا غيرهم، وما أحسن ما لخص أبو المعين ذلك كله حين قال: «والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله كان من أشد الناس اتباعاً لأبي حنيفة رضي الله عنه في الأصول والفروع جميعاً»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

(١) الصافات (٩٦-٤/٢٣٧).

(٢) المقدمة، ص ٤٩٦ ط التوفيقية.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ت: د. جيب الله أحمد، ص ١٥٦، ١٥٧ دار الطباعة المحمدية،



## مصادر البحث<sup>(١)</sup>

### أولاً: المصدر الأساس:

تفسير الإمام أبو منصور الماتريدي بطبعاته الثلاث:

- (١) (تأويلات أهل السنة) الطبعة التي نشرتها الرسالة؛ المطبوعة سنة ٢٠٠٤م، بتحقيق فاطمة يوسف الخيمي، وتقع في خمس مجلدات كبار كتبت بخط صغير!
- (٢) (تأويلات أهل السنة) طبعة دار الكتب العلمية، المطبوعة سنة ٢٠٠٥م، بتحقيق مجدي باسلوم، وتقع في عشر مجلدات كبار.
- (٣) (تأويلات القرآن) طبعة دار الميزان بتركيا المطبوعة سنة ٢٠١٢م، بتحقيق عدد من المحققين وإشراف بكر طوبال أغلو، وتقع في تسعة عشر مجلداً، بالفهارس.

### ثانياً: المراجع والمصادر المساعدة (الكتب)

#### (حرف الألف)

- (٤) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، دار صادر - بيروت.

#### (١) تبعت في إيراد المصادر والمراجع المنهج الآتي:

- ١ - لم أفرق بين المصادر القديمة والحديثة بل أوردت الكل في إهاب واحد بحسب الترتيب الأبجائي، وأوردت تاريخ وفاة المؤلف ما استطعت.
- ٢ - قدمت اسم الكتاب على اسم المؤلف؛ مسترشداً بما قاله الدكتور فريد الأنصاري (أبجديات البحث العلمي، ص ١٣٠): «ولابد من تقديم اسم الكتاب على اسم مؤلفه، على عكس بعض الدارسين المقلدين للغرب إذ إننا نتعامل مع المرجع أساساً وهو المقصود بالمعرفة، وإنما اسم المؤلف وصف من أوصافه، أضف إلى ذلك أنها الطريقة الوحيدة لبيان الأسماء الكاملة للكتب المختصرة عناوينها في الهامش» أ.هـ.
- ٣ - أهملت ألقاب المؤلفين من قبيل الإمام أو الشيخ أو الدكتور اختصاراً، والمقامات محفوظة.
- ٤ - ما أهملت بعض بياناته فهو غير موجود على غلاف الكتاب أو داخله غالباً.
- ٥ - قسمت المصادر إلى أساسية ومساعدة، وقسمت المساعدة إلى: كتب ومقالات ورسائل جامعية.

- (٥) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ)، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ١٩٩٤م.
- (٦) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.
- (٧) أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أحمد أبو زهرة (ت: ١٩٧٤م)، دار الفكر العربي - القاهرة.
- (٨) أبو منصور الماتريدي وآراؤه العقدية، بلقاسم الغالي، دار التركي للنشر - تونس، ١٩٨٩م.
- (٩) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت: ٣٨٠ تقريباً)، مكتبة مذبولي القاهرة، ط٣، ١٤١١/١٩٩١.
- (١٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليبات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.
- (١١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، القاضي أبو عبد الله حسين بن علي الصيمري (ت: ٤٣٦هـ)، ط عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- (١٢) إشارات المرام، أحمد بن حسين بن سنان البياضي (ت: ١٠٩٨هـ)، ت: الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- (١٣) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٦م.
- (١٤) أصول الدين، أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣هـ)، ت: هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣م.
- (١٥) أصول الفقه، أبو الشاء محمود بن زيد اللامشي الماتريدي، ت: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥م.
- (١٦) الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، أحمد بن حسين بن سنان البياضي (ت: ١٠٩٨هـ)، ت: محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- (١٧) أطلس التاريخ العربي الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر دمشق، ط٥، ٢٠٠٢م.

- (١٨) أعلام وعلماء.. مقالات للشيخ أبي زهرة، جمعها: مجد مكي، دار الفتح للدراسات، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
- (١٩) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، ط١، سنة ١٩٨٥م.
- (٢٠) الأنساب، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، ت: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، ط١، سنة ١٩٨٨م.
- (حرف الباء)
- (٢١) البداية والنهاية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، بعناية: عبد الرحمن اللادقي، دار المعرفة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٨م.
- (٢٢) بلاد ما وراء النهر، محمود شيت خطاب، ص٥، دار قتيبة، ط٤، ١٩٩٠م.
- (٢٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى، ط دار الفكر العربي.

#### (حرف التاء)

- (٢٤) تاج التراجم في طبقات الحنفية، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطْلُوبغا الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، ت: جوستاف فلوجل، ليبزيغ ١٨٦٢م.
- (٢٥) تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (٢٦) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
- (٢٧) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تعريب عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف، القاهرة.
- (٢٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الدكتور: حسن إبراهيم حسن، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط١٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- (٢٩) تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٣٠) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، تعريب محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٩٩١ م.

(٣١) تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٣ م.

(٣٣) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، ط ٧، سنة ٢٠٠٩ م.

(٣٤) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، ط دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٣٥) الخلافة العباسية، محمد الهاشمي، دار ابن حزم، ط ٢، ٢٠٠٦ م.

(٣٦) تاريخ طبرستان، بهاء الدين محمد بن حسن اسفنديار، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، ط المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، سنة ٢٠٠٢ م.

(٣٧) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي ابن الحسن ابن عساكر، ت: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، دون رقم طبعة، ١٩٩٥ م.

(٣٨) تبصرة الأدلة، أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معبد النسفي (ت: ٥٠٨ هـ)، تحقيق حسين آتاي، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣ م.

(٣٩) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري، القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله، أبو محمد، ابن عساكر (ت: ٦٠٠ هـ)، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤٠) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

(٤١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

(٤٢) تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، دون تاريخ.

(٤٣) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، فاسيلي بارتولد، تعريب: صلاح الدين هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ١، سنة ١٩٨١ م.

(٤٤) التغني بالقرآن.. بحث فقهي تاريخي، بقلم لييب السعيد، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠ م.

(٤٥) التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

(٤٦) التفسير والمفسرون، الشيخ محمد حسين الذهبي، ط مكتبة وهبه - القاهرة.

(٤٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د. مصطفى عبد الرازق، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠ م.

(٤٨) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي (ت: ٥٠٨ هـ)، ت: د. جيب الله أحمد، دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٦ م.

(٤٩) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (ت: ٣٧٧ هـ)، ت: الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧ م.

(٥٠) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، باعثناء: إبراهيم الزبيق وآخر، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥ م.

(٥١) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، ط دائرة المعارف النظامية.

(٥٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين المزي (المتوفى: ٧٤٢ هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م.

(٥٣) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ت: بكر طوبال أوغلو، ومحمد آرويشي، دار صادر عام ٢٠٠٤ م.

(٥٤) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ت: فتح الله خليف، ١٩٧٠ م.

(٥٥) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، الدكتور أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣، دون تاريخ.



## (حرف الثاء)

- (٥٦) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، طبع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣.

## (حرف الجيم)

- (٥٧) الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، إعادة لطبعة دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٥٨) الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ت: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- (٥٩) الجغرافيا الحضارية في المشرق الإسلامي، عبد العزيز عبد الرحمن آل سعد، الدار العربية للعلوم، ط ١، سنة ٢٠١١م.
- (٦٠) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيى الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفى (ت ٧٧٥هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، سنة ١٩٩٣م.

## (حرف الحاء)

- (٦١) حاشية الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للعلامة أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت: ١٣٠٤هـ)، ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- (٦٢) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، د. عدنان محمد زرزور، ط مؤسسة الرسالة.
- (٦٣) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٤م.
- (٦٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (عصر النهضة في الإسلام)، آدم متز، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، دون تاريخ.

- (٦٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ.
- (٦٦) الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- (٦٧) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

## (حرف الخاء)

- (٦٨) خمس رسائل إسماعيلية، ت: عارف تامر، منشورات دار الإنصاف سوريا، ١٩٥٦م.

## (حرف الدال)

- (٦٩) الدولة العباسية، محمد الحضرى بك، المكتبة العصرية - بيروت، ٢٠٠٩م.

## (حرف الراء)

- (٧٠) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، دار القلم - دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م.
- (٧١) رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (ت: بعد ٣١٠هـ)، دار السويدى، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٣م.

## (حرف السين)

- (٧٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٢م.
- (٧٣) سنن الترمذى، ط دار إحياء التراث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت.
- (٧٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
- (٧٥) سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٠م.

## (حرف الشين)

- (٧٦) شرح الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى التفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي الأزهرى، دار لمعرفة بيروت.

(٧٧) شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ)، ت: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

#### (حرف الضاد)

(٧٨) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

#### (حرف الطاء)

(٧٩) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ت: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٨٠) طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، نشره محمد علي عثمان، سنة ١٩٧٤م.

(٨١) طبقات الأمم، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (ت: ٤٦٢هـ)، بعناية الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

(٨٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت: ٧٧١هـ)، ت: عبد الفتاح الحلوة، ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي - عيسى الحلبي، القاهرة.

(٨٣) طبقات الفقهاء، أبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت: ٤٧٦هـ)، دار الرائد العربي، بيروت.

(٨٤) طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٨٤٠هـ)، ت: سوسته ديفلد فلزر، ط ٢، ١٩٨٧، بيروت لبنان.

(٨٥) طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ت: علي محمد عمر، ط ١، ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٨٦) طبقات المفسرين، أحمد الأدنه وي، ت: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ١، ١٩٩٧م.

(٨٧) طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداوودي (ت: ٩٤٥هـ)، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٧٢م.

#### (حرف الظاء)

(٨٨) ظهر الإسلام، أحمد أمين، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٦م. بيروت.

(٨٩) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط ٥، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

#### (حرف العين)

(٩٠) العالم الإسلامي في العصر العباسي، د. حسن أحمد محمود، ود. أحمد إبراهيم شريف، دار الفكر العربي، ط ٥، دون تاريخ.

(٩١) العرب والإسلام في أوزباكستان، بوريوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، ط ٢، ١٩٩٩، بيروت.

(٩٢) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ط ٣، دار المعارف.

(٩٣) العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)، ت: حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر، ط ٣، ١٩٨٢م.

(٩٤) عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، د. محمد عيارة، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٧م.

(٩٥) العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، ت: عمار الطالبي، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، سنة ١٩٩٢م.

#### (حرف الغين)

(٩٦) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكّي، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (ت: ١٠٩٨هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

#### (حرف الفاء)

(٩٧) الفتاوى الهندية، جماعة من علماء الهند، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م.

(٩٨) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

(٩٩) الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، قام بنشره محمد علي عثمان، سنة ١٩٤٧م.

(١٠٠) الفخري في الأدب السلطانية، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (المعروف بابن الطقطقي)، (ت: ٧٠٩هـ)، المطبعة الرحمانية، دون تاريخ.

(١٠١) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي الاسفراييني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

(١٠٢) فقه أهل العراق وحديثهم، العلامة محمد زاهد الكوثري، ت: د. محمد سالم أبو عاصي، ط: دار البصائر.

(١٠٣) الفكر السامي في تاريخ التشريع الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت: ١٣٧٦هـ)، مطبعة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ.

(١٠٤) الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم المعروف بالوراق (ت: ٤٣٨هـ)، ت: رضا تجدد، طهران.

(١٠٥) في أصول الفقه، أبو الشفاء اللامسي الماتريدي، ت: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط: ١٩٩٥م.

#### (حرف القاف)

(١٠٦) القند في ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، بعناية: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط: ١٩٩١م.

(١٠٧) القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي، تحقيق يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، إيران، ط: ١٩٩٩م.

#### (حرف الكاف)

(١٠٨) الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ت: محمد عوامة، وآخر، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة، ط: ١٩٩٢م.

(١٠٩) الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن علي بن حجاج السغناقي (ت: ٧١٤هـ)، ت: فخر الدين سيد محمد قانت، مكتبة الرشد الرياض، ط: ٢٠٠١م.

(١١٠) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، ط: بولاق.

(١١١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد، علاء الدين البخاري (المتوفى: ٧٣٠هـ)، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١١٢) الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، ت: د. عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٩٩٨م.

(١١٣) كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي (ت: ٤٨٢هـ) مع كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (ت: ٧٣٠هـ)، ت: عبد الله محمود عمر، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

#### (حرف اللام)

(١١٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ١.

(١١٥) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ت: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط: ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١١٦) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط: ١، ٢٠٠٢م.

#### (حرف الميم)

(١١٧) الماتريديّة: دراسة وتقوية، أحمد بن عوض الحربي، جامعة محمد بن سعود، كلية أصول الدين، ماجستير، ١٤١١هـ.

(١١٨) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

(١١٩) المذهب الحنفي مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته، أحمد بن محمد النقيب، مكتبة الرشد، الرياض، د. ت.

(١٢٠) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ)، شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت: كامل الجبوري، ط: ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠م.



(١٢١) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ت: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١٢٢) المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي المقرئ، ت: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية.

(١٢٣) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: محمد علي النجار ويوسف نجاشي، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

(١٢٤) معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ت: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

(١٢٥) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط دار صادر، ١٩٧٧م.

(١٢٦) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٩٨٨م.

(١٢٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة.

(١٢٨) معجم تفاسير القرآن، مجموعة مؤلفين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (إيسيسكو)، ١٩٩٧م.

(١٢٩) معيد النعم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت: ٧٧١هـ)، ت: محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

(١٣٠) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كوبري زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(١٣١) الملل والنحل، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، ت: البير نصيري، دار المشرق - بيروت.

(١٣٢) من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، سينا للنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

(١٣٣) مناقب أبي حنيفة، الموفق المكي (٥٦٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠١هـ.

(١٣٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

(١٣٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(١٣٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، ت: محمد زينهم ومديحة الشرفاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

(١٣٧) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي المالكي (ت: ٧٩٠هـ)، ت: مشهور حسن سليمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(١٣٨) موسوعة الأعلام، عدد من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر.

### (حرف النون)

(١٣٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي بكر كمال الدين بن محمد بن الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، ت: د. إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار - الأردن، ١٩٨٥م.

(١٤٠) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، د. السيد أحمد خليل، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط١، سنة ١٩٥٢م.

(١٤١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، دار السلام القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(١٤٢) النشر في القراءات العشر، الإمام محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، راجعه محمد علي الصباغ، دار الكتب العلمية - لبنان.

(١٤٣) نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.

(١٤٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن أبي بكر المقرئ التلمساني (ت: ٧٥٨هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

### (حرف الهاء)

(١٤٥) هدية العارفين في أسماء المؤلفين، إساعيل بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية، استانبول سنة ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

## (حرف الواو)

(١٤٦) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٩٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

(١٤٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد لابن خلكان (٦٨١هـ)، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

ثالثا: المقالات والبحوث المنشورة في الدوريات، وغيرها.

(١٤٨) نظرية المقاصد عند الشاطبي ومدى ارتباطها بالأصول الكلامية، الإمام الأكبر الشيخ: أحمد الطيب، منشور على الانترنت.

رابعا: الرسائل العلمية:

(١٤٩) أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين محمد عبد اللطيف، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام ١٩٩٩م.

(١٥٠) العقيدة الماتريدية، أبو الخير محمد أيوب علي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، دكتوراه، ١٩٥٥م.

(١٥١) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي، ت: عبد الملك عبد الرحمن السعدي بإشراف الدكتور أحمد فهمي أبو سنة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، سنة ١٩٨٤م.

\*\*\*

## فهرس الأعلام

إبراهيم عليه السلام ١٧٥	ابن جريج ٤٨-٤٩-٧٤
إبراهيم النخعي = النخعي	ابن جرير الطبري = محمد بن جرير
إبراهيم النظام = النظام	ابن حجر ٥٥-٦٠-١٢٨-١٢٩-١٧١-١٨٠
إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق	ابن حزم ٢٣-٤١-٧٦-٢١٢
الزجاج = الزجاج	ابن حنبل = أحمد بن حنبل
إبراهيم بن علي القمي ٧٣	ابن خلدون ٢٢-٤١-٤٢-١١٢-١٦٧-
ابن أبي الليث البخاري ١٣٥	٢٠٧
ابن أبي حاتم ٧٥-٧٧	ابن خلكان ٤٢-٨٦-٢٠٢
ابن أبي داود ٥٠	ابن درستويه ٧٢
ابن الأثير ١٦-١٨-٢١٨	ابن شنبوذ ٤٦-٤٧
ابن الأنباري ٣٤-٧٦	ابن عباس = عبد الله بن عباس
ابن البياضي = البياضي	ابن عساكر ٨٣-٨٦-١٧٩-٢٠٢
ابن الراوندي ٣٣-٧٩	ابن فضل الله العمري ٨٩-٩٣
ابن العربي ٤٤-١٧٣	ابن قتيبة ٣٢-٤٩-٥٢-١٣٢
ابن القيم ١٢٨	ابن قطلوبغا ٨٩-٩٤
ابن المتوكل ١٥-١٦-١٨	ابن كثير ١٧-١٨-٢٤-٥٦-٥٨-٨٦-١١٦
ابن المعتصم ١٥	ابن كلاب = عبد الله بن سعيد الكلابي
ابن المعتضد ١٥-١٩-٢٠	ابن ماجه ٥٠-٧٤
ابن المقتدر ١٥-٢٠	ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
ابن المقفع ٤٢	ابن يونس الصفدي = الصفدي
ابن النديم ٤١-٤٧-٥٢-٧٠-١٦٩	ابنة الماتريدي ١٠٩
ابن الواثق ١٥-١٧	أبو أحمد العياضي ١٣١

أبو إسحاق الشيرازي = الشيرازي	أبو القاسم صاعد بن أحمد ١١١
أبو الأسود الدؤلي ٤٥	أبو الليث السمرقندي ١٥٢-١٥١
أبو البقاء الكفوي ١٥٥	أبو المعين النسفي ١٢٤-١٢٩-١٤٧-
أبو الحسن الاسفندياني ٧٤	١٤٨ ١٥١-١٥٤-٢٠٠-٢٠٤.
أبو الحسن الأشعري = الأشعري	أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش
أبو الحسن الرستغني = علي الرستغني	السلمي السمرقندي ٧٣
أبو الحسن الندوي ١٠٤	أبو الهذيل ٦٨
أبو الحسن بن بابويه ١٢٨	أبو اليسر البزدوي ٨٩-١١٧-١٦٩-
أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي ٤٤	١٧١-١٧٢-٢٠٣
أبو الحسن علي الحنفي ١٠٣	أبو اليسر محمد بن محمد المعروف بالقاضي
أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن	الصدر ١٣٥
عفان بن علي بن الفضل بن زكريا بن عثمان ابن	أبو أيوب الأنصاري ١٠٩
عفان بن خالد بن زيد بن كليب الماتريتي ١٠٩	أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني ١٢٩-
أبو الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي	١٧٧
السمرقندي ٧٨-٥٧	أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني الخصاف ٥١
أبو العباس القلانسي ١٩٨-١٩٩	أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
أبو العباس بن القاسم ٦٦	المقري ٤٦
أبو العسر البزدوي ١٦٧	أبو بكر الأصم = الأصم
أبو الفتح صالح بن محمد الصوفي المقرئ،	أبو بكر الجوزجاني ٩٦-١٧٦-١٧٧
١٢٥	أبو بكر العطار المقرئ ٤٧
أبو الفتح صالح بن محمد الصوفي المؤدب	أبو بكر القفال الشاشي الشافعي ٧٧
الرازي ١٠٥	أبو بكر الكيساني = الأصم
أبو القاسم البلخي الكعبي = الكعبي	أبو بكر الموصلي النقاش ٧٣
أبو القاسم الحكيم السمرقندي = الحكيم	أبو بكر النقاش المعتزلي ٧٣
السمرقندي	أبو بكر النيسابوري ٦٩
أبو القاسم النصر آبادي ١٨٠	أبو بكر الوراق ١٢٦-١٣٣

أبو بكر بن العربي = ابن العربي	أبو دواد ٥٠
أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد ابن	أبو زيد البلخي ٥٢-٦٠-٧٢
بشار الأنباري النحوي = ابن الأنباري	أبو سعيد الجنابي ١٩
أبو بكر محمد بن علي الأدفوي ٤٤	أبو سليمان الجوزجاني ٩٦-١٢٩
أبو بكر محمد	أبو عاصم الزابراشائي ١٩٩
أبو تراب النخشي ٦٦	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ٥٠
أبو ثور ٥١	أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري ١٣٥
أبو جعفر الرؤاسي ٥٢	أبو عبد الله جعفر الصادق ٧٣
أبو جعفر الطحاوي ٥٢-٨٥-١٧٠-١٧١-	أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ٢٥
٢٠٣	أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعوني
أبو جعفر الطوسي ٧٣	٧٨
أبو جعفر المنصور ٤١	أبو عبد الله محمد بن منازل النيسابوري ٦٦
أبو جعفر النحاس ٧٨	أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٥٠-٥٨
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري = محمد بن	أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ١٢٩-
جرير	١٧٠-١٧١-١٧٨-١٨٨
أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السمرقندي	أبو عبيدة معمر بن المثنى ١٣٢
٥٩	أبو عصمة بن أبي الليث البخاري ١٣٥
أبو حامد الإسفراييني ٧٦-١٧٦	أبو علي الجبائي ٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٢٠٢
أبو حفص العجلي البخاري ١٣١	أبو علي الجوزجاني ٦٦
أبو حفص الكبير ١٣١	أبو علي الحسين بن علي بن عبد الله السمرقندي
أبو حفص عمرو بن سالم الحداد النيسابوري	٥٩
٦٦	أبو علي اللؤلؤي ١٣٤
أبو حنيفة ٥١-٥٣-٦٠-١٠٤-١٢٣-	أبو علي بن مقله ٤٦
١٦٥-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٥-١٨١-	أبو علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان
١٨٦-١٨٧ ١٩٢-٢٠٤	الجيهاني = الجيهاني
أبو حنيفة الدينوري ٥٣	أبو علي محمد بن عبد الوهاب ٥٢-٧١



أبو عمرو الباهلي = الباهلي	أبو نصر أحمد بن أحمد بن العباس ١٧٨
أبو عمرو بن العلاء ٣٤-٥٢	أبو نصر أحمد بن العياضي ٩٤-٩٥-٩٦-
أبو عوسجة ١٣٢-١٤٠	١٠٩-١٢٥-١٣٠-١٥٦-١٧٧
أبو عيسى الوراق ٣٣	أبو هاشم الجبائي ٧٤
أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٥٠	أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ٧٠
أبو محمد عبد الكريم بن موسى البرذوي = البرذوي	أبو هريرة ١١٢
أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ١٩٩	أبو يعقوب الشحام = الشحام
أبو محمد ١٣٤	أبو يوسف الأنصاري ١٦٩
أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ٧٣	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي ١٧١
أبو مطيع البلخي ١٢٩	أبو يوسف ١٨٧-١٩٢
أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ٩٦-	أحمد الريسوني ١٤٩
١٢٦-١٦٩-١٧٧	أحمد أمين ٥٩-٩٠
أبو مقاتل حفص السمرقندي ٥٥-١٢٩-	أحمد بن أبي الحسين الراوندي ١٤٨
١٧٨	أحمد بن إسحاق الجوزجاني ١٧٨
أبو مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي ٩٦-	أحمد بن أسد ٢٣-٢٥
١٢٩-١٦٩-١٧٧	أحمد بن أسد ٢٤-٢٥
أبو منصور الماتريدي ٥-٦-٧-٥٢-٦٠-	أحمد بن إسحاق ٩٥
٦٦-٨٧-٩١-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-١٠١-	أحمد بن حامد الخرعمي ٧٨
١٠٤-١٠٥-١٠٩-١١٠-١٢٠-١٢٥-	أحمد بن حامد بن عي بن إسحاق ٧٨
١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٤٨-١٤٩-	أحمد بن حنبل ٤٩-١٨٠
١٥٠-١٥٢-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٧١-	أحمد بن سهل أبو زيد البلخي = البلخي
١٧٢-١٧٣-١٧٥-١٧٧-٢٠٠-٢٠٣-	أحمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن الشمس
٢٠٤	الخجندي المدني ١٠٥

أحمد بن محمد المعتصم ١٦	١٥٧-١٦٥-١٦٧-١٦٨-١٧٠-١٧٣-
أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي	١٧٤-١٧٦-١٧٨-١٨١-١٩٧-١٩٨-
النحاس ٧٨	٢٠٧
الأخفش سعيد بن مسعدة ٧٠	الأنصاري ٩٥-١٠٩-١١٠-١٣٠-١٦٩-
الإدرسي ٥٥-٩٥	١٧٠-٢٠٩
آدم متر ٣٢-٤٣-٢١٤	الأوزاعي ٥١-١٩٢
إسحاق الحكيم السمرقندي ١٣٥	أيوب على ١٤٨
إسحاق بن أحمد بن أسد ٢٥	بابر ٦٦
إسحاق بن راهويه ٤٩	بارتولد ١١-٢٢-٢٣-٣٥-٣٦-٥٦-٦٢-
إسحاق بن محمد أبو القاسم الحكيم السمرقندي ١٣٣	٦٦-٦٧-١٠٢-١٠٥
أسد بن عبد الله القسري ٢٣	الباهلي ٥٤-٩٤-١٣٢-١٤٧
الاسفرايني ١٩١	البخاري ٤٩-٥٠-٥٤-٥٦-٥٨-٥٩-١٢٨-
إسماعيل بن أحمد ٢٤-٥٧-٦٥-١٢٢	١٣١-١٣٤-١٣٥-١٦٨-١٧٤-١٧٥-
إسماعيل بن جعفر الصادق ١٨	البرذوي ٩٦-١١٧-١٢٤-١٣٣-١٦٩-١٧١-
الأشعري ٥-٤٤-٥٢-٧٠-٧٢-٧٧-٨٣-	١٧٢-١٩٩-٢٠٣
٨٦-٩٣-٩٥-٩٦-١٠٤-١٥١-١٥٢-	بروكلمان ٤١-٥٢-٧٣-١٤٧-١٤٨-١٥٠-
١٥٥-١٥٦-١٧٣-١٩٩-٢٠٠-٢٠٢-	١٥١-١٥٢
٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٧	البستي ١٦٩
الأصم ٦٩-٧١-٧٥	بشر المريسي ١٧٣
الأصمعي ٣٥، ١٤٤، ١٤٥	بشر بن المعتمر ٦٨-٧٠
الأكوسي ١٦٦	بشر بن غياث المريسي ٥١
إلياس بن أسد ٢٦	بقي بن مخلد الأندلسي ٤٩
أم المقتدر ٢٢	بكر أبو زيد ١٤٩
الإمام الأعظم ٦٧-٧٩-١١٥-١٢٣-١٣٤	بكر طويال ٨٤-١٠٣-١٠٤-١١٢-١١٥-
	١٤٧-١٤٨-١٥١-١٥٣-٢٠٤
	البلاذري أحمد بن يحيى ٥٣

البلخي ٥٢-٥٩-٦٠-٦٦-٧٢-٨٤-٩٣-	حماد بن أبي سليمان ١٦٥
٩٦-١٠٤-١٢٩-١٦٩-١٧٣-١٧٧-	حمدان قرمط ١٩
١٧٨-	خالد بن أحد الذهلي ٥٨
البياضي ٩٦-١٢٨-١٢٩-١٦٩-١٧٥-	الخزقي أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله
٢٠٣	٥١
التاج السبكي ٨٣-١٥٣	الخضر ١٢٥
الترمذي ٥٠-٥٩-٧٧-١١٦	الخطري ٢٢-١٢٣
الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ٥٢-٦٠	الخطيب البغدادي ١٦٦-١٨٠
الجبائي ٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٤-٢٠٢	خلف بن شاهد بن الحسن بن هاشم النسفي
الجبائيان ٥٢-١٧٤	٥٩
جعفر بن حرب ٦٩	الخليل بن أحمد ١٦-٣٤-٤٢-٥٢
الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن	الخليلي ١٢٨
الجمال الخجندي ٦٦	الخوانساري العراقي ٧٣
الجهاني ٦٩-١٢٢	الخيالي ١٥٦
حاجي خليفة ١٤٦	الدارمي ٥٥-٥٩
الحارث بن أسد المحاسبي ٤٤-١٩٩	داود ٥٠
حافظ الدين البزازي ١٧٤-١٧٥٠	الداوودي ٨٥
الحسن البصري ٧٠	الذهبي ٩٦-١٢٨-١٨٠
الحسن بن بويه ٢٠	الرازي ٩٦-١٠٤-١٠٥-١٢٨-١٣١-١٧٠
الحسين بن علي المروزي ١٢٢	١٧٦-١٧٧-١٨٠-٢٠٢
الحسين ٧٢، ١٢٢	الراضي ١٥-٢٠-٤٧
حضين بن المنذر الرقاشي ١١٣	رافع بن الليث الصفار ١٧-١٨-٢٣-٢٤
الحكيم السمرقندي ٦٨-٩١-١٢٣-١٢٦-	الزبيدي ٤٥-٨٩-٩٥-٩٦-١٠١-١٠٣-
١٣١-١٣٣-١٣٥	١٠٩-١٢٥-١٢٨-١٢٩-١٥٥-١٧٧-٢١٠
الحلاج ١٩	الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل) ٤٦-
حماد بن أبي حنيفة ١٦٩	٧٦

الزرقاني ٤٣-٤٤	شمس الدين الكروزي البراتقيني العمادي
الزهري ٤٨	١٧٤
زيد بن علي زين العابدين ١٢٤	الشهرستاني ١٩٨-١٩٩-٢٠١
السباعي ٤٩-٥٠	الشيخ الرئيس ابن سينا ٦٥
السبكي ٢٠٢	الشيرازي ٥٩-٨٥
السخاوي ٦٦-١٠٥	صاحب الفخري ١٦-١٧
سزكين ٤١-٤٥-٤٦-٥٢-١٣٢-١٣٤-	صعلوك ٦٩-١٢٢
١٤٦-١٤٧-١٥٠-١٥١-١٥٢	الصفدي ٥٠-٦٠-٦٩-١٢٢
سعد بن عبادة الأنصاري ٩٥-١٣٠	الصيمري ١٨١
السعد ١٧١-٢٠٠-٢٠٣	الصيمري ٧٤-١٦٦
السعيد ٢٥-١٤٥-١٤٦	طاش كبرى زادة ١٠٤-١٥٥
سليمان ١١٢	طاهر بن الحسين ٢٣-٢٤
سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي	الطاهر بن عاشور ١٧٣
السجستاني ٥٠	الطحاوي المصري ٥١-١٧٠
السمرقندي الحكيم ١٠٣	طلحة ١٧-١٨-٢٤-١٣٤
السمعاني ٥٧-٦١-٧٨-١٠٨-١٠٩-١٢٥	عباد بن سليمان ٧١
سيبويه ٤٦-٥٢-٦٨-٧٠	عبد الرحمن ابن خلدون ٤١
سيحان بن حازم المؤدب ١٣٢-١٣٣	عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن
السيوطي ٤١-٧٣-٧٧-٨٤-٨٥	المنذر التميمي الحنظلي ٧٧
الشاطبي ١٤٩	عبد الرحمن بن محمد الأموي ٢٠
الشافعي ٤٩-٥٠-٥١-٥٩-٧٧-٧٨-١٧١	عبد الرحيم بن محمد المعروف بالخياط ٣٣
١٧٩-١٩٣	عبد السلام بن سعيد بن حبيب المشهور
الشحام ٧١-٧٢	بسحنون ٥١
الشريف المرتضى ٧٣	عبد العزيز البخاري ١٧٥
الشعبي ١٦٨-١٨٠	عبد الفتاح المغربي ١١٠-٢٠٣
	عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي ٩٤

- عبد القاهر ٨٤-١٣١-١٦٨  
عبد الكريم البزدوي ١٣٤  
عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي  
الخراساني = الكعبي  
عبد الله بن المقفع ٤٢  
عبد الله بن سعيد القطان ١٩٩  
عبد الله بن سعيد الكلابي ١٩٨-١٩٩-٢٠٠  
عبد الله بن عباس ٤٥-١٦٦  
عبد الله بن عمر ٤٥-٥٥-١٦٨  
عبد الله بن محمد بن هيصم الساتر ١٩٩  
عبد الله بن مسعود ١٦٦  
عبد الله بن موسى ٤٩-٧٧  
عبد بن حميد ٤٩  
عبد الله بن سعيد الكلابي ١٩٨  
عثمان بن أبي شيبة ٤٩  
عثمان ٤٧-٤٩-٥٢-٥٤-٥٥-٦٠-٦٦-  
١٠٩  
الطار ٤٧-٤٨  
علاء الدين الحنفي السمرقندي ١٥٠  
العلاف ٥٢-٦٨-٦٩  
علقمة بن قيس النخعي ١٦٦  
علي إسحاق ٥٧-٥٨-٧٨  
علي الرستغني ١٠٦، ١٤٨  
علي أيوب ١١٠  
علي بن أبي طالب ٤٥-١١٣  
علي بن إسحاق ٥٧-٥٨-٧٨
- علي بن سعيد أبو الحسن الرستغني ٩٢-  
١٣٥-١٣٦  
علي بن عيسى ٧٣  
علي بن محمد البزدوي ١٣٥-١٦٨-١٧٦  
علي بن محمد الشحام = الشحام  
عمر الحيام ٦٥  
عمر بن الخطاب ١٦٦  
عمر بن عبد العزيز ١٦-٣٤-٤٨-١٦٨  
عمرو بن الليث الصفار الخارجي ٢٤  
عمرو بن عبيد ٧٠  
عمرو بن فايد ٦٩-٧١  
العياشي ٧٣  
عيسى بن عمر الثقفي ٥٢  
عيسى عليه السلام ١٤٢  
الفارابي ٥٣  
فخر الإسلام البزدوي ١٣٤-١٦٧-١٧٤  
الفخر ١٧٣  
الفراء ٤٦-٥٢  
فؤاد سزكين = سزكين  
قارون ١٢١  
القاهر ١٥-١٩  
قتادة ٤٥  
قتيبة بن مسلم الباهلي ٥٤  
قثم بن العباس ٥٤-٥٥-٦٦  
القرطبي ٧٦-١٥٣  
قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي  
الحنفي ٩٥

- قطب الدين عبد الكريم ٩٤  
قطرب ٦٨-٧٠  
القفال الصغير ٧٨  
كادم حفيد عمر بن عبد العزيز ٣٤  
الكسائي ٥٢  
الكعبي ٦٠-٧٢-٨٤-١٤٧  
الكلابي ١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠٧  
كمال الدين البياضي الحنفي = البياضي  
الكندي ٤٤-٥٣  
الكوثري ٥٩-٧٢-٨٦-١٢٩-١٥١-١٥٦  
١٧٥-١٧٦-١٨٠  
اللامثي الماتريدي ١٠٣-١٤٩  
لبيب السعيد ١٤٥-١٤٦  
اللكثري ٩٠-٩٦-١٢٨-١٣٥-١٦٧-١٧٩  
الماتريدي = أبو منصور الماتريدي  
مالك ٥١-٥٥-١٦٥-١٦٦-١٦٧  
المأمون ١٦-٢٣-٢٤-٨٧-١٤١  
المتقي ٢٠  
المتوكل ١١-١٦-١٧-١٨-٥٢-١٠٤  
مجد الدين أبو الندى إسماعيل بن إبراهيم  
بن محمد بن علي بن موسى الكناني البليسي  
القاهري الحنفي ٩٥  
المحاسبي = الخارث بن أسد المحاسبي  
محمد أبو زهرة ١١٠-١٢٣  
محمد أبو موسى ١٣٧  
محمد الباقر ٧٣
- محمد القاهر ١٥  
محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر الخياط  
الحنوي ٨٤  
محمد بن أسلم الأزدي ١٠٤  
محمد بن إسماعيل البخاري ٤٩  
محمد بن الحسن الشيباني ١٢٩-١٧٠-  
١٧١-١٧٨-١٨٨  
محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون  
٧٣  
محمد بن الحسن ٩٣-٩٤-٩٦-١٢٩-١٣٠-  
١٧٧-  
محمد بن المستنير أبو علي النحوي اللغوي  
البصري ٦٨-٧٠  
محمد بن أيوب ٤٧  
محمد بن جرير الطبري ٥١-١٢٨  
محمد بن سبابة ١٢٩  
محمد بن سيرين ٤٥  
محمد بن شجاع البلخي ١٧٣  
محمد بن طغج ٢٠  
محمد بن عبد الوهاب الجبائي ٧٠  
محمد بن علي بن إسماعيل المعروف بالقفال  
الكبير ٧٨  
محمد بن محمد بن محمود الحنفي المتكلم ٩٥  
محمد بن مقاتل الرازي ٩٦-١٠٤-١٢٨-  
١٧٠-١٧٦-١٧٧-١٨٠-٢٠٢  
محمد بن نصر المروزي ٤٩-١٢٢



محمد بن يزيد المبرد ٥٢	المعلم الثاني ٥٣
محمد زاهد الكوثري ١٥٦-١٧٥	مقاتل ٥٥-٩٦-١٠٤-١٢٨-١٢٩-١٦٩
محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ٩٠-٩٦	١٧٠-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٨٠-٢٠٢
محمد مرتضى الزبيدي = الزبيدي	المقتدر بالله ١٥
محمد منير الدمشقي ٢٦-١٢٠-١٢٥-١٢٦	المقتدر ١٥-١٩-٢٠-٤٧-٥٣
محمدًا بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر	المقدسي ٩-٣٦-٣٧-٦٢-١١٢
الأنباري ٤٤	المقرئ ١٤١-١٥١-١٧١-٢٠٤
محمود بن حسن الوراق ٦٨	المكتفي ١٥-١٩-٢٥
محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن	المكي ٤٩
محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي	الملطي ٧١-٧٢
الحنفي ٩٥	المتنصر بالله ١٥-١٦
المراغي ٨٥-١٢٣	منصور بن أبي طلحة البزدوي ١٣٤
مرداويج ٦٦	منصور ١٠٨
المروزي ٦٩-٧٨-١٢٢-١٢٨	المهتدي بالله ١٥
المزني إسماعيل بن يحيى ٥١	مهيب بن سليم ١٢٨
المستعين بالله ١٥-١٦	موسى الأسواري ٦٩-٧١
مسدد البصري ٤٩	موسى عليه السلام ١٢١-١٧١
مسلم ٥٠	الموفق طلحة الناصر ١٧
مشهور حسن سليمان ١٤٩	المؤيد ١٦
مصطفى عبد الرازق ١٥٢-٢٠٤	النحاس ٤٦-٧٨
المعتز بالله ١٥	النخعي (إبراهيم) ٤٥، ١٧٨
المعتز ١٥-١٦-١٧	النسفي ٥٩-٦٨-٨٦-٨٨-١٠٥-١١١
المعتصم ١٥-١٦-٣١-٥٣	١٢٤-١٢٧-١٢٩-١٣-١٣٢-١٤٥
المعتضد بالله ١٥-١٨	١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٤
المعتمد على الله ١٥-١٧	٢٠٠-٢٠٤
المعتمد ١٥-١٧-٢٤	النشار ١٧٣-١٩٨-٢٠١

نصر بن أحمد الساماني ١٩-٢٠-٢٤-٦٥	هشام بن عبد الملك ١٢٤
٦٩-١٢٢	الوائق ١٦
نصر بن أحمد الكبير ١٣١	واصل بن عطاء ٧٠
نصر بن أحمد: نصر الثاني ٢٥	وكيع ٩٦-١٢٨
نصر بن عاصم ٤٥	يحيى بن أسد ٢٣
نصر بن يحيى البلخي ١٧٨	يعقوب الشحام البصري ٧٢
النظام (إبراهيم بن سيار) ٥١-٣٤-٦٨-٧٠	يعقوب بن إسحاق الكندي ٥٣
النعمان = أبو حنيفة	اليقوي أحمد بن أبي يعقوب ٥٣
نوح بن أسد ٢٣	يوسف بن خالد ١٧٨
نوح بن نصر ٢٥-٥٧-٦٩-١٢٠	يونس بن حبيب ٥٢
النووي ٧٦-٧٨	

## فهرس الفرق

الأحناف ٦٧-٨٥-٨٧-١٣٤-١٣٧-١٥٧	القلانسية ٢٠٠
١٦١-١٦٥-١٦٧-١٧٠-١٧١-١٧٣	الكرامية ٦٢
١٧٤-١٧٩-١٨١-١٨٨-١٩٢-٢٠٣	الكلاية ١٦١-١٧١-١٩٨-١٩٩-٢٠٠
٢٠٤-٢٠٥-٢٠٧	٢٠١
الأشعرية ٨٣-١٥٣-١٦١-١٩٩-٢٠٠	الماتريدية ٦-٧-٨٤-٨٧-٩٣-١١٠-١٥٣
الإمامية ١٨-٧٣	١٥٦-١٥٧-١٦٩-١٧١-١٧٤-١٩٨
الباطنية ٨٧-١٤١	١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٣
البراهمة ٧٩	المعتزلة ٥٢-٦٠-٦٨-٦٩-٧٠-٧٢
الثنوية ٧٩-١٢٢	٧٩-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-١٣٠-١٣١
الجهمية ١٤١-٢٠٧	١٤١-١٤٧-١٤٨-١٥٥-١٥٦-١٦٩
الحنفية ٥٩-٦١-٧٠-١٠٤-١٥٠-١٥٧	١٧١-١٧٣-١٧٤-١٧٦-٢٠٠-٢٠٣
١٦٧-١٧١-١٧٢-١٧٥-١٨١-١٩٣	٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨
الخوارج ١٧-١٨-٤٥-٦٢-١٤١-١٦٨	أهل الحديث ٥-٥٠-٥٥-١٢٢-١٢٨
الروافض ٩٢-٩٤-٩٦-١٤١-١٤٨-١٦٨	١٧٩-٢٠٠
١٧٦-	أهل الرأي ٥٠-٦٧-١٦١-١٦٦-١٧٦
الزبائرشائية ١٩٩	١٧٩-١٨٠-٩٧-٢٠٧
الزندقية ٣٣-٦٢	أهل السنة ٥-٦-١٦-٤٤-٤٦-٥١-٥٢
الشافعية ٧٦	٧٠-٧٤-٧٦-٧٧-٧٩-٨٣-٨٧-٩٠
الشيعة ٦٢-١٧٦	٩١-٩٣-٩٥-٩٦-١٠١-١٠٣-١٠٤
الصفائية ١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠١	١١٠-١٢٢-١٢٤-١٢٦-١٢٧-١٣٠
القدرية ١٣١-١٤١-١٦٨-١٦٩-١٧٦	١٣٣-١٤١-١٥٠-١٥٥-١٥٦-١٥٧
القرامطة ١٩-٢٥-٢٦-٨٧-٩٢-٩٤	١٦٨-١٧٠-١٧٢-١٧٥-١٧٦-١٧٨
٩٦-١٢٢-١٤١-١٤٨	

١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠٢-٢٠٣-مدرسة العراق ١٧٣

٢٠٤ مذهب الجماعة ٥٢

أهل جماعة وسنة ٣٧

للمعتزلة ٦٢-٧١-٨٧

مدرسة الرأي ١٢٨-١٨١

\*\*\*

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
الفصل الأول: عصر الإمام الماتريدي وبيئته.....	٩
تمهيد.....	١١
المبحث الأول: الحالة السياسية في عصر الإمام الماتريدي.....	١٣
المطلب الأول: الحالة السياسية في الدولة العباسية.....	١٥
الظاهرة الأولى: ضعف أمر الخلافة.....	١٥
الظاهرة الثانية: الحكم اللامركزي والولايات المستقلة.....	٢١
المطلب الثاني: الحالة السياسية في الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ هـ).....	٢٣
المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الإمام الماتريدي.....	٢٩
المطلب الأول: الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية.....	٣١
• طبقات المجتمع.....	٣١
• الشعوبية (التعصب للعرق).....	٣٢
المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة السامانية.....	٣٥
• انتعاش اقتصادي.....	٣٥
• سمرقند وأثره الاجتماعي الاقتصادي.....	٣٦
• طبيعة المنطقة وأهلها.....	٣٦
المبحث الثالث: الحالة العلمية والفكرية في عصر الإمام الماتريدي.....	٣٩
المطلب الأول: الحالة العلمية والفكرية في الدولة العباسية.....	٤١
• العلوم من الرواية إلى التدوين والتصنيف.....	٤١
• الموالى والعجم حملة علوم الإسلام.....	٤١
تميز العلوم وحملتها.....	٤٢



٤٣.....	• أحوال العلوم وتطورها
٥٤.....	المطلب الثاني: الحالة العلمية والفكرية في الدولة السامانية
٥٤.....	• الإسلام في بلاد ما وراء النهر
٥٦.....	• مراكز العلم والعلماء في الدولة السامانية
٥٨.....	• الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عصر الماتريدي
٦٠.....	• موقع العلم والعلماء
٦٢.....	• المذاهب والأديان
٦٣.....	• النزعة الفارسية
٦٦.....	• مشاهد ومزارات
٦٧.....	المطلب الثالث: علم التفسير في عصر الإمام الماتريدي
٦٧.....	• الجبهة الداخلية
٧٤.....	النشاط التفسيري لأهل السنة
٧٦.....	• أشهر مفسري أهل السنة في عصر الماتريدي
٧٨.....	• أما الجبهة الخارجية
٨١.....	الفصل الثاني: حياة الإمام الماتريدي
٨٣.....	تمهيد: ملاحظات حول المصادر
٨٣.....	• إهمال
٨٤.....	• مفارقات
٨٥.....	• السبب
٨٨.....	• مادة ترجمته
٩١.....	المبحث الأول: المادة الأولية لسيرة الإمام الماتريدي
٩٩.....	المبحث الثاني: سيرة الإمام الماتريدي.. دراسة تحليلية
١٠١.....	المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده ووفاته
١٠١.....	• اسمه

١٠١.....	• نسبه
١٠٢.....	• ألقابه
١٠٤.....	• مولده
١٠٤.....	• وفاته
١٠٨.....	المطلب الثاني: أسرته ونسبه
١٠٨.....	• أسرته
١٠٩.....	• نسبه
١١٣.....	المطلب الثالث: حياته ومواقفه السياسية
١١٣.....	• الماتريدي سمرقندي الحياة والعادات والأذواق
١١٤.....	• خروجه من سمرقند إلى بخارى
١١٥.....	• مواقفه السياسية
١١٧.....	المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه
١١٧.....	١ - الزهد (مفتاح شخصيته)
١١٨.....	٢ - لا يُعْلَم بأجر
١١٩.....	٣ - عالم رباني
١٢٤.....	٤ - نزعة صوفية وكرامات
١٢٨.....	المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه
١٢٨.....	• شيوخه
١٢٨.....	١ - محمد بن مقاتل الرازي (ت ٢٤٨هـ)
١٢٩.....	٢ - نُصَيْر بن يحيى البلخي (ت ٢٦٨هـ)
١٢٩.....	٣ - أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني (ت ٢٩٩هـ)
١٣٠.....	٤ - أبو نصر أحمد بن العياضي (ت قبل ٣٠١هـ)
١٣٢.....	٥ - أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجيمي النحوي الأعرابي (؟)
١٣٣.....	تلاميذه

- ١- الحكيم السمرقندي (ت ٣٤٢هـ)..... ١٣٣
- ٢- عبد الكريم البزدوي (ت ٣٩٠هـ)..... ١٣٤
- ٣- الإمام ابن أبي الليث البخاري (ت ٩٩)..... ١٣٥
- ٤- علي الرُّسْتُغْنِي (ت ٣٥٠هـ تقريباً)..... ١٣٥
- المطلب السادس: ثقافته وعلمه..... ١٣٧
- علمه بالتاريخ العربي والإسلامي..... ١٣٨
- علمه بالفارسية..... ١٣٩
- اطلاعه على أقوال الفلاسفة..... ١٤١
- اطلاعه على كتب أهل الكتاب..... ١٤٢
- نظرات في علم الأغذية..... ١٤٢
- نظرات في علم الأرض..... ١٤٣
- رأي في علم النجوم..... ١٤٣
- المطلب السابع: مؤلفاته وآثاره العلمية..... ١٤٥
- مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن..... ١٤٥
- مؤلفاته في العقائد والمذاهب..... ١٤٦
- مؤلفاته في الفقه والأصول..... ١٤٩
- مؤلف في الوعظ والرقائق..... ١٥٠
- مؤلفات أخرى في نسبتها للماتريدي مقال..... ١٥١
- المطلب الثامن: مكانته وأثره..... ١٥٤
- أولاً: ثناء العلماء على الإمام الماتريدي..... ١٥٤
- أبو المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ)..... ١٥٤
- العلامة المؤرخ طاش كبرى زادة (ت ٩٦٨هـ)..... ١٥٥
- أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)..... ١٥٥
- العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)..... ١٥٥

- العلامة محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) أحد أنجب أتباعه المتأخرين..... ١٥٦
- ثانياً مدرسته الفكرية..... ١٥٦
- الفصل الثالث: أسلاف الإمام الماتريدي، وجذور منهجه الفكري..... ١٥٩
- تمهيد..... ١٦١
- المبحث الأول: الإمام الأعظم أسلافه وورثته علمه..... ١٦٣
- المطلب الأول: مدرسة الإمام الأعظم وأسلافه..... ١٦٥
- المطلب الثاني: الإمام الماتريدي وريثا لمنهج الإمام الأعظم..... ١٧٠
- أولاً في الفقه الأكبر..... ١٧٠
- شبهة وردتها..... ١٧٣
- ١- اشتغال الإمام الأعظم بعلم الكلام، فضلاً عما ألفه فيه من كتب..... ١٧٤
- ٢- الموازنة بين آراء الإمام في كتبه وما انتهى إليه الماتريدي..... ١٧٥
- ٣- أئمة المذهب لم يميلوا لشيء من الاعتزال..... ١٧٦
- ٤- اتصال علم الماتريدي بالإمام الأعظم..... ١٧٦
- منيع هذه الشبهة..... ١٧٩
- ثانياً: في الفقه والأصول..... ١٨١
- المبحث الثاني: ظهور هذه الوراثة في تفسيره..... ١٨٣
- تمهيد..... ١٨٥
- المطلب الأول: في العقيدة..... ١٨٦
- المطلب الثاني: في الفقه..... ١٨٨
- المبحث الثالث: هل كان الإمام الماتريدي من الكلائية أو الأشعرية؟..... ١٩٥
- تمهيد..... ١٩٧
- المطلب الأول: العلاقة بين الإمام الماتريدي والصفائية أو الكلائية..... ١٩٨
- ١- لم يتسبب الماتريدية أبداً إلى الكلائي بل دائماً ما يذكرون نسبتهم إلى الإمام الأعظم..... ١٩٨
- ٢- النص من قبل علماء الفرق على انتقال سمة الصفائية إلى الأشعرية لا الماتريدية..... ١٩٩



٣- أن الماتريديّة يردون على عبد الله بن سعيد ويخالفونه.....	١٩٩
المطلب الثاني: العلاقة بين الماتريدي والأشعري.....	٢٠٢
• أصحاب الإمام الماتريدي في نصرة السنة ببلاد ما وراء النهر.....	٢٠٤
مصادر البحث.....	٢٠٩
فهرس الأعلام.....	٢٢٣
فهرس الفرق.....	٢٣٤
فهرس الموضوعات.....	٢٣٧

\*\*\*




سَبَدُ الشَّعْوَى  
بِسِيَرَةِ عَلَمِ الْهَدَى  
أَبِي مَنْصُورٍ الْمَلَاتَرِيِّ


دارُ النُّورِ المُنِيرِ للنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



عمان - الأردن - تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com - website: www.darannor.com

 www.facebook.com/darannorpage

 @Darannor